مَعَالِي الشَّرَف

في شرح منظومة
مجمل اعتقاد السلف

تأليف: العبد الفقير إلى عفو ربه القدير
أبي سليمان مختار بن العربي مومن
الجزائري ثم الشنقيطي
عفا الله عنه وعن والديه
ومشايخه والمسلمين

مَعَالِي الشَّرَف

في شرح منظومة
مجمل اعتقاد السلف

(صفحة خاصة بدار النشر)

شعار

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُودٍ:88].

وَأسْألُ اللهَ تَعَالى النَّفْـعَا لِكُلِّ مَنْ فِيهِ سَعَى وَالرَّفْعَا
وَالحِفْظَ والتَّوفِيقَ في القُصُودِ
آمين

مَنظُومَةُ
مُجْمَلِ اعِتْقَادِ السَّلَفِ

للشَّيخِ العَلاّمةِ مُحَمَّد سَالم بنِ مُحَمَّد عَلِيّ بن عبدِ الوَدُودِ الشَّنقِيطِيِّ
رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

عناية تلميذه:
أبي سليمان مختار بن العربي مومن
الجزائري ثم الشنقيطي
عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وأحبابه.

مَنظُومَةُ مُجْمَلِ اعتِقَادِ السَّلَف

للشَّيخِ العَلاّمةِ مُحَمَّد سَالم بنِ مُحَمَّد عَلِيّ بن عبدِ الوَدُودِ الشَّنقِيطِيِّ

رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

بِالبَدءِ بِاسمِ اللهِ في التَّقدِيمِ ... والوَصْفِ بِالرَّحمَنِ وَالرَّحِيمِ

قَالَ مُحَمَّدٌ بِسَالمٍ شُفِعْ ... نَجْلُ مُحَمَّدٍ بعَالٍ قَد تُبِعْ

الهَاشِمِيُّ المُنتَمِي بِالأُسِّ ... إلى المُبَارَكِ الذِي للخَمْس

ثمَّ إلى يَعقُوبَ مِنهَا يَنتَمِيْ ... بِاللهِ رَبِّي اعتَزِي وَاحتَمِي

أحمَدُهُ جَلَّ كَمَا ابتَدَانِي ... بِنِعَمٍ مَا لِي بِهَا يَدَانِ

ثُمَّ أُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى ... مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ تَلا

وَبَعْدُ، فَالعَبْدُ الفَقِيرُ نَظَمَا ... نَظْمًا بِفِقْهِ مَالِكٍ يَجلُو الظَّمَا

رَامَ بِهِ نَعْشَ ذَمَاءِ المُحتَضَرْ ... مِمَّا(خَلِيلٌ)قَد وَعَى فِي المُختَصَر

وَلْيُدعَى بِـ«التَّسْهِيلِ وَالتَّكمِيلِ ... لِفِقْهِ مَتْنِ سَيِّدِي خَلِيلِ»

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالى النَّفْعَا ... لِكُلِّ مَنْ فِيهِ سَعَى وَالرَّفْعَا

وَالحِفْظَ والتَّوفِيقَ في القُصُودِ، ... وَقَبْلَ أنْ أَشْرَعَ فِي المَقْصُودِ

أَذْكُرُ جُمَلَةً مِنَ العَقَائِدِ ... عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ الأَمَاجِدِ

وَلَسْتُ ذَاكِرَاً سِوَى المُتَّفَقِ ... عَلَيهِ مِنْ قَبْلِ نُشُوءِ الفِرَقِ

مِمَّا إلَيهِ (الأَشْعَرِيُّ) قَدْ رَجَعْ ... مُتَّبِعًا (أحمَدَ) نِعْمَ المُتَّبَعْ

لا مَا يقُولُ مَنْ لِذَا أو ذَا انتَمَى ... زَعْمَاً وَلَمْ يَسِرْ عَلَى مَا رَسَمَا

اللهُ حَقٌّ أَوَّلٌ كَانَ وَلَمْ ... يَكُنْ سِوَاهُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِ العَدَمْ

أَنْشَأَ خَلقَهُ اخْتِيَارَاً بِقَدَرْ ... لِحِكَـــمٍ لا عَبَثًـــا، كَمَا ذَكَـــرْ

بِقَولِهِ كُنْ فيكُونُ مَا طَلَبْ ... بِلا عِلاجٍ اَوْلُغُوبٍ اَوَنَصَبْ

قُلْ صَدَقَ اللهُ، فَمَا فِي اللهِ شَكْ ... مَالِكُ كُلِّ مَالِكٍ وَمَا مَلَكْ

خَالِقُ كُلِّ فَاعِلٍ وَمَا فَعَلْ ... مُسَبِّبُ الأَسْبَابِ وَاضِعُ العِلَلْ

وَهْوَ تَعَالَىَ أَحَدٌ فَردٌ صَمَدْ ... أَلْحَدَ مَن قَالَ: بِخَلقِهِ اتَّحَدْ

لَيسَتْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدْ ... أوْ وَالِدٌ لَيسَ لَهُ كُفْؤاً أَحَدْ

وَلَيسَ مِثلَهُ - عـلاَ - شَيءٌ ولا ... يُلْزِمُ ذَا نَفْيَ صِفَاتِهِ العُلَى

فَهْوَ السَّمِيعُ وَالبَصِيرُ المتَّصِفْ ... بِمَا بِهِ فِي نَوْعَيِ الوَحْيِ وُصِفْ

يُمَرُّ مَا فِي وَصْفِهِ جَاءَ مِنَ الْـ ... ـوَحْيِ كَمَا يَفْهَمُ مَن فِيهِمْ نَزَلْ

مِن غَيرِ مَا تَكْيِيفٍ اَوْ تَمْثِيلِ ... لَهُ وَلاَ تَحْرِيفٍ اَوْ تأوِيلِ

يُقَالُ نَفْسُه كَمَا قَالَ: ﴿كتَبْ ... ربُّكُمُ..﴾الآيةَ، أمَّا مَنْ نَسَبْ

ذَاتَاً لَهُ فَقَدْ عَنَى التِّي لَهْ ... ملَّتَـــهُ، شِرْعتَـــهُ، سَبِيلَـــهْ

وَالأَصْلُ أن تُضَافَ للإلَهِ ... لاَ لِلضَّمِيرِ أو لِلَفْظِ اللهِ

كَمثلِ مَا قَالَ خُبيبٌ إذْ صُلِبْ ... وَقَالَ نَابِغَـــةُ ذُبْيَـــانَ الذَّرِبْ

لأَنَّهَا تَأنِيـــثُ (ذِي) المُلتَزَمِ ... فِيهِ الإِضَافَةُ لِغَيرِ العَلَمِ

مِن ظَاهِرٍ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ - وَقَدْ ... ذَكَرَ مَا يَلزَمُ (ذُو) فِي ذَا الصَّدَدْ

(ذُو ذَاتُ أُنثَاهُ، ذَوَاتُ الجَمْعُ ... وَجَرَيَانَ الأَصْلِ يَجْرِي الفَرْعُ)

نَعَـــمْ، أَتَتْ مُضَافَـــةً للهِ ... فِي كَذَبَاتِ القَانِتِ الأَوَّاهِ

وَهْوَ شُذُوذٌ، وَنَظِيرُهُ (ذُو ... بَكّةَ) مِمَّا شَأْنُـــه الشُّـــذُوذُ

وَمَا نَقُولُ فِي صِفَاتِ قُدْسِهِ ... فَرْعُ الَّذِي نَقُولُهُ فِي نَفسِهِ

فَإنْ يَقُلْ جَهْمِيُّهُمْ: كَيفَ استَوَى؟ كَيفَ يَجِي؟ فقلْ لهُ: كَيفَ هُوَا؟
لافَرْقَ بَينَ مَا سَمِيُّهُ يُعَدْ وَصْفاً لَنَا كَ (عِلْمٍ) أو جُزْءاً كَيَدْ)
البَابُ في الجَمِيعِ وَاحِدٌ فَلاَ تَكُنْ مُعطِّلاً وَلا مُمَثِّلا
يَأْتِي، يَجِي،يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، يَضَعْ قَدَمَهُ عَلَى جَهَنَّمَ، يَسَعْ
بِفَضْلِهِ الخَلْقَ، يَدَاهُ بالعَطَا مَبْسُوطَتَانِ، كَيفَ شَاءَ بَسَطَا
كِلتَاهُمَا في يُمْنِهَا يَمِينُ فَهْو بِذَا مِنْ خَلْقِهِ يَبِينُ
يَرَى وَلا يَرَاهُ مِنَّا ذُو بَصَرْ حَتَّى يَمُوتَ، مِثلَ مَا جَا في الخَبَرْ
يَسْمَعُ، يُبْصِرُ، يُحِبُّ، يَعجَبُ يَضْحَكُ،يَرضَى،يَستَجِيبُ، يغضبُ
يُبغِضُ، يَطْمِسُ الوجُوهَ، يَطْبَعُ يَقْبِضُ، يَبسُطُ ويُعْطِي، يَمْنَعُ
يَخفِضُ، يَرفَعُ، يُعِزُّ وَيُذِلّ يَكْرَهُ، يَمْقُتُ وَيَهْدِي وَيُضِلْ
يُقْبِلُ، يُعْرِضُ، يَتُوبُ، يَرْحَمُ يَأخُذُ مِنَّا الصَّدَقَاتِ، يُطْعِمُ
وَلَيسَ يُطْعَمُ، وَلَنْ يَنَالَهْ لُحُومُ أو دِمَاءُ مَا يُهدَى لَهْ
لا تُدْرِكُ الأبْصَارُ مِنهُ الكُنْهَا وَهْوَ الّذِي يُدْرِكُ ذاكَ مِنهَا
يَغَارُ أنْ يَزْنِيَ عَبْدٌ أوْ أَمَهْ لهُ، وَيسْتَحِي - عَلاَ -، مَا أَكْرَمهْ!
وَلَيسَ يَستَحِيي مِنَ الحقِّ وَلاَ مِن ضَرْبِهِ مَا كَالبَعُوضِ مَثَلا
وَلَيسَ يَأْذَنُ لِشَيْءٍ أَذَنَهْ إلى تِلاوَةِ نَبِيٍّ حَسَنَهْ
وَلخُلُوفُ فَمِ ذِي الصَّومِ الزَّكِيْ أطيبُ عِنْدَهُ مِنَ المِسْكِ الذَّكِيْ
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لا يُسْتَكْرَهُ وَهُوَ بَالِغٌ - تَعَالَى - أَمْرَهُ
فَمَا يَشأْ فِينَا يَكُنْ لَو لَمْ نَشَا وَلاَ يَكُونُ مَا نَشَا مَا لَمْ يَشَا
وَلا يَضِلُّ - جَلَّ - أو يَنْسَى، وَلا تَأخُذُهُ سِنَةٌ اَوْ نَومٌ - عَلاَ

لا يَظْلِـــمُ العِبَـــادَ ذَرَّةً، وَلا ... يُحْصُونَ مَـــا لَـهُ عَليهِمْ مِن إِلَى
يُفتِي، وَيَشْهَدُ، وَيقْضِي، يَحْكُمُ ... بالحقِّ، يَسْتَفْهِمُ - وهْوَ أعْلَمُ-
وَمَا لَهُ مُعِينٌ او ظَهِيرُ ... ومَا لَهُ نِدٌّ وَلاَ نَظِيرُ
وَلَمْ يَكُنْ يَؤُودُهُ حِفْظُ السَّمَا ... وَالأرْضِ أو يُعجِزُهُ مَنْ فِيهِمَا
لَمْ يَعْيَ بِالخَلْقِ ابْتِدَاءً مِنْ عَدَمْ ... كَذَاكَ لاَ يَعْيَى بِإحيَاءِ الرِّمَمْ
يُحْدِثُ مَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ ... ذِكْرٍ، فَمَا أَحدَثَ مِن ذِكْرٍ يُقِنْ
أنْ لَيسَ مَخْلُوقًا لِأنَّ المُحْدَثَ(الْـ) ... إنزَالُ، أمَّا الذِّكرُ فَهُوَ لَمْ يَزَلْ
(ألالـهُ الخلقُ والاَمْرُ)، العَطْفُ دَلّ ... أنْ لَيسَ خَلْقَاً مَا مِنَ الأمْرَ نَزَلْ
بَلْ علَّمَ القرآن.. وَالإنْسَانَا ... خَلَقَـــهُ ﴿عَلَّمَـــهُ البَيَـــانَ﴾
يَنْسَخُ، يُنْسِي مَا يَشَا، يُبدِّلُ ... ﴿وَاللَّهُ أعْلَـــمُ بِـــمَا يُنَزِّلُ﴾
وَيَتَكَلَّـــمُ مَتَـــى شَـــاءَ بِمَا ... شَاءَ كَمَا شَاءَ لَوَ انَّ الْكَلِمَا
مِدَادُهُ البَحْرُ بِسَبْعَةٍ أُمِدّ ... وَشَجَرُ الأرْضِ قِلامٌ مَا نَفِدْ
وَرَحمَةً سَكَـــتَ عَـــنَ اَشْيَاءَ ... مِنْ غَيرِ نِسيَانٍ - عَلَى مَا جَاءَ -
أحَاطَ بالنَّاسِ وَأينَمَا يُوَلْ ... مُسْتَقْبِلٌ فثَمَّ وَجهُ اللهِ - جَلَّ
قَدْ استوَى إلَى السَّمَاءِ وَاسْتَوَى ... بَعْدُ عَلَى العَرْشِ بِخُلْفِ المُحْتَوَى
وَلَيْسَ كَاستِوَائِنَا نَحْنُ عَلَى الْـ ... ـفُلْكِ والانعَام، بَلِ العَرْشَ حَمَلْ
وَحَامِلِيهِ، وَإِلَى دُنْيَـــا السَّمَـــا ... يَنْزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ، لا مِثْلَ مَا
يَنْزِلُ مَخلُوقٌ بِإخْلاَ حَيِّزِ ... مِنهُ وَشَغْلِ حَيِّزٍ- فَمَيِّزِ
وَهُوَ العَلِيُّ، لا تَحُدُّهُ جِهَهْ ... ضَلَّ المُعَطِّلَـــةُ والمُشَبِّهَـــهْ
قَدِ اصْطَفَى مِنْ مَلَكٍ وَمِنْ بَشَرْ ... رُسْلاً فَأَدَّوْا عنهُ مَابِهِ أَمَرْ

وَالكُتُبُ التِي عَلَى رُسْلِ البَشَرْ ... أَنْزَلَ مِنْ كَلاَمِهِ - جَلَّ- فَذَرْ
قَولَهُمُ: القُرآنُ قَد دَلَّ عَلَى الْـ ... ـكَلاَمِ أَوْ عَلَى الَّذِي الكَلامُ دَلّ
بَلْ بِالحُرُوفِ وَالمَعَانِي وَرَدَا ... وَاللَّهُ بِالصَّوْتِ يُكَلِّمُ غَدَا
وَلا تَقُلْ ذَا الصَّوْتُ عَنْ تَمَوُّجِ ... هَـــوَاءٍ اَوْ تَخَلْخُـــلٍ فِيهِ يَجِي
أو حَرْفُـــهُ كَيفِيَّةٌ تَحْدُثُ لَـــهْ ... بِالضَّغْطِ - جَلَّ اللهُ - أنْ نُمَثِّلَهْ
بِقَارِئٍ بِصَوْتِـــهِ أوْحَرفِـــــهِ ... كُلٌّ، وَمَا لاقَ بِهِ مِنْ وَصْفِهِ
فَنَحنُ حِينَ نُنْشِدُ الآنَ: (قِفَا ... نَبْكِ) وَقَدْ أَوْدَى بِمُنْشِيهَا العَفَا
لَسْنا بِمُجْتَرِيْ هَواءٍ نَفَثَهْ ... أَوْ مُحْدِثِينَ عَيْنَ مَا قَدْ أَحْدَثَهْ
بِالضَّغْطِ مِنْ كَيْفِيَّةٍ إِذْ صَرَّفهْ ... مَا بَيْنَ حَلْقٍ وَلَهَاةٍ وَشَفَهْ
لاَ تَضرِبُوا لِلَّهِ الاَمثَالَ، وَلاَ ... تُصْغُوا لِمَنْ عَطَّلَ أَوْ مَنْ مَثَّلاَ
كَلَّمَ مُوسَى بِكَلامِهِ، اتَّخَذْ ... خَلِيلاً اِبرَاهِيمَ، مَنْ أَوَّلَ شَذّْ
فَاللَّهُ لَمْ يَسْكُتْ عَلَى مَا أَوْهَمَا ... حُدُوثاً او نَقْصَاً لَهُ بَلْ أَفْهَمَا
مُـــرَادَهُ بِقَولِـــهِ: (مَرِضْـــتُ ... فَلَمْ تَعُدْنِي) وَكَذَا (اسْتَطْعَمْتُ)
أسمَاؤُهُ الحُسْنَى عَلَى الصِّفَاتِ ... دَلَّتْ، فَذَلَّتْ أوجُهُ النُّفَاةِ
فَأَثْبِتُوا مِنْ وَصْفِهِ مَا السَّلَفُ ... أَثْبَتَ وَانْفُوا مَا نَفَى، ثُمَّ قِفُوا
وَاجْتَنِبُوا الشِّركَ الجَلِيَّ وَالخَفِيْ ... وَلَوْ بِمَا فِيهِ اخْتِلافُ الخَلَفِ
فَأَفْرِدُوهُ - جَـــلَّ- بِالعِبَـــادَهْ ... لَا تُشْرِكُوا فِي نَوْعِهَا عِبَادَهْ
فَلا تُسَمُّوا وَلَدَاً عَبْدَ عَلِيْ ... أَوْ تَنْذُرُوا لِصَالِحٍ أَوْ لِوِلِيْ
وَلاَ تَمَسُّوا قَبْرَاً اَوْ تَمَسَّحُوا ... وَلا تَطُوفُوا حَوْلَهُ أَوْ تَذْبَحُوْا
لا تَعْبُدُوهُ بِسِوَى مَا قَدْ شَرَعْ ... قَدْ نَتَقَرَّبُ بجلْبِ مَا نَفَعْ

أو دَفْعِ مَـــا ضَرَّ لَمخلُوقٍ وَلاَ ... نَبْلُغُ ذَا مِنْ مَالِكِ المُلكِ - عَلاَ -

وَبِـــالرُّبُـــوبِيَّـــــةِ وَحِّـــدُوهُ ... فَهْوَ الذِي تَعْنُوا لَهُ الوُجُوْهُ

لا تَجْعَلُوُا إذَا دَعَوتُمْ وُسَطَا ... بَينكُمُ وَبَيْنَهُ فَهُوَ خَطَا

ذَلِكَ، والإيمانُ كُلٌّ قَدْ شَمَلْ ... عَقْدًا بقَلْبٍ مَعَ قَوْلٍ وَعَمَلْ

بِنِيَّـــةٍ فِي سُنَّـــةٍ وَبِالعَمَـــلْ ... زِيَادَةً ونَقْصًـــا المِثْلَ احْتَمَـــلْ

وَالوَحْيُ حقٌّ لَيْسَ قَوْلاً يُخْتَلَقْ ... وَالكُتْبُ حَقٌّ وَالمَلائِكَةُ حَقّ

وَالرُّسْلُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّ العَرَبِيْ ... خَاتِمُهُمْ، أعْلاهُمُ فِي الرُّتَبْ

وَكُلُّهُمْ أُوْتِيَ إذْ جَا بِالبُشَرْ ... (مَا مِثْلُهُ عَلَيهِ آمَنَ البَشَرْ)

وَإنَّمَـــا كَـــــانَ الَّذِي الأوَّاهُ ... أُوتِيَـــهُ وَحْيًـــــا إليـــه اللهُ

أوْحَاهُ فَهْوَ أكْثَرُ الجَمَاعَهْ ... متَّبَعَاً يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَهْ

كَمَا رَجَا، كَذَا مِنَ الّذِي اصْطُفِي ... بِهِ الشَّفاعةُ لأهْلِ المَوْقِفِ

فَآمِنُـــوا بِـــهِ وَمَا أتَى بِـــهِ ... فَاقْفُوا وَإنْ لَمْ يَأْتِ فِي كِتَابِه

فَإنَّـــــهُ أُوتِيَ مثلُـــــهُ مَعَهْ ... مِنْ حِكْمَـــةٍ وَسُنَّـــةٍ متَّبَعَـــهْ

وَاليَومُ الآخِرُ وَمَا قَدِ اشْتَمَلْ ... عَلَيهِ مِنْ حَشْرٍ وعَرْضٍ لِعَمَلْ

حقٌّ، كَذَا الوَزْنُ وَمَا بِهِ التَحَقْ ... وَالنَّارُ حَقٌّ وَكَذَا الجَنَّةُ حَقّ

[حقٌّ عَذَابُ القَبْرِ، والأشْرَاطُ ... وَالبَعْثُ بَعْدَ المَوتِ وَالصِّرَاطُ][1]

وَالْكَتْبُ لِلأشْيَاءِ فِي الذِّكرِ سَبَقْ ... مِن قَبلِ أن تُخْلَقْ فَهُوَ المُنطَلَقْ

وكلُّ ذَا فِي الذِّكرِ جَا أو فِي الخَبَرْ ... وَالآنَ ابتَدِءُ نَظْمَ المُختَصَرْ

---

1 - هذا البيت من إضافة العلامة محمد الحسن الددو.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل شهادة التّوحيد مفتاح باب الجنّة، وبعث نبيه محمدا ﷺ بالقرءان والسنة، ورضي الله عن صحابته الذين مهدوا للبشرية سبيل الخروج من كّل شرك وفتنة، وعلى آله ومن تبعهم إلى يوم الدين، حيث نفوس أهل الشرك خائفة، وأهل التوحيد مُطْمئنة.

أمّا بعد: فإنّه لما كان توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو أسمى غاية، وأرفع راية، بعث الله الرسل والأنبياء لتعليمه ودعوة الناس إلى رحابه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النَّحۡلِ:36]، وأرشد الله خاتمهم وأفضلهم إلى معرفة حقيقة التوحيد ونشره، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[مُحَمَّدٍ:19]، وأُمِر ﷺ بالقتال لتحقيقه، وتوطيد دعائمه حتّى يُعبدَ اللهَ وحدَه لاشريك له، فعَن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ»[1].

وَعَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «لَمَّا تُوُفي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكانَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العربِ، فَقَالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقدْ قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَقُولُوا لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّه فَمَنْ قَالَها، فقَدْ عَصَمَ مِنّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحقِّه، وَحِسَابُهُ عَلى اللَّهِ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: واللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، فإِنّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لَو مَنعُوني عِقَالًا كانَوا يُؤَدونَهُ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى منعِهِ، قَالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُو إِلاَّ أَن رَأَيْتُ اللَّه قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ للقِتَالِ، فَعَرفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»[2].

1 – البخاري(25) ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله(22).
2 – البخاري(6924) و مسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (20).

وعن أَبي أَيوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبيِّ ﷺ: «أَخْبِرْني بِعَملٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّه وَلاَ تُشْرِكُ بِه شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ»[1].

ولمّا كان الأمر يتعلّق بتمحيص التّوحيد وإخلاصه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والفرار من الشّرك وسبل الضّلال، كتب علماء الأمّة كتبا تقرّر التّوحيد الحقّ الصّافيّ، من قبل أن يتدنّس محياه بوضَر علم الكلام، والذي اعترف أهله بأن علم السّلف أسلم، وليُفردوا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادة، ليقرّروا بذلك إقامة الحجّة وبيان المحجّة حتى لاتزلّ قدم في مهاوي الشّرك، ومعاطب الخبال، وكان من بين العلماء العاملين، والجهابذة المخلصين، شامة العصر، وشيخ الإسلام في اللّغة وسائر الفنون، شيخنا العلامة الفقيه اللّغويّ الحجة محمّد سالم ولد عالي بن عبد الودود الملقب (عدّود) نوّر الله ضريحه، وقدّس روحه، فنظم نظما في العقيدة فائقا، وزيّنه بمعالم الوحي فأصبح به رائقا، وجعله في صدر نظمه لمختصر خليل فكان عقدا من النّور شاهدا وسائقا، وسماه «مجمل اعتقاد السلف» من غير تكلّف ولاتلف، فرضي الله عن شيخنا وأسبل عليه هوامع الرّحمات، وأسكنه ووالدينا ومن نحبّ عالي الغرفات، ثمّ إنّني تعلقت بهذه المنظومة الرائقة أيام الطلب، وكتبت حروفا في شرحها وبيان معانيها أيام إقامتي بشنقيط، غير أنني ما استوفيت ذلك وحال بيني وبينها شؤون فتناسيت الأمر، ويشاء ربي سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبعث في أمل العمل من جديد، فاستخرته جلّ في علاه في وضع شرح ميسّر، غير طويل مملّ، ولاقصير مخلّ، لفتيان الإسلام وفتياته الذين تنعقد على نواصيهم فواتح النّصر والتّمكين، وترنو إليهم الأمّة ليكونوا قادة العزّ والمجد المكين، فرسمت في ثناياه سطورا تبيّن أدلّة الشّيخ فيما أصّله، ونصّ عليه وفصّله، لاسيما وقد قال في ختمه لذلك:

والكلّ ذا في الذّكر جا أو في الخبر.....

فأقول مستعينا بالحي القيوم، متبرئا من حولي وقوتي ومعتصما بحول الله وقوته

1 – البخاري(1396) ومسلم في الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة(13).

(مسترشدا مستعصما بالله جلّ من زلل في كل قول وعمل) [1]

بادئا بما بدأ به شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

01 - بِالْبَدْءِ بِسْمِ اللَّهِ فِي التَّقْدِيمِ والوَصْفِ بِالرَّحمَنِ وَالرَّحِيم

بدأ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمة نظمه «بـ«بسم الله»» الموصوف «بالرحمن والرحيم»، استنانا بالكتاب العزيز، حيث إن أوّل سورة في المصحف الشّريف افتتحت بالبسملة[2]، والحمدلة، ولماَ كان النبّي الكريم ﷺ يفعله حيث كان يفتتح بها كتبه إلى الملوك والعظماء، والحكّام الوجهاء، وحثّنا على ذلك قائلا كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيهِ بالحمدِ أقْطَعُ»[3].

والرّحمن والرّحيم اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى، فاسم الرّحمن عائد على الرّحمة الذاتية، والرّحيم دالّ على الرّحمة الفعليّة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ الرّحمن دالّ على الصفة القائمة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والرّحيم دالّ على تعلقها بالمرحوم، فكان الأوّل للوصف، والثّاني للفعل، فالأوّل دالّ على أنّ الرّحمة صفته، والثاني دالّ على أنّه يرحم خلقه برحمته ولذلك رحم آدم عليه السّلام وحواء، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: 43]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: 117]، ولم يجيء قط أنّه رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة والرحيم هو الرحيم برحمته، وبهذا التقديم جاء شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبسملة كاملة.

1 - البيت من مقدمة نظم شيخنا محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمختصر خليل انظر التسهيل والتكميل (1/2).

2 - وقد افتتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتابه بالبسملة، وافتتح سليمان عليه السلام كتابه إلى ملكة سبأ بالبسملة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[النمل: 30]، وافتتح النبي ﷺ كتابه إلى هرقل بالبسملة، وكان ﷺ يفتتح خطبه بحمد الله والثناء عليه، وقد ذهب أكثر الفقهاء إلى مشروعية البسملة واستحبابها عند الأمور المهمة. جاء في الموسوعة الفقهية (8/92) «اتفق أكثر الفقهاء على أن التسمية مشروعة لكل أمر ذي بال، عبادة أو غيرها» اهـ.

3 - رواه الإمام أحمد في «المسند »(8712)، وأخرجه أبو داود (4840) باختلاف يسير، والنسائي في «السنن الكبرى» (10328)، وابن ماجه (1894) واللفظ له، وأحمد بنحوه. وقد روي الحديث بألفاظ أخرى وقد حَسَّن الحديث أو صححه جماعة من العلماء، فقد حسنه النّووي وابن حجر، وصححه ابن دقيق العبد وابن الملقن.

ومعنى البيت: أبدأ نظمي هذا ببسم الله واصفا إياه بالرحمن الرحيم.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: 1] قَالَ: «هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا بَيْنَهُ، وَبَيْنَ اسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ إِلَّا كَمَا بَيْنَ سَوَادِ الْعَيْنِ وَبَيْنَ بَيَاضِهَا مِنَ الْقُرْبِ» لَفْظُ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ.[1]

التعريف بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

02 - قَـالَ مُحَمَّدٌ بِسَـالِمٍ شُفِعْ نَجْلُ مُحَمَّدٍ بعَالٍ قَدْ تُبِعْ

قال الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معرّفا بنفسه، أن اسمه محمد وشفع بسالم فصار اسما مركبا، ومن عادة أهل تلك البلاد أنهم يسمون أبناءهم بمحمد ثم يركبون له اسما آخر حسنا، والغرض من التعريف باسمه أنه لما عُلم عند العلماء قديما وحديثا، بأنّ الكتب المجهولة لايوثق بها عادة، ولايجوز العمل بها، وللكتب أنساب كما لبني الإنسان أنساب، ولذلك فإنّ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بالتعريف بنفسه، لتحصل الثقة بكتابه، قال الإمام شهاب الدّين القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى هذا تحرُمُ الفتوى من الكتب الغريبة التي لم تَشتهر، حتى تتظافَرَ عليها الخواطرُ ويُعلَمَ صِحَّةُ ما فيها، وكذلك الكتبُ الحديثةُ التَّصنيفِ إذا لم يَشتهرْ عَزْوُ ما فيها من النُّقول إلى الكتب المشهورة، أو يُعلَمْ أنَّ مُصنِّفَهَا كان يعتمدُ هذا النّوعَ من الصّحّة، وهو موثوق بعدالته، وكذلك حواشي الكتب تَحرُمُ الفتوى بها لعدم صحّتها والوثوقِ بها »[2].

وقد علَّق العلامة القاضي ابن فرحون في تبصرته على الجملة الأخيرة بقوله:

---

1 – رواه البيهقي في شعب الايمان(2123) والحاكم (2027). بإسناد قال عنه:صحيح. ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

2 – الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام (ص245)للعلامة أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684 هـ)/اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة/ الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: الثانية، 1416 هـ – 1995 م.

«ومُرادُه إن كانت الحواشي غريبةَ النقل، وأمَّا إذا كان ما فيها موجودًا في الأمّهات أومنسوبًا إلى محلّه، وهي بخطٍّ من يُوثَقُ به،فلا فرق بينها وبين سائر التّصانيف.

ولم تزل العلماءُ ينقلون ما على حواشي كتب الأئمّة الموثوقِ بعلمهم المعروفةِ خطوطُهم، وذلك موجود في كلام القاضي عياض والقاضي أبي الأصبغ بن سَهْل وغيرهما، إذا وجدوا حاشيةً يعرفون كاتبها نقلوا ذلك عنه ونسبوها إليه، وأدخلوا ذلك في مصنَّفاتهم، وأمَّا حيث يُجهَل الكاتب ويكونُ النقلُ غريبًا فلا شكَّ فيما قاله القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ». ا.هـ[1].

ويقول المقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يذكر أنّ النّاس «استباحوا النّقل من المختصرات الغريبة أربابها،ونسبوا ظواهر مافيها لأمّهاتها... ثمّ تركوا الرّواية فكثر التّصحيف،وانقطعت سلسلة الاتّصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب لايدرى مازيد فيها ومانقص منها، لعدم تصحيحها وقلّة الكشف، فصارت تؤخذ من كتب المسخوطين كالأخذ من المرضيّين، بل لاتكاد تجد من يفرّق بين الفريقين، ولم يكن هذا فيمن قبلنا حتّى تركوا كتب البرادعي على نبلها، ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التّهذيب...» ا.هـ[2].

قلت: فكيف بزماننا الذي كاد أكثر المؤلفين ينقطعون عن النظر في الكتب إلاّ لماما لما وجدوا هذه الثورة الالكترونية والتي حشرت الكتب في ثناياها حشرا، وكثر فيها السّقط والتّحريف فهذا أولى بتأكيد النظر والرّجوع إلى أمهات من الكتب.

ولقد أكرمنا الله بقراءة شيء من هذه المقدمة على شيخنا المبارك بن المباركين

---

1 – تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (1/295-296) /للعلامة إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)/ تحقيق الدكتور عثمان بن جمعة ضميرية /طبعة وزارة الأوقاف القطرية /2016-1437.

2 – نيل الابتهاج (247) وتعريف الخلف (1/97) نقلا عن محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي (ص102). وانظر الكتب التي حذر منها العلماء ومن الفتاوى منها المصدر السابق (103) وانظر نظم البوطليحية لمحمد النابغة بن عمر الغلاوي المتوفى سنة 1245هـ)،(ص65 فمابعدها) تحقيق يحي بن البراء ط/ المكتبة المكية 2002-1422.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وصححناها على فضيلته، وازددنا شرفا بإجازة شيخنا العلامة محمد الحسن الددو حفظه الله وأنار دروب مسالكه بالخيرات لجميع مروياته عن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم نكن زمن تحصيلنا على شيخنا محمد سالم نعتني بشأن الإجازة لقلّة بضاعتنا ولازالت كذلك والله المستعان، حتّى جئنا إلى المشرق الإسلامي فوجدنا ورما قد استُسمن، وأن الناس سراعا يتزاحمون على الإجازات دون اعتبار لحفظ العلم، وصيانته، ومراجعته، وتدريسه، فأصابنا من بخارهم- ولاحول ولاقوة إلا بالله- ما أصابنا ! حين أصبح العلم يقاس بعدد الإجازات الورقية، قلت: وقد تأكّدنا يقينا من نسبة النّظم إلى مؤلفه قراءة عليه، وسندا معضّدا إليه، وإجازة عالية من شيخنا الددو حفظه الباري والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فمن هو شيخنا الجليل محمد سالم؟

هو محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود -الملقب بـ«عدّود»- ولد يوم 16 ديسمبر/كانون الأول 1929، في ضواحي بوتلميت بولاية الترارزة في الجنوب الغربي الموريتاني، ونشأ في أحضان أسرة علم حرصت على تربيته وتعليمه، فنشأ الفتى سمهريًّا باترًا لكلّ مايلقاه من عويص النّصوص.

تربّى في بيئة علمية تمارس العلم دراسة وتدريسا ومذاكرة، فحفظ القرآن في سنّ مبكرة، وكانت المدّة التّي استغرقها حفظه للقرآن 19 شهرا، وفقا لرواية ابنه.

وقد تميّز بسرعة الحفظ والقدرة على الاستيعاب، وانتبه والداه لمواهبه الفذّة فأخذا يدربانه على قرض الشّعر ومطالعة الكتب ومدارسة الطّلاب، فكان يحضر جميع دروس والده، ممّا وفر عليه كثيرا من الوقت، وسرّع وتيرة تحصيله العلمي واستيعابه لمقررات المحضرة [1] (الكُتَّاب).

---

1 - المحاضر: جمع محضرة: في التهذيب، العرب تقول: حي حاضر، بغير هاء، إذا كانوا نازلين على ماء، وفلان حاضر بموضع كذا، أي مقيم به، وهاؤلاء قوم حضار، إذا حضروا المياه، ومحاضر.

قال لبيد بن ربيعة الشاعر: أَقوى وَعُرِّيَ واسِطٌ فَبَرامُ مِن أَهلِهِ فَصُوائِقٌ فَخِزامُ

فَالوادِيانِ فَكُلُّ مَغنىً مِنهُمُ وَعَلى المِياهِ مَحاضِرٌ وَخِيامُ

وأنشدها الشيخ يوما ثم قال: أما نحن فعندنا: وعلى المياه دفاتر وقلام.

وبفضل قدرته على الحفظ استوعب المتون المقرّرة في المحاظر الموريتانية قبل أن يكمل عامه السابع عشر، فبرز عالما متبحرًّا في القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، وتميّز بالموسوعية في علوم الشريعة الإسلامية واللّغة العربية، وعلم الأسانيد والجرح والتعديل.

ابتعث إلى تونس في أوّل بعثة من القضاة الشّرعيين للتدريب فيها، فدرس القانون وحصل على شهادة «ليسانس» في الحقوق من جامعتها، وتلقّى العلم على يد علماء كبار فيها حصل منهم على إجازات في علوم اللغة العربية، والشّريعة الإسلامية.

الوظائف والمسؤوليات:

التحق الشيخ محمد سالم بالقضاء، وكان من نخبة من القضاة الشرعيين الذين تلقوا تكوينا في القانون، تدرج في سلك القضاء، فتولى منصب نائب رئيس المحكمة الابتدائية، ثم نائبا لرئيس المحكمة العليا، ورئيسا للغرفة الإسلامية فيها فترة طويلة حاول فيها جاهدا لإلغاء القانون الوضعي في البلاد واستبداله بقانون شرعي حتى تم له بعض ذلك.

توّجت مسيرته في القضاء بتولي رئاسة المحكمة العليا (أعلى منصب قضائي) بموريتانيا في الفترة 1984-1987، قبل أن يصبح وزيرا للثقافة والتوجيه الإسلامي في الفترة 1987-1992، ورئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى في الفترة 1992-1997.

وإلى جانب مهامه الرسمية، مارس التدريس في جلِّ مؤسسات التعليم العالي في موريتانيا، فدرَّس في المدرسة العليا للتعليم، والمدرسة الوطنية للإدارة، والمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وكلية القانون في جامعة نواكشوط.

حظي بمكانة مرموقة في بلاده وفي العالم الإسلامي، ونال عضوية العديد من المؤسسات والهيئات العربية والإسلامية، منها مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، والأكاديمية المغربية، ومؤسسة آل البيت الأردنية.

وكانت له مشاركات واسعة ومثمرة في مؤتمرات الثقافة والفكر في العالمين العربي والإسلامي، وتفرغ في العقدين الأخيرين من عمره لمحظرته في قرية أم القرى، وترك العمل الرسمي باستثناء محاضرات كان يلقيها في رمضان وتبث عبر الإذاعة والتلفزيون الرسميين.

المؤلفات

ترك العديد من الكتب والمؤلفات، من بينها «التسهيل والتكميل مع التذليل والتذييل»و الذي نظم فيه مختصر خليل في الفقه المالكي وشرحه، ونظم لجامع خليل بن إسحاق الذي ذيل به مختصره، ونظم لمتن ابن قدامة الحنبلي، ونظم لفهرس تبصرة الحكام لابن فرحون. وله مؤلفات أخرى في الفقه واللغة والسيرة والاجتهاد وقضايا العصر.

تلامذته:

لايمكن عدّ تلامذة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولاحصرهم لكثرة الوافدين إليه ويكفي أن شامتهم شيخنا محمد الحسن الددو، والشيخ إبراهيم ولد يوسف ولد الشيخ سيدي، وغيرهم كثير يعدون بالآلاف، فما حل بقُطْر إلا تتلمذ عليه أعيانها من الوجهاء والعلماء وطلبة العلم.

الوفاة

توفي شيخنا محمد سالم ولد عدود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقدس الله روحه، ونور ضريحه، يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى 1430 الموافق لـ: 29 أبريل/نيسان 2009.[1]

1 – أغلب هذه الترجمة مأخوذة من ترجمة لشيخنا محمد الحسن الددو وغيره في مواقع الشابكة.

قال النّاظم:

02 - ..... نَجْلُ مُحَمَّدٍ بعَالٍ قَدْ تُبِعْ

النّجل: قيل الوالد وقيل النسل وهو مصدر (نجله) أبوه (نجلا)، و(نَجَلْتُه) استخرجته (المصباح بتصرف يسير)، أي محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود، وأبوه علامة عصره وفارس مصره.

03 - الهَاشِمِيُّ[1] المُنتَمِي بِالأَسِّ إلى المُبَارَكِ الذِي للخَمْسِ

الهاشمي: أي الذي ينتهي نسبه إلى بني هاشم بن عبد مناف، فهو من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

المنتمي بالأسّ إلى المبارك: أي الذي أساس انتمائه، إلى جدّه الأعلى المسمّى بالمبارك بن أحمد.

الذي للخمس: وكذا انتماؤه إلى تجمع قبليّ يدعى (تَشَمْشَ)، هو مصطلح يطلق على مجموعة من قبائل الزوايا القاطنة بمنطقة «الكبلة» بالكاف المعقودة، وتعود أصولها إلى خمس رجال تعاهدوا على إقامة الشريعة بأرض «إكيدي»، وهم ابهنضام جدّ أهل باركل واليعقوبيين، وإيداج جدّ قبيلة اليداليين، وادبيالي يعقوب جد الالفغين، ويدمس بن عامر بن بهني جد البهناويين، وامهنض امغر جدّ الديمانيين، وقد اشتهر أوائلهم بالعلم والورع والتقوى، تخصصت هذه القبائل في العلم فصاروا أرباب القلم بعد هزيمتهم في حرب «شرّ بَبَّهْ» من طرف القبائل الحسانية، وإليهم ينتسب العديد من العلماء من بينهم محنض بابه ولد اعبيد، ومحمد اليدالي، وأحمدو ولد احبيب وغيرهم.

---

1 - وفي نسخة الشيخ في التسهيل (1/1):« الساحلي » نسبة إلى ساحل بحر الظلمات (الأطلسي) وفي ذلك إشارة إلى الرباط.

وهذه القبائل تآلفت وتحالفت على نصرة الدين وتطبيق شرع ربّ العالمين، في بلاد شنقيط والتي كانت تسمى ببلاد السَّيْبَة.

04 - ثـمَّ إلى يَعقُوبَ مِنهَا يَنتَمِيْ بِـاللهِ رَبِّي اعتَـزِي وَاحتَمِي

ذالاعتزاء: الادّعاء والشّعار في الحرب.

ثمّ ينتهي نسبه إلى يعقوب وهي إحدى القبائل الخمس «جدها عضو مؤسس للتجمع المذكور» وهنا ابتسم شيخنا عندما كنت أدرس عليه في هذه المقدمة المباركة وقال هذا النسب لا أعتزّ به، ولاأحتمي به، وإنما احتمي وأعتزّ بالله ربي وحده لاشريك له عليه توكلت وإليه مآب، وذكر النسب للتعريف فقط.

05 - أَحْمَـــدُهُ جَلَّ كَمَا ابْتَدَانِي بِنِعَـمٍ مَـالِي بِهَا يَدَانِ

وبعد أن بدأ النظم بالبسملة، ثنّى بحمده والثّناء عليه جَلَّجَلَالُهُ، والحمد هو: «هو الثناء بالجميل الاختياري على وجه التّبجيل والتّعظيم للمحمود بالكمال محبّة وتعظيما، فإنّ وصفه بالكمال لامحبّة ولاتعظيما، ولكن خوفا ورهبة سميّ ذلك مدحا لاحمدا، فإنّك تحمد الظّالم تحت وطأة الظّلم خوفا من سيفه فذاك مدح لاحقيقة له في الحمد».

على أيّ شيء أحمده؟ على كلّ شيء، ولاسيما أنّه ابتدأني من غير سؤال منّي بنعمٍ كثيرة لايدَ لي فيها ولاقدرة لي على تحصيلها، سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من كريم وهّاب، ولولا كرمه ومنته ماكنت شيئا، ولولا عطاؤه ماتنعمت بوجود، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعطي مايشاء لمن يشاء، كما يشاء متى ماشاء، يعطي بالسؤال ومن غير السؤال، لايحجبه دعاء عن دعاء، قال ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته «الحمد الله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته» وبهذه الجملة ربط الشيخ بين مراجع المذهب المالكي رسالة وخليلا كما أشار إلى ذلك في الشرح.

06 - ثُم أصلي وَأُسَلِّمُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَمَنْ تَلاَ

بعد أن حمد الله وأثنى عليه،ثلّث بالصّلاة والسّلام على نبيّه ﷺ، لأنّه أعظم نعمة أهداها لنا خالقنا، ومتمثلا لأمر الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: 56].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله هذا التّسليم فكيف نصلّي عليك؟قال:«قولوا: اللّهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم» [1].

قال ميارة رَحِمَهُ اللَّهُ (فائدة): «قال الرّصّاع ناقلاً عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن عبد السّلام لايتوهم المصلّي على النّبي ﷺ أنّ صلاتنا عليه شفاعة منّا له عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في زيادة رفعته،وبلوغ أمنيته فإنّ مثلنا لايشفع لعظيم القدر عند ربّه،ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا،وأنعم علينا، ولمّا أحسن إلينا رسول الله ﷺ إحساناً لم يحسن إلينا أحد كإحسانه،ولاأكرمنا مخلوق مثل إكرامه،وكنّا عاجزين عن مكافأة سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين،أمرنا ربّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نرغب إليه بأن يصلّي هو عليه لتكون صلاة مولانا عليه مكافأة له منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لإحسانه إلينا وأفضاله علينا إذ لا إحسان أفضل من إحسانه إلاّ إحسان خالقه المنعم ببَعْثِه رحمةً إلى خلقه ﷺ».ا.هـ [2].

وللنّبيّ ﷺ أسماء كثيرة منها ما جاء في موطإ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أسماء: أنا محمّد، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الّذي يحشر النّاس على قدمي، وأنا العاقب» [3].

(وآله): الآل هم أتقياء أمّته ﷺ كما هو قول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لتعميم الدعاء كما

1 - البخاري (4798).

2 - الدر الثمين والمورد المعين (1/14) / للشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي/المحقق: عبد الله المنشاوي/ الناشر: دار الحديث القاهرة/ سنة النشر: 1429هـ - 2008م.

3 - الموطأ لمالك(3676/ 844).

قاله الأزهري وجماعة ونقله النفراوي[1]، بخلاف باب الزكاة فإنّ المراد بهم أقاربه المؤمنين وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العبّاس، وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النّبي ﷺ.

ولم يذكر الشيخ الصحابة كما هو المعتاد عند عامة المصنفين ومن نظم بالترضي عنهم عقب النبي وآله، فقد أشار الشيخ في التسهيل أنهم يدخلون في (من تلا) دخولا أوليًّا[2]، فيشمل الصّحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أو يمكن إدخالهم في الآل كما تقدم من أن كل مؤمن تقي هو آل النبي ﷺ.

والصّحابة جمع صاحب، وهو كلّ من لقي النبيّ ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك وإن وقعت ردَّة بين لقيِّه ﷺ وبين موته (أي من ارتدّ ثمّ رجع) على الأصحّ[3].

07 - وَبَعْدُ، فَالعَبْدُ الفَقِيرُ نَظَمَا نَظْمًا بِفِقْهِ مَالِكٍ يَجْلُو الظَّمَا

وبعدُ: تُضَمُّ دَالُهُ وأجاز الفرّاء فتحه منوّنا: أما بعداً، وهشام فتحه بدون تنوين،وأنكره النّحاس.

وقال جماعة أمّا بعد: هي فصل الخطاب، واختلف في أوّل من قالها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقيل داود عليه السّلام رواه الطبراني مرفوعا من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفي إسناده ضعف، وروى عبدُ بن حميد والطبراني عن الشعبي موقوفا أنها فصل الخطاب الذي أعطيه داود، وأخرجه سعيد بن منصور من طريق الشعبي فزاد فيه عن زياد بن سمية.

وقيل أوّل من قالها يعقوب رواه الدارقطني بسند رواه في غرائب مالك.

---

1 - الفواكه الدواني (1/125) ط/مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2004.

2 - التسهيل والتكميل مع الذليل والتذييل لشيخنا الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1/1).دار الرضوان، نواكشوط - موريتانيا /1434هـ، 2012م.

3 - انظر شرح النزهة (116-115) وشرح ألفية السيوطي في الحديث للشيخ محمد ابن الشيخ العلامة علي بن آدم الأثيوبي (2/187).

وقيل أوّل من قالها يعرب بن قحطان، وقيل كعب بن لؤي أخرجه القاضي أبو أحمد الغساني من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن بسند ضعيف،

وقيل سحبان بن وائل، وقيل قس بن ساعدة، والأول أشبه.اهـ،

وبوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابا فقال: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد[1].

فالعبد الفقير: الفاء: واقعة في جواب الشرط، وأصل أما بعد: بمعنى مهما يكن من شيء فكذا.

قال ابن مالك:

أمّا كمهما يك من شيءٍ وفـــا لتلو تلوها وجـوباً ألفـا

وحذف ذي الفا قلَّ في نثرٍ إذا لم يك قول معها قد نُبِذا

العبد: خلاف الحرّ، وهو بمعنى المملوك، وأصل المملوك أن يتذلل لسيده، وإذا كان بمعنى المملوك صح إطلاقه هنا على الحرّ والعبد لأنّ كليهما عبدين مملوكان للملك الديان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعبودية نوعان عبودية خاصة، وهي لأولياء الله من الأنبياء والرسل والصالحين قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الفُرقَان:63]، وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[الإِسْرَاء:1]،﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾[صٓ:17]، ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[صٓ: 45].

وما ينسب: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي قوله:

ومما زادني فخـــرًا وَتِيـــهًا وَكِدْتُ بأخمصي أطأ الثريّا

دخولي تحت قولك يا عبادِي وأنّ سيَّرْت أحمـدَ لي نبـيًّا

وقال الآخر:

لاتدْعُنِي إلاَّ بياعبدَها فإنّه من أشرفِ أَسْمَائِي

1 - فتح الباري (2/470).

وعبودية عامة وهي عبودية القهر من الخالق القهار لخلقه كلهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[مَرْيَمَ: 93].

والعبادة مصدر، ومعناه يعود على كلّ شيء يحبّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويرضاه من الأقوال والأفعال الظّاهرة والباطنة، مع ذلّ العبد وإخلاصه له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعبادة الرحمن غاية حبّـه ... مع ذلّ عابده هما قطـــبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتّى قامت القطبان

(الفقير): صفة مشبهة من فقِر بكسر العين كتعب وزنا ومعناه المحتاج، قال في المصباح: «الفقير فعيل بمعنى فاعل يقال فقِر يفقَر من باب تعب إذا قلَّ ماله، قال ابن السراج ولم يقولوا فقر أي بالضّمّ استغنوا عنه بافتقر والفقر بالفتح والضم لغة اسم منه» [1]،لأنَّ الإنسان ومن سواه مفتقر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقيل: الفقر مأخوذ من فَقَارِ الظّهر.

ووصف المؤلف نفسه بالفقر استجلابا لرحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعونه، ولولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما كان لنا شيء ولا منّا شيء، فله الحمد والشكر.

نَظَمَا نَظْمًا: النظم ضد النثر، والنظم: هو ضم الكلمات حسب ما يقتضيه الحال وفق التقليد المأثور عن العرب باعتباره المقياس الحقيقي للبلاغة، وهو التأليف في الكلام ليصبح حسنا مقبولا.

وللعلماء محاورات ومناظرات في تفضيل النظم عن النثر أو الأخير عن سابقه، ويبقى أن النظم أعلق بالذهن من النثر ولذلك ذهب كثير من أهل العلم إلى نظم المنثور فلايكاد يوجد فنًّا إلاَّ وقد نظموه.

قال صاحب المرتقى:

---

1 – المصباح المنير مادة«فقر».

والنّظمُ مُدنٍ منه كلّ ما قصى مذلل من ممتطاه ما اعتصى
فهو من النثر لفهم اسبـــق ومقتضـــاه بالنُّفوس أعْلَقُ

وإنه لمن الطريف أن شيخنا نظم القانون الدولي العام في 914بيتا من الرجز المشطور، والشناقطة لان النظم لهم وانقاد كما لم يكن لغيرهم مثله.

بفقهِ مالكٍ يَجْلُو الظَّمَا: أي أنّ الشيخ نظم مختصر خليل بن إسحاق المالكي والذي حوى ماعليه الفتوى في مذهب مالك رحم الله الجميع.

يجلو الظَّمَا: الظما: «يحتمل أن يكون مهموزا بمعنى العطش، فيجلو بمعنى: يذهب، ويحتمل أن يكون مقصورا مصدر ظَمِيَتِ الشفة ذبلت في سمرة أو اللثة قل دمها فيجلو بمعنى يبدي»[1]، وذلك لأنّ من أحرز هذا النّظم وحفظه وفهمه زال عنه العطش الفقهي لاسيما فقه مالك لاحتوائه على جلِّ مسائل المذهب.

(وفقه مالك) الفقه:في اللّغة:الفهم.

اصطلاحا: هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

والإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الإمام العلم المحدث الزّاهد السّعيد في الدّنيا والآخرة – إن شاء الله –، مالك بن أنس[2] بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان ابن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني[3]، ولد عام 93هـ، على أشهر الأقوال،وقيل 94،وقيل 96،وقيل غير ذلك[4]، وتوفي سنة 179هـ.

وأمّه العاليّة بنت شريك الأزدية،نشأ في بيت علم وصلاح، فأبوه أنس كان عالما

1 –التسهيل والتكميل(1/1).

2 – انظر ترجمته الزكية بتوسع في:ترتيب المدارك للقاضي عياض، والانتقاء لابن عبدالبر، ومناقب مالك للزواوي، وسير أعلام النّبلاء وغيرهم كثير ممن ترجم له،ولاتنسى كتاب محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي فهو من الكتب المفيدة في ترجمة مالك وسيرة مذهبه في المغرب الإسلامي.

3 – انظر الانتقاء لابن عبدالبر (10)، والمدارك لعياض (1/104) وانظر محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي (10).

4 – الديباج المذهب للعلامة باب التنبكتي (17) والمصدرين السابقين.

فقيها، وعمّاه: ربيع، ونافع، كانا عالمين محدثين، وجدّه مالك كان من كبار التّابعين، وجِلّة فقهائهم وعلمائهم يروي عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في آخرين.

قال عنه الذهبي في ترجمته: «قد كان هذا الإمام من الكبراء السّعداء، والسّادة العلماء، ذا حشمة، وتجمّل، وعبيد، ودار فاخرة، ونعمةٍ ظاهرةٍ، ورفعةٍ في الدّنيا والآخرة، كان يقبل الهديّة، ويأكل طيّبا، ويعمل صالحا، وما أحسن قول ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ فيه:

صموتٌ إذا مَا الصَّمتُ زيَّن أهلَه ... وفتَّاقُ أبكـارِ الكـلام المُخَتَّمِ

وَعَى مَا وَعَى القرآنُ من كلِّ حكمةٍ ... وسِيطَتْ له الآدابُ باللَّحمِ والدَّمِ[1]

عاش في المدينة، وتعلّم بها، ومات بها، فرحمه الله رحمة واسعة، وأجزل مثوبته، تجاوز القنطرة في الثقة والضبط والعدالة، فقد روى عنه أصحاب الصّحاح والسنن والمسانيد، وكتابه أصحّ الكتب بعد كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى خلاف في الرّتبة بعد الصحيحين، وهل هما إلاّ منه ومن أمثاله»[2].

قال أبو طالب المكي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان مالك أبعدَ النّاس من مذاهب المتكلّمين، وأشدَّهم بغضا للعراقيين(أي لمذهب المتكلّمين منهم)، وألزمَهم لسنّة السّالفين من الصّحابة والتّابعين.

قال عنه ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ فيما حدّث عنه نُعيم بن حمّاد قال سمعت ابن المبارك يقول: «ما رأيت أحدا ارتفع مثل مالك ليس له كثير صلاة ولا صيام إلاّ أن تكون له سريرة، قال الذهبي: قلت ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصّوم والصّلاة لمن أراد به الله»[3].

---

1 – سيطت: أي اختلطت انظر البيتين في كتاب سير اعلام النبلاء للذهبي ضمن ترجمة الإمام (8/ 133).

2 – انظر كتاب إضاءة الحالك من ألفاظ السالك على موطإ مالك ص (19–13)، ورجوع الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح عن تقديم صحيح البخاري في الصحة عن موطأ مالك. انظره تستفد.ط/دار البشائر الإسلامية.

3 – سير اعلام النبلاء للذهبي ترجمة مالك (7/ 180).

08 - رَامَ بِهِ نَعْشَ ذَمَاءِ المُحتَضَرْ مِمَّا (خَلِيلٌ) قَدوَعَى فِي المُختَصَرْ

رام به: أي قصد بهذا النظم.

نعش: النّعش الرفع والجبر بعد الفقر[1]، والإنعاش بمعنى إنقاذ من أشفى على الهلاك، ولذلك تسمى العناية المركزة التي يدخل فيها المريض إنعاشا، أي انقاذا لحياته من الهلاك.

ذماء: الذماء: بقيّة النّفس؛ قال أبو ذؤيب:

فَأَبَدَّهُنَّ حُتوفَهُنَّ فَهارِبٌ بِذَمائِهِ أَو بارِكٌ مُتَجَعجِعُ [2]

المحتضر: من الاحتضار وَهُوَ الْقرب من الْمَوْت فالمحتضر هُوَ الْقَرِيب مِنْهُ[3].

(ممّا خليل قد وعى في المختصر): أي من الذي أودعه خليل في مختصره الفقهي المشهور بـ: «مختصر خليل» وخليل بن إسحاق هو: خليل بن إسحاق بن موسى المالكي، المعروف بالجندي، وكان يسمى محمدا، ويلقب ضياء الدين، ولد سنة:727هجرية، سمع من ابن عبد الهادي، وقرأ على الرّشيدي في العربية والأصول، وعلى الشيخ عبد الله المنوفي في فقه المالكية، وشرع في الإشغال بعد شيخه وتخرّج به جماعة، ثمّ درّس بالشّيخونية، وأفتى وأفاد ولم يغيّر زي الجندية لأنّه كان يرابط في ثغر الإسكندرية.

وكان صيّنا عفيفا نزها، شرح مختصر ابن الحاجب في ستّ مجلدات، سماه التوضيح وهو مطبوع، انتقاه من شرح ابن عبد السلام وزاد فيه عزو الأقوال وإيضاح ما فيه من الإشكال، وله مختصر في الفقه مفيد نسج فيه على منوال الحاوي، ووقفت

1 - التسهيل والتكميل (1/2).

2 - تهذيب اللغة (15/21) للعلامة اللغوي محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) المحقق: محمد عوض مرعب/ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت /الطبعة: الأولى، 2001م.

3 - جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (3/161) للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ). عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص/الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت/الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.

من جمعه على ترجمة جمعها لشيخه عبد الله المنوفي تدل على معرفته بالأصول. أيضا. وكان أبوه حنفيا، لكنه يلازم الشيخ أبا عبد الله ابن الحاج ويعتقده فشغل ولده مالكيا بسببه، وكانت وفاة الشيخ خليل في شهر ربيع الأول سنة: 767 هـ[1]، والله أعلم.

وقد روى بعضهم أنّه لم ير النيل رغم مجاورته له قرابة عشرين سنة لاشتغاله بالبحث والمطالعة.

قال ابن مرزوق: «سمعت من غير واحد أنّه من أهل الدين والصلاح، مجتهد في العلم إلى الغاية، حتى أنّه لا ينام في بعض الأوقات إلاّ زمنا يسيرا بعد طلوع الفجر للإراحة من جهد المطالعة والكتب» ولعلّ ما يثبت هذا التفاني في البحث والتنقيب الذي أشار إليه ابن مرزوق التلمساني ما ذكره غيره «من أنّه أقام على تأليف مختصره خمسا وعشرين سنة» فجاء ما كتبه كالبرنامج الفقهي:«قالوا إنّه احتوى مائة ألف مسألة منطوقاً، ومثلها مفهوماً» ومقدرة خليل بن إسحاق العلمية ظهرت في مصنفاته الثلاثة (التوضيح والمختصر والمناسك) التي نقل منها العلماء كثيرا و اعتمدوها، وخاصّة مختصره الفقهي وكتابه التّوضيح.

وامتدحه الكثير منهم الشيخ ابن عاشر. الذي شغف بحب مصنفات خليل وخاصة كتابه التوضيح. فقال:

خليلي خليل قد شغفت بحسنه وتوضيحه صبحا بزينة حاجبه

وآليت لا آلوه شرحًا لغامض من الودّ يرضاه خليل وحاجبه

قال العلامة: محنض باب بن أعبيد الديماني مات خليل الفقه عام (وعذ) 776 هـ

قال الشيخ ابن غازي فيه في مقدمة شرحه: « ...إنّ مختصر الشيخ العلامة خليل بن إسحاق من أفضل نفائس الأعلاق، وأحق ما رمق بالأحداق، وصُرفت له همم الحذّاق...».

1 – كما جاء في كتاب: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. للحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقال الحطاب: « مختصر الشيخ العلامة ولي الله خليل بن إسحاق الذي أوضح به المسالك إذ هو كتاب صغر حجمه، وكثر علمه، وجمع فأوعى، وفاق أضرابه جنسا ونوعا، واختصّ بتبيين ما به الفتوى وما هو الأرجح والأقوى، لم تسمح قريحة بمثله، ولم ينسج على منواله إلاّ أنّه لفرط في الإيجاز كاد يعدّ من جملة الألغاز».

قال في كفاية المحتاج: « وقد عكف الناس على مختصره وتوضيحه شرقاً وغرباً حتى اقتصروا في بلاد المغرب كفاس ومراكش في هذا الوقت على المختصر فقط».

وخليل ومؤلفاته أشهر من نار على علم،«فلنكتف بماذكرنا، ولنصرف القول لما قصدنا» والله الموفق.

09 - وَلْيُدعَى بِـ«التَّسْهِيلِ وَالتَّكمِيلِ لِفِقْهِ مَتْنِ سَيِّدِي خَلِيلِ»

وليدع: أي وليسمى، وفي النسخة المطبوعة «وسِمْهُ» من السمة، أي هذا النّظم المبارك، وفي النسخة المطبوعة: وسِمْه بالتسهيل والتكميل.

بالتسهيل والتكميل.: من السهولة وهي تليين الشيء والمقصود بذلك الإيضاح والبيان.

والتكميل: أي يكمل مافات الشيخ خليلا، ويستدرك عليه ما أخطأ فيه، وقد اشتهر المختصر بقولهم: سيدي خليل، والسيد الشريف الذي نال السؤدد والمكانة العالية.

وإطلاق لفظ السيد على المستحق من أهل الإسلام جائز فقد قال الحافظ: وَوَقَعَ فِي مُسْنَد عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ طَرِيقِ عَلْقَمَةَ بْن وَقَّاصٍ عَنْهَا فِي أَثْنَاءِ حَدِيثٍ طَوِيل «قَالَ أَبُو سَعِيد: فَلَمَّا طَلَعَ- أي سعد بن معاذ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» [1]، فَقَالَ عُمَرُ: السَّيِّدُ هُوَ الله».

ولا وجه لمنع استعماله في غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ

1 - البخاري(3043) ومسلم(64 - (1768).

عُمَرُ يَقُولُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا -يَعْنِي بِلاَلًا-» [1]، وقال ﷺ في الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ» [2]، وفي سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُومُوا لِسَيِّدِكُم»[3].

ولكن الحذار من إطلاقها على المنافقين الفجّار، أو الكفرة الأشرار فإنّها تسخط الملك الجبّار جلّ جلاله فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال سول الله ﷺ:«لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدُنَا، فَإِنْ يَكُ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ» [4].

10 - وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى النَّفْعَا لِكُلِّ مَنْ فِيهِ سَعَى وَالرَّفْعَا

اللهم استجب دعاء شيخنا فينا، وفي كلّ من سعى في تعليم هذا الكتاب أوشيء منه أودعا إلى مافيه من المعتقد الصّحيح، والفقه النصيح، والأدب الفسيح، أو سعى في طبعه أوشرحه. آمين

سأل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ربّه بلسان الصدق أن ينفع بهذا النظم كلّ من سعى في شأنه كما ذكرنا آنفا، لأنه من العلم النافع، بل هذه العقيدة من أوجبها طلبا، لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فاعلم أنه لاإله إلا الله﴾، كما سأل الله أن يرفع ذكره في عليين، فإنّ من سعى في مسالك العلم حفظا، وفهما، ودراسة، وتدريسا، رفع الله ذكره وأعلى شأنه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[المجادلة:11].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء

---

1 - البخاري (3754).

2 - رواه البخاري(2704).

3 - رواه البخاري (3043) وانظر فتح الباري (6/191)كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَاب إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ رقم (3043).

4 - رواه أحمد (22939)، وأبو داود(4977)، و الترمذي في «السنن» بإثر الحديث (982)، والبيهقي في شعب الإيمان(4542) وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: (7405) في صحيح الجامع.

لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» [1].

11 - وَالحِفْظَ والتَّوفِيقَ في القُصُودِ وَقَبْــلَ أنْ أشْرَعَ فِي المَقْصُــودِ

التوفيق: (وفق): وفقه الله توفيقا سدّده، ووفق أمره يفق بكسرتين من التوفيق، ووافقه موافقة ووفاقا، (مصباح)؛ وهو: الإلهامُ للخَيْر، وهو أيضا الهداية والرشد والتأييد والتسديد، يقال: وَفَّقَهُ اللهُ أي ألهمه إيّاه وسدّد خُطاه وأنْجَحه فيما سعى إليه. وهو أيضا: سَدُّ طريق الشّرّ وتسهيل طريق الخير.

القصود: قال في المصباح: قصدت الشيء، وله، وإليه قصدا، من باب ضرب طلبته بعينه، وإليه قصدي ومقصدي بفتح الصاد، واسم المكان بكسرها نحو مقصد معيّن، وبعض الفقهاء جمع القصد على قصود[2].

وفي معجم اللغة المعاصرة: قَصْد[مفرد]: ج قُصود (لغير المصدر)[3].

أي واسأل الله لمن سعى في هذا النظم أن يحفظه الله، ويوفقه لتصحيح نيته والإخلاص لربّ البرية سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والتوفيق كما قال ابنُ القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العارفون بالله أنَّ التوفيق هو أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخْلِيَ بينك وبين نفسك» [4].

---

1 - رواه الترمذي (2682) صحيح.

2 - المصباح المنير مادة«قصد».

3 -معجم اللغة العربية المعاصرة (3/1820) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب/الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

4 -«مدارج السالكين» (1 /445).

وقبل أن أشرع في المقصود: أشرع من الشروع، قال ابن شميل: «يقال أشرع يده في المطهرة، إذا أدخلها فيها إشراعا، قال: وشرعت يده فيها، وشرعت الإبل الماء وأشرعناها»[1].

أي قبل أن أدخل في صلب ما أقصده من نظم سيدي خليل، والمقصود:المراد الذي أطلبه بعينه وإليه.

12 - أَذْكُرُ جُمْلَةً مِنَ العَقَائِدِ عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ الأَمَاجِدِ

فهاأنا أذكر جملة من العقائد، والجملة هي: العدد من المسائل التي اتفقت في أصلها فكانت على نسق واحد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[الفُرْقَانِ: 32]. قال الزمخشري:«قالوا: هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وماله أنزل على التفاريق... ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه»[2].

وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «لاَ، هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»[3].قال: «جملوه أي أذابوه»؛ والجملة كأنّها جمعت أطرافها فأذيبت فأصبحت كتلة واحدة.

من العقائد: جمع عقيدة، والعقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شكّ، بغضّ النّظر عن صحّتها أوبطلانها.

---

1 - تهذيب اللغة (باب العين والشين واللام) مرجع سابق.
2 - الكشاف للزمخشري (3/278).
3 - البخاري (2236) و مسلم(1581).

وكلمة عقيدة في اللّغة: مأخوذة من مادة (عقد) ومدارها على اللّزوم والتّأكد والاستيثاق، ففي القرآن: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾[المَائِدَة:89]، وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه.

ويُقال (عَقَدَ الحبْل) أي: شدّ بعضه ببعض، والاعتقاد: من العقد وهو الرّبط والشّدّ، يقال: اعتقدت كذا، يعني: جزمت به في قلبي، فهو حكم الذهن الجازم.

والعقيدة في شرعنا هي: أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، ويؤمن بها إيمانا جازما دون شكّ ولا ريب ولا تردّد، لأن الله أخبره بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ.

وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي المذكورة في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[البَقَرَة:285]، وحدّدها الرّسول ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله ﷺ «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر»[1].

إذن العقيدة في الإسلام: هي المسائل العلميّة التّي صحّ بها الخبر عن الله ورسوله، والتي يجب أن ينعقد عليها قلب المسلم تصديقاً لله ورسوله.

على طريق السّلف الأماجد

الطريق السبيل الذي يسلكه الناس وغيرهم، والمقصود ماذهب إليه السلف -في مسائل الاعتقاد - وهم القرون الثلاثة المزكاة من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى نهاية القرن الثالث الهجري، أي طريقهم الذي سلكوه حسبما كان معروفا في زمانهم، ومن خرج من الطوائف والجماعات، لم يسلم من العثار، على أن القوم لمزوا في عصرنا

1 - حديث جبريل عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انفرد بإخراجه مسلم (8) عن البخاري (50)، واتّفقا على إخراجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كلّ من أراد أن يلتمس العقيدة من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة من صحابة وتابعين وأئمة مهديين، وإنه لعجب أن تنطبق بعض حالات العلماء مع تباعد القرون فهذا الإمام الشاطبي صاحب الموافقات يشكو ماكان عليه أهل زمانه من التعصب المقيت، والحيف المميت، لمن خالفهم ولو كان غَرْزُه القرءان والسنة فقال:«فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه إذ حكى عن نفسه فقال:عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين منّي والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإنّي وجدت بمكّة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقا أو مخالفا، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله، والشّهادة له، فإن كنت صدقت فيما يقول وأجزت له ذلك كما يفعله أهل هذا الزمان; سماني موافقا، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سمّاني مخالفا، وإن ذكرت في واحد منها أنّ الكتاب والسنّة بخلاف ذلك وارد، سمّاني خارجيا، وإن قرأت عليه حديثا في التوحيد، سمّاني مشبها، وإن كان في الرؤية; سمّاني سالميا، وإن كان في الإيمان سمّاني مرجئا، وإن كان في الأعمال، سمّاني قدريا، وإن كان في المعرفة سمّاني كراميا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر، سمّاني ناصبيًا، وإن كان في فضائل أهل البيت سمّاني رافضيا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلاّ بهما، سماني ظاهريا، وإن أجبت بغيرهما، سمّاني باطنيا، وإن أجبت بتأويل، سمّاني أشعريا، وإن جحدتهما، سمّاني معتزليا، وإن كان في السنن مثل القراءة، سماني شفعويا، وإن كان في القنوت سماني حنفيا، وإن كان في القرآن، سماني حنبليا، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار إذ ليس في الحكم والحديث محاباة قالوا: طعن في تزكيتهم».

ثم أعجب من ذلك أنهم يسمونني فيما يقرءون علي من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقت بعضهم; عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم، أسخطت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولن يغنوا عني من الله شيئا، وإنّي مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم.

هذا تمام الحكاية، فكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكلم على لسان الجميع، فقلما تجد عالما مشهورا

أو فاضلا مذكورا، إلا وقد نبذ بهذه الأمور أو بعضها، لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنة الجهل بها والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف، فإذا كان كذلك، حمل على صاحب السنّة، أنه غير صاحبها، ورجع بالتشنيع عليه والتّقبيح لقوله وفعله، حتّى ينسب هذه المناسب.

وقد نقل عن سيّد العباد بعد الصحابة (أويس) القرني أنه قال: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقا: نأمرهم بالمعروف، فيشتمون أعراضنا، ويجدون في ذلك أعوانا من الفاسقين، حتّى والله لقد رموني بالعظائم، وأيم الله، لا أدع أن أقوم فيهم بحقّه.

فمن هذا الباب يرجع الإسلام غريبا كما بدأ، لأنّ المؤالف فيه على وصفه الأول قليل، فصار المخالف هو الكثير، فاندرست رسوم السنّة حتى مدّت البدع أعناقها، فأشكل مرماها على الجمهور، فظهر مصداق الحديث الصحيح» [1].

ولذلك فإن اليوم الذي نعيشه شربت فيه قلوب أقوام معتقد أهل الكلام حتى صار هو الأصل وماسواه مشنوع فظيع، ولو جئت له بألف دليل، وماضرّ القوم لو أخذوا بما قال أسلافهم، ألم يقولوا إنهم مالكية فأين مالك في الإقرار والإمرار؟ وأين هم من مسالك التأويل؟، وأين المالكية قبل أن يظهر مسلك المتكلمين، ألم يكونوا على هدي السلف في الاعتقاد؟ ألم يقل كثير ممن شرح كتب الاشاعرة طريق السلف أسلم؟ فأين السلامة في ترك السبيل الصافي والخوض في الكلام الذي كان يبغضه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بل يقول العلماء: لا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله، والمؤمنين به، حقيقة المعرفة المأمور بها من أن: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فإنّ هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف على طريقة السلف، إنما أتوا من

1 - الاعتصام للشاطبي (1/37-38-39). تحقيق: سليم بن عيد الهلالي/الناشر: دار ابن عفان، السعودية/ الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.

حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن، والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة:78]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات، فهذا الظنّ الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السّلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضّلال بتصويب طريقة الخلف. اهـ.

روى ابن عبدالبر بسنده إلى أصحاب مالك فقال: حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن ثنا إبراهيم بن بكر، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خواز منداد المصري المالكي، قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف قال مالك: «لا تجوز الإجارة في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم، وذكر كتبا ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، وكذلك كتب القضاء بالنّجوم وعزائم الجنّ وما أشبه ذلك» وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكلّ متكلّم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدا، ويهجر ويؤدّب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها، قال أبو عمر: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلاّ ما جاء منصوصا في كتاب الله، أو صحّ عن رسول ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كلّه أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه» [1].

والمقصود بالسلف هم القرون الثلاثة المزكاة كما أخبر بذلك النبي ﷺ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،

1 – جامع بيان العلم وفضله للحافظ المالكي ابن عبدالبر (2/193) / ط/ الأوقاف القطرية سنة 1430– 2009 – دار ابن حزم.

ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[1].

الأماجد: جامع ماجد، من (مجد) الميم والجيم والدّال أصل صحيح، يدلّ على بلوغ النهاية، ولا يكون إلاّ في محمود، منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم، والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه.

وتقول العرب: ماجد فلان فلانا: فاخره، ويقولون مثلا: «في كلّ شجر نار، واستمجد المَرْخُ والعَفَار[2]، أي استكثرا من النّار وأخذا منها ما هو حسبهما، فهما قد تناهيا في ذلك، حتّى إنّه يقبس منهما...» [3].

أنت تكون ماجدٌ نبيل إذا تهبُّ شمأل بليل[4]

13 - وَلَسْتُ ذَاكِرَاً سِوَى الْمُتَّفَقِ عَلَيهِ مِنْ قَبْلِ نُشُوءِ الفِرَقِ

14 - مِمَّا إِلَيهِ الأشعريُّ قَدْ رَجَعْ مُتَّبِعًا أحمدَ نِعْمَ المُتَّبَعْ

أي ولا أذكر في هذا النَّظم سوى ما اتّفق عليه صدر هذه الأمّة في مسائل الاعتقاد دون الالتفات إلى ماوقع بعد ذلك من نشوء فرق، لكلّ منها معتقداتها، وقواعدها، واختلافاتها مع بقيّة الفرق، وهذا الفرق هي التّي حذر منها فقد ثبت في الحديث الصّحيح أنّ النّبيّ ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[5]. وفي بعض الروايات: «هي الجماعة».

---

1 - البخاري (2652)، ومسلم (2533).

2 -و(العفار) بالفتح شجر تقدح منه النار(مختار الصحاح). والمرخ والعفار نوع من الأشجار تقدح بهما النار.

3 - مقاييس اللغة للعلامة اللغوي أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)/ المحقق: عبد السلام محمد هارون/الناشر: دار الفكر/عام النشر: 1399هـ - 1979م.

4 - البيت لأم عقيل بن أبي طالب، وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي زوج أبي طالب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ووالد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تقوله وهي ترقص ابنها عقيلا.

5 - أخرجه الترمذي (2640) وأبو داود (4596) في السنن، وأحمد في المسند (2|332) و(12479).

وذكر بعض أهل العلم أن المراد بالأمة فيه أمة الدعوة لا أمة الإجابة، يعني أن الأمة التي دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته هي المفترقة إلى تلك الفرق، وأنّ أمّة الإجابة هي الفرقة النّاجيّة يريد بها من آمن بما جاء به النّبيّ ﷺ.

وقد استحسن الصنعاني هذا التفسير، لكن الحديث نص على أن الأمة ستفترق، وهذا يعني أنه حديث عن المستقبل، وهذا لا يتلاءم مع كون المراد أمة الدعوة، فهي مفترقة في زمنه ﷺ، أضف إلى ذلك مقارنتهم باليهود والنصارى، في قوله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، ومعلوم أنّ اليهود والنّصارى هم من أمّة الدعوة، فلم يبق إلاّ أن المقصود أمّة الإجابة فقط.

«وقد كان الصّحابة يسألون النبي ﷺ عن أمر العبادات وما يتعلق بها مما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه أمر أو نهي كما سألوه عن أحوال القيامة والجنّة والنار، ولم يكن أحدهم يسأله عن معنى ما وصف الله به نفسه في كتابه وبما أوحى إليه من الصفات الإلهية، كما أنّ أحداً منهم لم يفرِّق في الصّفات بين كونها صفة ذات أو صفة فعل،وإنما أثبتوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفات أزلية تليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعظمته، فأطلقوا ما أطلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على نفسه الكريمة مع نفي مماثلة المخلوقين، ولم يتعرّض أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا.

ولم يكن أحد منهم يستدلّ على وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى إثبات نبوّة محمّد ﷺ بغير كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا المناهج الفلسفية المتأخّرة »[1].

ويقول طاش كبرى زادة:«الصحابة رضوان الله عليهم كانوا زمن النبي ﷺ على عقيدة واحدة ؛ لأنّهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصّحبة عنهم ظلم الشّكوك والأوهام، وهكذا إلى زمن انقراض الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[2].

---

1 – انظر الخطط المقريزية (3/309 – 310)،و إعلام الموقعين (1 / 49) مفتاح السعادة: 2/143 التفكير الفلسفي في الإسلام ص 119 – 126).

2 – مفتاح السعادة الكبرى لطاش كبري زادة (2/143).نقلا عن مناهج البحث في العقيدة الإسلامية (441).

و لقد كانت الأمة صحيحة الاعتقاد، قائمة العماد، قائدة لأحوال العباد، في خير القرون المزكاة، وذلك لحديث عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،...»[1]، حيث لم تختلط عقيدتها الصّافية، بوضَر الفلسفة اليونانيّة، ولقد كان لأهل المغرب الإسلامي قدَم صدق في تلك القرون الثّلاثة المزكّاة، ولاسيما ممّن قرأ على الإمام مالك ولازمه، فنال منه العلم الصّحيح اعتقادا وعملا، فقد كانوا أبعد النّاس عن البدع وما استحدث من علم الكلام الذي انحرف بعقيدة السلف، ولقد ظلّوا زمنا طويلا معافون من ذلك، ولقد قال أبو طالب المكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلّمين، وأشدّهم بغضًا للعراقيين، وألزمهم لسنّة السّالفين من الصّحابة والتابعين»[2].

وقال سفيان بن عيينة: «سأل رجل مالكاً، فقال على العرش استوى.
كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليّاً حتى علاه الرحضاء وما رأينا مالكاً وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ثمّ سريَّ عنه.
فقال الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسّؤال عن هذا بدعة والإيمان به واجب وإنّي لأظنّك ضالًّا أخرجوه عنّي.
فناداه الرجل يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلاّ هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وُفِّق لما وُفِّقْتَ لَه»[3].

وقال قولته المشهورة: كما نقلها الشافعي عنه فقال: سئل مالك عن الكلام، والتوحيد فقال: «محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد»[4].

و قال الفيلسوف أبوبكر محمد بن الطفيل القيسي في القرن السادس يصف قلّة

1 –البخاري(2652) ومسلم(2533).
2 – ترتيب المدارك وتقريب المسالك (2/39). للقاضي عياض. /المحقق: / جزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966 – 1970 م/ الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب/ الطبعة: الأولى.
3 – المرجع السابق والصفحة.
4 – سير أعلام النبلاء للذهبي (8/244).

ذلك وأنّ علم الكلام أندر من الكبريت الأحمر في بلاد المغرب[1]، وقد نُقل إلى أهل المغرب اعتقاد مالك كما نقل إليهم فقهه وسمته وعبادته وشدّته على أهل البدع، ولقد ابتلي بعض أمراء المغرب وقضاتهم بلوثة الاعتزال تأسيا منهم بأمراء بني العباس، وإن النّاس كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضا، كما وقع ذلك أيضا لبعض أمراء الأغالبة، حيث حملوا النّاس على الاعتزال وامتحن في من امتحن: إمام المالكية سحنون بن سعيد في المغرب صاحب المدونة، كما فُعل بابن حنبل في المشرق حذو القذة بالقذة، وقد ثبت الجبلان فكان ثباتهما نصرا للسنّة، بل كان سحنون وأمثاله لايصلّون خلف المعتزلة ولايسلّمون عليهم ولايشهدون جنائزهم.

بداية انتشار علم الكلام في المغرب:

لم يزل أهل المغرب يشربون من معين الاعتقاد الصّافي الذي أخذه مشايخهم عن إمام دار الهجرة، حتّى إنّ خصومهم كانوا يسمونّهم بالحشوية، كما قال أبو القاسم بن حوقل في أهل السّوس: «والمالكية من فُظَّاظِ الحشوية» أي أنّهم يثبتون حقيقة الصّفات ويمرّونها بلاتكييف ولاتمثيل ولاتعطيل ولا تأويل، بل ذكر المراكشي في المعجب: أنّ أهل المغرب أوّل الأمر كفَّرُوا كلّ من دخل في علم الكلام[2]، حتى رحل جماعة من طلبة العلم من المغرب إلى المشرق وجالسوا أهل الكلام منهم كما فعل فرج بن سلام القرطبي، وقد لقي الجاحظ المعتزلي وأخذ عنه، ورحل عبدالله بن ميسرة بن نجيح، وغيره وتأثّروا بهم، فحملوا جراثيم علم الكلام إلى المغرب، كما سمع من الباقلاني، والهروي جماعة، كما انتقلت كتب المشارقة إلى المغاربة، ولكن مع ذلك كان أهل العلم يسيرون على طريقة مالك وأحمد كما قال ابن أبي زيد القيرواني:« أحمد بن محمد بن حنبل به يقتدى، وقد أنكر هذا – أي علم الكلام – وما أنكر أبوعبدالله أنكرناه ». [3]

وكان سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:«من العلم بالله: الجَهْلُ بما لم يُخْبِر الله به عن

1 – حي بن يقظان (ص20).
2 – المعجب للمراكشي (131).
3 –تبيين كذب المفتري لابن عساكر (408).

نفسِه»[1]؛ وهذا نظير كلام الشافعي: « الفقه في الكلام الجهل به »[2].

ولقد كتب جلة من فقهاء المالكية في مسائل الاعتقاد ردّا على أهل البدع كمحمد بن سحنون في كتابه « الحجة على القدرية» وكيحي بن عمر الكندي السوسي في كتبه «الرّدّ على المرجئة»و«الرؤية » «والميزان » وأبي عثمان الحدّاد في كتابه « الاستواء »، وأبي عبد الله محمد بن محبوب الزناتي، وابن أبي زيد في ردّهم على «كتب القدرية »[3].

لقد ظلّ المغرب على عقيدة السّلف أيّام المرابطين «الذين جاؤوا من قلب الصّحراء يحملون الفقه المالكيّ العتيق وعقيدة مالك التي نشرها وغرس بذورها الفقيه القيرواني عبدالله بن ياسين، وما إن سقطت دولة المرابطين حتّى ظهرت دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت، فحمل النّاس على عقيدة الاعتزال والتأويل، وفتن المخالفين وشرّدهم وسمَّى أتباع مذهبه بالموحدّين لمزًا للمُخَالِفِينَ، وكان يسمّي من قبله بالمجسمة يريد الّذين أثبتوا صفات الباري ولم يؤوّلوها ولم يعطّلوها، من المرابطين وغيرهم، وحرَّق كتب المالكيّة، وذكر أبوبكر البيذق:أنّه سبيت نساؤهم لأجل ذلك، وقد حمل النّاس على حفظ ماكتبه كـ«المرشدة»، و«أعزُّ ما يطلب»، فانحرفت بوصلة المعتقد السليم إلى الاعتزال.

ولايزال الناس يبتعدون عن الأثر والسنن حتّى يسري فيهم البعد عن الهدى الصافي، لاسيما من سلك منهم علم الكلام، وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ «من طلب الدّين بالكلام تزندق» أي منتهاه إلى الزندقة، وحذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أصحابه من البدع فقال:« إيّاكم والبدع، قيل يا أباعبدالله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولايسكتون عمّا سكت عنه الصّحابة والتّابعون لهم بإحسان »[4].

1 – التمهيد لابن عبدالبر (7/146).

2 – صون المنطق (150).

3 – انظر المغربية شرح العقيدة القيروانية للعلامة المحدث عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي (40–39).فقد ذكر كثيرا من أسباب تفشي ظاهرة العقيدة الكلامية في المغرب الإسلامي.

4 –ذم الكلام للهروي (858). وانظر المغربية للطريفي.

وقد تتبع المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشأة هذه البدع ورصد سيرها منذ حدوث القول بالقدر وتبرؤِ عبد الله بن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- من أصحاب هذه البدعة وحدث أيضاً في زمنهم: مذهب الخوارج وقد ناظرهم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأقام عليهم الحجة.

وحدث في زمنهم مذهب التشيع لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والغلو فيه، وقام في زمنه عبد الله بن سبأ وأحدث القول بوصيّة الرّسول ﷺ لعليّ بالإمامة من بعده، وهو من ابتدع القول بالرجعة بعد موته.. ومنه تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة.

وإن سلم أحد من النّاس من فتنة الابتداع في الدين فما هم إلاّ تلاميذ محمّد ﷺ الذين يجب الاقتداء بهم كما قال النّبيّ ﷺ في إرشاده أمّته عند افتراق الأمة وتعدد الفرق فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنّ النبي ﷺ قال:«ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النّعل بالنّعل، وإنّ بني إسرائيل تفرّقت على ثنتين وسبعين ملّة وتفترق أمتّي على ثلاث وسبعين ملّة كلّهم في النّار إلاّ ملّة واحدة ما أنا عليه وأصحابي»[1]، وقال كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «فإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنّواجذ وإيّاكم ومحدثاتِ الأمور فإنّ كلّ بدعة ضلاله» [2].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من كان مُسْتَنًّا فليَسْتَنَّ بمن قد مات، فإنّ الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمّد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمّة، أبرَّها قلوبا، وأعمقها علما،وأقلّها تكلّفا، اختارهم الله لصحبة نبيّه، ولإقامة دينه،فاعرفوا لهم فضلهم، واتّبعوهم على آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم،فإنّهم كانوا على الهدى المستقيم»[3].

وقال الشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصّحابة والتّابعين:«هم فوقنا في كلّ علم وعقل ودين

---

1 - الترمذي (2641)، قال الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: 5343 في صحيح الجامع.

2 - والترمذي[رقم: 2676]وقال: حديث حسن صحيح.

3 - رواه ابن عبد البر في الجامع (2/947/1810) والهروي في ذم الكلام (ص.188) عن قتادة عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولم يسمع منه فهو منقطع، ورواه رزين وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - تحقيق التركي والأرناؤوط (2\546)، إلا أن الأثر مشهور متداول في مصنفات أهل السنة.

وفضل، وكلّ سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا».

ثمّ حدث بعد عصر الصحابة مذهب جَهم بن صفوان في نفي الصّفات وإثارة الشّكوك والشّبهات، وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال، وكانت بينهما مناظرات وفتن كثيرة متعددة أزماتها [1].

وقيل إنّ أوّل من تكلّم في الصّفات الحارث المحاسبي، فأنكر عليه الإمام أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، قال أبوبكر الصّيرفيّ فيما نقله عنه غير واحد من العلماء: كانت المعتزلة رافعي رؤوسهم حتّى أظهر الله الأشعري، فحجرهم في أقماع السّمسم »[2].

وما دخل القرن الثالث حتى كان أهل البدع قد صار لهم نفوذ سلطويّ في بعض بلاد الإسلام، ودوّنت كتب ومؤلفات في نصر المعتقدات المخالفة لسلف الأمة، فما كان لأهل السّنّة والجماعة من المذاهب السنيّة إلاّ أن يبيّنوا معتقد السّلف الصّالح، ويردّوا على أهل البدع والفلاسفة، وتعددت مسميات كتبهم بحسب مايبيّن المقصد الأسنى من معرفة صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأسمائه الحسنى، مع مبدإ الاتّباع والتّسليم الذي كان عليه الرّعيل الأوّل والرّدّ على الفرق الضّالّة، وكان منهم الإمام الأشعري الذي رجع عن مذهب الاعتزال إلى مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد، وإليه أشار شيخنا طيب الله ثراه بقوله:

(ممّا إليه الأشعريّ قد رجع): هو الإمام علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، وكنيته أبو الحسن، والأشعريّ نسبة إلى أشعر قبيلة مشهورة باليمن من ولد سبأ، والأشعر اسمه: نَبْتُ بن أُدَد[3]،قال ابن

1 – الخطط المقرزية:(3/310–313). ومقدمة أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: 1/17–37، وانظر مقالا لعثمان جمعة ضميرية في مجلة البيان عدد[51].

2 – تبيين كذب المفتري لابن عساكر (94) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثالثة، 1404.و انظر الفكر السامي للحجوي (2/106–107).

3 – تاريخ بغداد (11/346)ط/دار الكتاب العربي بدون تاريخ، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (34–35) دار الكتاب العربي بيروت ط/1984–31404م.

الكلبي[1]:« إنّما سميّ نبت بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ: الأشعر، لأنّ أمه ولدته وهو أشعر، والشّعر على كلّ شيء منه»[2] اهـ، ولد أبو الحسن الأشعري بالبصرة سنة ستين ومائتين من الهجرة (260هـ) وسكن بغداد وتوفي سنة أربع وثلاثمائة من الهجرة على الأرجح[3]، وهو شافعيّ وقيل مالكي المذهب إليه تنسب جماعة الأشاعرة ويلقبون أيضا الأشعريّة.

مراحلٌ في طريق اعتقاده:

مرَّ الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اعتقاده بثلاث مراحل وقيل مرحلتين:

الأولى: المرحلة الاعتزالية، وكان سبب هذه المرحلة ملازمته لشيخه أبي عليّ الجُبَّائي زوج أمّه واستمرّ على الاعتزال إلى سنّ الأربعين ثمّ فارقه لمّا لم يجد إجابات كافيّة في مسألة الصّلاح والأصلح على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقيل إنّه رأى النّبي ﷺ مناما وأمره بأن يروي العقائد المروية عنه لأنّها الحقّ ولهذا اعتمد على الأدلّة النقلية في تقرير العقائد[4].

قال السبكي في طبقات الشافعية: «قلت: أما طريقة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في الصفات بعد أن رجع عن الاعتزال، بل وبعد أن قدم بغداد، وأخذ عن أصحاب الحديث كزكريا الساجي وغيره، فإنّها من أصحّ الطرق وللمذهب، فإنه يثبت الصفات العقلية والخبرية، ولا ينكر منها شيئًا، ولا يكيّف منها شيئًا، وهذه طريقة السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة، حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على اتباعهم ومحبتهم، إنه سميع الدعاء جواد كريم.

---

1 – أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي كان علامة في النسب له كتاب الجمهرة، لكنه رافضي انظر سير أعلام النبلاء (10/101) وميزان الاعتدال (4/304) كلاهما للذهبي.

2 – الأنساب للسمعاني (1/266).

3 – تاريخ بغداد (11/347) وتبين كذب المفتري (56).

4 – انظر تبيين كذب المفتري (40–41) وطبقات الشافعية الكبرى (2/246).

وعلى هذا المنوال جرى الأئمة من أصحاب الأشعري، كأبي عبد الله بن مجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني وأضرابهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ» [1].

ثمّ انتقل إلى المرحلة الكُلاَّبِيَّة وذلك بعد أن اختفى مدّة متحيّرا، وطريقة ابن كُلاَّب جاءت في زمن يتمثّل فيه اعتقاد أهل السنّة والجماعة في إثبات الصفات كلّها الذاتية والفعلية، والجهمية[2] ينكرونها، فجاء ابن كلاب وأثبت الصّفات الذّاتيّة ونفى مايتعلّق منها بالمشيئة، فلذلك قرّر الأشعري هذه العقيدة، وقد يمثل هذه المرحلة كتابه اللّمع في الرّد على أهل الزّيغ والبدع، وبعضهم يرى أنّ اللّمع كان بعد الإبانة.

واعتقد أنّ مانقل عن ابن خزيمة إمام الأئمّة في الحديث أنّه كان ينكر على الكلابيّة فما ذاك إلاّ أنّه كان على مذهب دون مذهب أحمد في سلوك الاعتقاد الصّحيح، قال ابن حجر في لسان الميزان: «ونقل الحاكم في تاريخه، عَنِ ابن خزيمة أنّه كان يعيب مذهب الكلابيّة ويذكر عن أحمد بن حنبل أنه كان أشد الناس على عبد الله بن سعيد وأصحابه»[3].

فبماذا كان يعيبهم ياترى؟ لقد كان يعيبهم بقولهم لفظي بالقرءان مخلوق ويرى أن ذلك من التجهم.

قال أبو جعفر محمد بن الحسن بن هارون بن بدينا: « سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلت: له يا أبا عبد الله، أنا رجل من أهل الموصل والغالب على أهل بلدنا الجهمية، ومنهم أهل سنة نفر يسير يحبونك، وقد وقعت مسألة الكرابيسي ففتنهم قول الكرابيسي: لفظي بالقرآن مخلوق. فقال لي أبو عبد الله: إيّاك، وإيّاك وهذا الكرابيسيّ، لا تكلّمه ولا تكلّم من يكلّمه – أربع مرار أو خمساً –، فقلت: يا أبا عبد

1 – طبقات الشافعية للسبكي (1/427).

2 – الجهمية: الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الذي قال: بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات لها، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به، وزعم أيضا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. انظر: مقالات الإسلامين (1 / 338)، الفرق بين الفرق (211)، والملل والنحل (1 / 76).

3 – لسان الميزان لابن حجر (4/ 486) تحقيق أبي غدة عبدالفتاح /الناشر: دار البشائر الإسلامية /الطبعة: الأولى، 2002 م.

الله، فهذا القول عندك، وما شاعت منه، يرجع إلى قول جهم؟ قال: هذا كلّه من قول جهم» [1] اهـ.

وقال عبد الله: «قلت لأبي: إنّ الكرابيسي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: هذا كلام سوء رديء، هذا كلام الجهمية، كذب الكرابيسي هتكه الله، الخبيث، وقال: قد خلف هذا بشراً المريسي» [2].

(قد رجع): وهي: المرحلة السّنيّة: ويمثلها كتابه الإبَانَة الذي بيَّن في مقدِّمته مؤلفه أبو الحسن الأشعري أنّه راجِعٌ عمَّا كان عليه من الاعتقاد الفاسد إلى ماعليه الإمام أحمد بن حنبل، وكذلك تظهر عقيدته في رسالته لأهل الثّغر،ومقالات الإسلاميّن وكتبه والحمد لله مطبوعة [3].

ويكفي في إثبات الإبانة أنَّ ابن عساكر أثبته في كتابه تبيين كذب المفتري، ونسبه إلى الأشعري، كما ألّف ابن درباس رسالة في الذّبّ عن أبي الحسن الأشعري وأثبته فيها [4].

وذكره غير واحد من أهل العلم كابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب[5]، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري[6]، وغيرهما، وقال الذهبي: «رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في

---

1 – رواه الخلال في السنة (7/ 75) وابن بطة في الإبانة (1/ 329 – 330) وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (1/ 288).

2 – رواه ابن بطة في الإبانة (1/ 342).

3 – انظر طبقات الشافعيين لابن كثير (1/210).

4 – تبيين كذب المفتري لابن عساكر (1/381).

5 – شذرات الذهب في أخبار من ذهب(5/22) للإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)/ حققه: محمود الأرناؤوط/ خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط / الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت / الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م.

6 – تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري(1/388) لثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)/ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت /الطبعة: الثالثة، 1404.

الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين،ولا تؤوّل»[1].

قال الذهبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلامّة إمام المتكلّمين،...كان عجبا في الذّكاء، وقوة الفهم؛ ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرّأ منه، وصعد للنّاس، فتاب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منه، ثمّ أخذ يردّ على المعتزلة، ويهتك عوارهم.

قال الفقيه أبو بكر الصّيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتّى نشأ الأشعريّ فحجرهم في أقماع السّمسم.

وعن ابن الباقلاني قال: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعريّ، قلت: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السّلف في الصفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول» [2].

(متّبِعًا أحمدَ نِعْمَ المُتَّبَعْ): أي أنّ الأشعريّ رجع إلى معتقد السّلف متّبعا إمام أهل السنة والجماعة في زمانه، الإمام أحمدبن حنبل رحمهما الله جميعا، فقال في كتابه الإبانة في أصول الدّيانة: «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربّنا عزّ وجلّ، وبسنة نبيّنا محمّد ﷺ، وما روى عن السّادة الصّحابة والتّابعين وأئمّة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزّائغين، وشكّ الشّاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظم، وكبير مفهم» [3].

ووصفه الشّيخ بأنّه نعم منِ اتُّبع لأنَّ الله نصر به السنّة أيام المحنة، قال علي بن

1 – سير أعلام النبلاء للذهبي (11/392).

2 – سير أعلام النبلاء للذهبي (11/392).

3 – الإبانة عن أصول الديانة (21–20) /للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)/المحقق: د. فوقية حسين محمود/ الناشر: دار الأنصار – القاهرة/الطبعة: الأولى، 1397هجرية.

المديني أيدّ الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصّدّيق يوم الرّدة، وأحمد بن حنبل في يوم المحنة.

فمن هو هذا الإمام المبجل؟

إنه أبو عبد الله، أحمد بن حنبل الشّيبانيّ من بني ذهل بن شيبان من بني بكر بن وائل، إمام أهل السّنّة، المولود عام 164هـ، والمتوفى عام 241هـ.

وُلِد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببغداد، وتوفِّي أبوه وهو ابن ثلاث سنين، فكفلتْه أمُّه، ويُنسب إلى جدِّه لشهرته.

نشأ الإمام أحمد ببغداد، وتربَّى فيها تربيتَه الأولى، وشبَّ على حبِّ العِلم، واستمرَّ في طلب العلم بعزم صادق، حَفِظ القرآن، وأقبل على الحديث والأثر، حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث، وألَّف المسند في مدة ستِّين سَنة تقريبًا.

يقول عنه الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «خَرَجتُ مِنْ بَغْداد، فَمَا خَلَّفتُ بِها رَجلاً أَفْضلَ، ولا أَعْلَمَ، ولا أَفْقَهَ، وَلاَ أَتْقَى مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ» [1].

وقال الإمام الحافظ العَلَم يحيى بن معين: «أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل؛ لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بن حنبل، ولا طريقته» [2].

وقال عنه الإمام ابنُ حِبّان، صاحب الصّحيح: «كان حافظاً، متقناً، فقيهاً، ملازماً للورع الخفيّ، مواظباً على العبادة الدائمة، أغاث الله به أمة محمد ﷺ، وذلك أنه ثبت في المحنة، وبذل نفسه لله، فعصمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعله عَلَماً يُقتدى به، وملجأً يُلْجأ إليه»[3].

---

1 – سير أعلام النبلاء للذهبي(11/ 195).

2 –: البدايه والنهايه لابن كثير (10 / 336)– ط الفكر.

3 – كتاب علوم الحديث ومصطلحه صبحي الصالح(1/95).

15 - لا مَا يقُولُ مَنْ لِذَا أوذَا انتَمَى زَعْماً وَلَمْ يَسِرْ عَلَى مَا رَسَمَا

أي ماسيذكره الشّيخ هنا في نظمه إنّما هو ما كان اعتقادا للإمام أحمد بن حنبل ولأبي الحسن الأشعري، لا ما ينسب إليهما زعما، ممّن يدّعي الانتماء لمذهبيهما وهو في الحقيقة مخالف لهما سواء لذا أي حنبليا، أوذا أي من كان أشعريا، كما قد قيل قدما:

وَكُلُّ يَدَّعِي وَصْلاً بِلَيْـــلَى وَلَيْـلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي جُفُونٍ تبيّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

فمن سار على رسمهما فهو المتّبع المحقّ، وماسواه فادّعاء ونسبة لاتمتّ لهما بصلة، كادّعاء كثير من منتسبي المذاهب الفقهية نسبتهم إليها وهي منهم برآء.

وكما قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معتقد أبي حنيفة ومخالفة بعض أتباعه له:

« وَالظَّاهِرُ أَنَّ هذه الْمُعَارَضَاتِ لَمْ تَثْبُتْ عَنْ أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَإِنَّمَا هي مِنَ الْأَصْحَابِ، فَإِنَّ غَالِبَهَا سَاقِطٌ لَا يَرْتَضِيه أَبُو حنيفة »[1].

والزَّعم: يقال: «زعم» زعما من باب قتل، وفي الزعم ثلاث لغات فتح الزاي للحجاز، وضمها لأسد، وكسرها لبعض قيس ويطلق بمعنى: القول، ومنه زعمت الحنفية، وزعم سيبويه أي قال وعليه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾[الإسراء: 92]أي كما أخبرت، ويطلق على الظنّ، يقال في زعمي كذا، وعلى الاعتقاد ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾[التغابن: 7].

قال الأزهري: وأكثر ما يكون الزّعم فيما يشكّ فيه ولا يتحقّق؛ وقال بعضهم هو كناية عن الكذب، وقال السّيوطي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلا أو فيه ارتياب.

وقال ابن القوطية: زعم زعما قال خبرا لا يدري أحقّ هو أو باطل.

---

1 - «شرح العقيدة الطحاوية» (ص 226).

قال الخطابي ولهذا قيل زعم مطية الكذب، وزعم غير مزعم، قال غير مقول صالح وادّعى ما لم يمكن،وزعمت بالمال زعما من باب قتل ونفع كفلت به والزَّعَم بفتحتين.

والمتأخّرون من أهل السنّة انقسموا إلى ثلاثة مذاهب في المجال لاجتهادي أي من أمور العقائد.

«فأمور العقائد منها ما لا يقبل الاجتهاد أصلا، وهو المسائل المحسومة بالنص: كأركان الإيمان الستة ونحو ذلك.

وأمّا المسائل الاجتهادية فاختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب:

1. مذهب الأشعري

2 مذهب ابن منصور الماتريدي

3. مذهب الحنابلة.

وهذه إنما يميز بينها مسائل محصورة ترجع إلى خمس مسائل كلها اجتهادية، لكن توسعت اتباع هذه المذاهب في الأقوال التي لم يقل فيها أصحاب هذه المذاهب فحصل فيها غلط كثير، وخلط و ابتداع.

فكثير من المنتسبين للأشعري أتوا بأقوال لم يقلها الأشعري، ولا يمكن أن يرضاها بل يخالفها، وأصبح كثير من الناس ينسبها للمذهب الأشعري ويظنون أنّها منه، مع أنّها لم تقع في زمانه أصلا ولم يقلها في كتاب من كتبه وإنّما قالها المتأخّرون الّذين ينتسبون الى مذهبه، وهكذا قل في مذهب الحنابلة وغيرهم» [1].

قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأذكِّر القارئ قول الغزالي في مقدمة كتابه «المقصد الأسنى» إذ قال في مبحث الاسم والمسمّى:«إنّ الإفصاح عنه كنه الحق فيه يكاد يخالف ماسبق إليه الجماهير، وفِطامُ الخلق عن العادات،ومألوف المذاهب عسير»ا.هـ[2].

---

1 – انتهى بتصرف من شرح وسيلة الزلفى (14–13) لشيخنا العلامة محمد الحسن الددو (مفرغ).

2 – التسهيل والتكميل (5/1).

مجمل اعتقاد السلف

16 - اللهُ حَــقٌّ أَوَّلٌ كَـــانَ وَلَمْ يَكُنْ سِوَاهُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِ العَدَمْ

لما كان مدار مجمل الاعتقاد على أركان الإيمان الستة بدأ النّاظم بذكر اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووصف بأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقّ؛ فالله: عَلَمٌ على الرّبّ تبارك وتعالى، ذكر سيبويه أنّه أعرف المعارف.

ويقال: إنّه الاسم الأعظم، لأنّه يوصف بجميع صفات الكمال والجلال، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:23-24]، فأجرى الأسماء الباقية كلّها صفات له.

واختلفوا هل هو اسم جامد أو مشتقّ؟ على قولين؛ أصحّهما أنه مشتق.

قال ابن جرير الطّبري: فإنه على ما روي لنا عن ابن عباس قال: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين» [1].

قال الزركشي: قيل مُشْتَقّ من أَله إِذا فزع، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مفزَع كلّ شَيْء (أي إليه المفزع) وَهُوَ مَرْوِيّ عَن ابْن عَبَّاس، أَو من أَله إِذا تحيّر ودهش لِأَن الْعُقُول تحار فِي بحار عَظمَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَن تحيط بِهِ الأفكار أَو يحده الْمِقْدَار وَفِي اشتقاقه أَقْوَال غير هَذِه» [2].

وذكر سيبويه عن الخليل أن أصله إله مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. قال سيبويه: مثل الناس أصله إناس.

---

1 -تفسير ابن جرير (1/121).

2 - معنى لا إله إلا الله(1/110) لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794هـ)/ المحقق: علي محيي الدين علي القرة راغي/الناشر: دار الاعتصام - القاهرة/الطبعة: الثالثة، 1405هـ/ 1985م.

وقال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية.

و قيل مشتق من لاه: احتجب. ومنه قول الشاعر:

لاهت فما عرفت يوما بخارجة ياليتها برزت حتى عرفناها

أو من لاة: أي بمعنى ارتفع ومنه قيل للشمس إلاهة، قال الشاعر:

تروّحْنا من الدَّهْنَاءِ عَصْرًا وأعْجَلْنا الإلهة أن تغيبا

وعلى هذا فالصحيح أنه مشتقّ من أله: إذا تعبّد، كما قرأ ابن عباس: ﴿ويذرك وإلهتك﴾[الأعراف: 127]أي: عبادتك، وأصله الإله، أي: المعبود، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام التي للتعريف، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة وفخمت تعظيما، فقيل: الله.

قال ابن القيم: «القول الصحيح أن (الله)، أصله: (الإله)، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وإن اسم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا.

قال: وزعم السّهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي: «أنّ اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق» ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمدّ من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألمّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دالّ على صفة له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير، فإنّ هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلاّ أنّها ملاقية لمصادرها في اللّفظ والمعنى، لا أنّها متولدة منه تولد الفرع من أصله.

وتسمية النّحاة للمصدر والمشتق منه. أصلاً وفرعًا. ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أنّ أحدهما يتضمن الآخر وزيادة»[1].

فائدة: ميّز اللّه القرآن الكريم عن سائر كتبه بأن جعل اسمه أكثر كلمة تكرَّرت فيه، فورد ذكر لفظ الجلالة «الله» فيه[2699]مرة، موزعة على 85 سورة، وهناك سور ذكر في كل ءاية منها اسم الجلالة كسورة المجادلة مثلا.

كما ميّز اللّه عزّ وجلّ بعض السور في القرآن الكريم عن بعض، وميّز بعض الآيات على غيرها، ومن قبل ذلك كله جعل اسمه الأعظم معيارًا للتميّز.

حقٌّ: الحَقُّ اسْمٌ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ المُتَّصِفُ بالوُجُودِ الدَّائِمِ وَالحَيَاةِ وَالقَيُّومِيَّةِ وَالبَقَاءِ، فَلاَ يَلْحَقُهُ زَوَالٌ أَوْ فَنَاءٌ، وَكُلُّ أَوْصَافِ الحَقِّ كَامِلَةٌ لِلْكَمَالِ وَالجَمَالِ، وَالعَظَمَةِ وَالجَلاَلِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[الحج: 62]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الحج: 6].

وَقَالَ الحُلَيْمِيُّ: «(الحَقُّ) مَا لَا يَسَعُ إِنْكَارُهُ، وَيَلْزَمُ ثُبُوتُهُ وَالاِعْتِرَافُ بِهِ، وَوُجُودُ البَارِي عَزَّ ذِكْرُهُ أَوْلَى مَا يَجِبُ الاِعْتِرَافُ بِهِ [2]، وَلاَ يَسَعُ جُحُودُهُ؛ إِذْ لاَ مُثْبَتَ يَتَظَاهَرُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلاَئِلِ البَيِّنَةِ البَاهِرَةِ، مَا تَظَاهَرَتْ عَلَى وُجُودِ البَارِي جَلَّجَلاَلُهُ»[3].

وَقَالَ القُشَيْرِيُّ [4]: «(الحَقُّ) مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُوَ بِمَعْنَى المَوْجُودِ الكَائِنِ وَكَذَا مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ» [5].

---

1 – الفوائد لابن القيم (1/22).

2 – قال البيهقي في الأسماء (ص: 13): يعني: عند ورود أمره بالاعتراف به.

3 – المنهاج في شُعب الإيمان (1/ 184) وذكره ضمْن الأسماء التي تتبع إثبات الباري جل ثناؤه، والاعتراف بوجوده، ونقله البيهقي في الأسماء (12 – 13).

4 –هو الشيخ الزاهد أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسِّر، وُلد سنة (375هـ)، قال الخطيب: «كتبْنا عنه، وكان ثقة، وكان حسَن الوعظ، مليحَ الإشارة يَعرف الأصولَ على مذهب الأشعري، والفروعَ على مذهب الشافعي».
وقال الذهبي: «وكان عديمَ النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيِّبَ الأخلاق، غوَّاصًا على المعاني»، مات سنة (465هـ)، تاريخ بغداد (11/ 83)، السير (18/ 227 – 233).

5 – التحبير في التذكير (ص: 86) ط دار الكتاب العربي (1968).

وَقَالَ الغَزَّالِيُّ: «(الحَقُّ) هُوَ الذِي فِي مُقَابَلَةِ البَاطِلِ، وَالأَشْيَاءُ قَدْ تُسْتَبَانُ بِأَضْدَادِهَا، وَكُلُّ مَا يُخْبِرُ عَنْهُ فَإِمَّا بَاطِلٌ مُطْلَقًا، وَإِمَّا حَقٌّ مُطْلَقًا، وَإِمَّا حَقٌّ مِنْ وَجْهٍ بَاطِلٌ مِنْ وَجْهٍ، فَالمُمْتَنِعُ بِذَاتِهِ هُوَ البَاطِلُ مُطْلَقًا، وَالوَاجِبُ بِذَاتِهِ هُوَ الحَقُّ مُطْلَقًا، وَالمُمْكِنُ بِذَاتِهِ الوَاجِبُ بِغَيْرِهِ هُوَ حَقٌّ مِنْ وَجْهٍ بَاطِلٌ مِنْ وَجْهٍ»[1].

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: «(الحَقُّ) هُوَ المَوْجُودُ حَقِيقَةً المُتَحَقَّقُ وُجُودُهُ وَإِلَهِيَّتُهُ، وَالحَقُّ ضِدُّ البَاطِلِ»[2].

وتعبير شيخنا بـ: (حقّ) أولى من التّعبير بالموجود - كما نبه عليها الشيخ في شرحه -[3] لأنّ هذه اللّفظة لم يرد فيها نصّ من الكتاب والسنة، ولأنّ أغلب المتكلمين يقولون الله موجود، أو واجب الوجود، كما قال ابن عاشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجب لله الوجود، فالوجود لايصدق العقل نفيه لأنّه واجب عقلي.

بينما ورد في كلمة أنّ الله هو (الحقّ) عشرات النّصوص فقد وَرَدَ الِاسْمُ فِي عَشْرِ آيَاتٍ مباركات مِنَ القُرْآنِ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 30].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: 6].

---

1 -المقصد الأسنى (ص: 79) باختصار، ونحوه عند الرازي (ص: 290).
2 - النهاية (1/ 413).
3 - التسهيل (1/6).

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[الحج: 62].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: 116].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[النور: 25].

أَوَّلٌ: والتعبير بها أولى من التعبير بالقديم، لعدم ورودها، وأسماؤه توقيفية، قال الخطابي: «الأول هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية إذ كان موجوداً ولا شيء قبله ولا معه». فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متّصف بالأوّليّة وهي نفي للعدم السّابق، أي أنّ وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يسبقه عدم.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأوليّة الله عزّ وجلّ سابقة على أوليّة كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كلّ ما سواه؛ فأوليّته: سبقه لكلّ شيء، وآخريّته: بقاؤه بعد كلّ شيء، وظاهريّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: فوقيته وعلوّه على كلّ شيء، ومعنى الظّهور يقتضي العلوّ، وظاهر الشّيء: هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون، وهذا لون؛ فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية، ومكانية؛ فأحاطت أوليته وآخريته بالقبل والبعد؛ فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته؛ فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده؛ فالأول: قدمه، والآخر: دوامه وبقاؤه، والظاهر: علوه وعظمته، والباطن: قربه ودنوه؛ فسبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل

شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنا، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية؛ فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد؛ فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، لم يزل أوّلا وآخرا، وظاهرا وباطنا»[1].

و عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»[2].

وعَنْ سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[3].

قال العلامة علي القاري:«قوله: أنت الأوّل مفيد للحصر بقرينة الخبر باللام، فكأنه قيل: أنت مختصّ بالأوّليّة فليس قبلك شيء...»[4].

قال ابن عطية: هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ. الأوّل: الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة، والآخر: الذي ليس له نهاية مُنقضية.

---

1 – طريق الهجرتين لابن القيم (ص: 24).

2 – البخاري (3191).

3 – رواه مسلم (61 – (2713).

4 – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4/1670) علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)//الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان/الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2002م.

وقيل: هو الأول بالأزليّة، والآخر بالأبديّة، وهو الأوّل بالوجود؛ إذ كلُّ موجود فبعده وبه. اهـ[1]

وأمّا التّعبد لله باسمه «الأوّل» وأثره الإيماني فقال فيه ابن القيم في طريق الهجرتين:

فعبوديّته باسمه الأوّل تقتضي التّجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النّظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته وأنه هو المبتدىء بالإحسان من غير وسيلة من العبد إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، أي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، فمنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإعداد ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده لم تكن بوسائل أخرى فمن نزَّل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقرا خاصّا وعبودية خاصة....اهـ.[2]

كان ولم يكن سواه: أي كان الله قبل وجود الخلق ولم يكن سواه، فهذا شرط الأولية وتفسير لها، كما تقدم في حديث الأولية، وفي بعض ألفاظه: «كان الله ولم يكن شيء غيره»[3]، وفي رواية «ولم يكن شيء قبله» [4]وفي رواية «ولم يكن شيء معه». [5]

فكل الخلائق من العرش إلى الفرش أحدثها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن لم تكن.

---

1 – المحرر الوجيز لابن عطية (5/257).

2 – طريق الهجرتين (1/19).

3 – كما في حديث عمران المتقدم عند البخاري (3191).

4 – البخاري (7418) من حديث عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

5 – وأورد الحديث ابن كثير في «تفسيره»: (2/ 337) من رواية الإمام أحمد عن أبي معاوية، وقال: «هذا حديث مخرج في صحيحي البخاري، ومسلم، بألفاظ كثيرة، فمنها قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية: «غيره»، وفي رواية: «معه، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض».
وقوله: «إنه» مخرج في «صحيح مسلم» لم أقف عليه.
قال شيخنا شعيب الأرناؤوط في تخريجه للحديث في المسند عند حديث رقم (19877):« وفي رواية الآتية (6142) «كان الله ولم يكن شيء قبله»، وكلتاهما في الصحيح، وللإسماعيلي: «كان الله قبل كل شيء»، قال الحافظ في «الفتح» 13/421: وهو بمعنى: « كان الله ولا شيء معه»... اهـ.

16 - .... ثمَّ منْ بعدِ العَـدَمْ

17 - أنْشَـأَ خَلقَهُ اخْتِيَـارَاً بِقَـدَرْ لِحِكَـمٍ لا عَبَـثَاً، كَـمَا ذَكَرْ

العدم: بفتح العين والدال، خلاف الْوُجُود.

أنشأ: قال أبو بكر: معنى أنشأ: ابتدأ.

و أنشد الفراء[للحطيئة]:

حتى إذا حَصَلَ الأمورُ وصارَ للحسبِ المصائِرْ

أنشأتَ تطلبُ ما تَغَيْرَ بعدمـا نَشِبَ الأظافِـرْ

معناه: ابتدأت[تطلب][1].

والإنشاء: الخلق على غير مثال سابق، ويسمّى إبداعا وفطرا.

خلقه: أي مخلوقاته يقال: «خلق الله الأشياء خلقا، وهو الخالق والخلاّق، قال الأزهري: ولا تجوز هذه الصّفة بالألف واللام لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأصل الخلق التقدير يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته له، وخلق الرجل القول خلقا افتراه، واختلقه مثله والخلق المخلوق فعل بمعنى مفعول مثل: ضرب الأمير» اهـ[2].

اختيارا: عكس الاضطرار، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ابتدأ وجود الخلق باختياره غير محتاج إليهم ولا مضطرًّا لإيجادهم لأنّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الغنيّ عن كلّ ماسواه، المفتقر إليه كلّ ماعداه، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[القصص: 68].

قال الطبري: «وربّك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان

1 - الزاهر في معاني كلمات الناس(1/202) /لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)/المحقق: د. /حاتم صالح الضامن/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992.

2 - المصباح المنير (مادة خلق).

والعمل الصالح من خلْقه، ما هو في سابق علمه أنّه خِيرَتُهُم... »[1].

بقَدَرْ: القدر لغة: القضاء والحكم ومبلغ الشيء، والتقدير: التروية والتفكر في تسوية الأمر[2].

واصطلاحًا: ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون.

وللعلماء في الفرق بين القضاء والقدر قولان:

الأول: القضاء هو العلم السّابق الذي حكم به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وفق الأمر المقضي السابق.

الثاني: عكس الأوّل: فالقدر هو الحكم السّابق، والقضاء هو الخلق والإيجاد.

والقول الثّاني هو الأرجح؛ فإنّ القدر اسم لما صار مقدّرًا، والقضاء: إيجاده.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القضاء هو المقضي)[3].

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القدر اسم لما صار مقدرًا عن فعل القادر).

وأما القضاء فهو الخلق؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 12]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البَقَرَة: 117].

والمعنى: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنشأ خلقه اختيارا منه بقدر قدَّره، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: 49]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المُرْسَلَات: 23].

---

1 – جامع البيان في تأويل القرآن(19/908) للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)/المحقق: أحمد محمد شاكر/الناشر: مؤسسة الرسالة/الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

2 – القاموس المحيط (ص591).

3 – انظر فتح الباري (11/ 149).

وقد سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النّبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها القدر فقال: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه» [1].

وللقدر مراتب سيأتي ذكرها عند قوله في آخر الأبيات: والكتب للأشياء، بحوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لحكم: جمع حكمة، وهي وضع الشيء في موضعه، ويقابلها العبث وهو محال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال أبو إسماعيل الهروي: «الحِكْمَة اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه» [2].

وقال ابن القيِّم: «الحِكْمَة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[3].

وقال النَّووي: «الحِكْمَة، عبارة عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك» [4].

فلم يكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحاشاه أن يخلق الخلق عبثا بل كان ذلك لحكم عظيمة، وتلك الحكم قد يطّلع على بعضها بعض المخلوقين، وقد تخفى عليهم، وما ذاك إلاّ لمصلحة العباد، فما أوجبه عليهم فلمصلحتهم والله الغني، وماحرّمه فلفائدتهم وهو

---

1 – مسلم (1 – (8) وليس فيه حلوه ومره، فإن لفظ: أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره. بزيادة حلوه ومره، قد جاءت في عدة أحاديث: فمنها حديث عمر الطويل في قصة جبريل، وأصل الحديث في الصحيح، ولكن هذه الزيادة عند ابن حبان. حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني كذلك في حديث جبريل الطويل.
حديث عبد الله بن عمر عند الطبراني في الأوسط، حديث عدي بن حاتم عند ابن ماجه، حديث أنس عند ابن النجار.
وقد ضعف الألباني هذه الزيادة من بعض طرقها في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم وحكم عليها بالنكارة. وعلى فرض صحتها، فقد قال الحافظ في الفتح (1/118) إنها من باب التقرير بالإبدال، يعني أنها وردت لتأكيد المعنى.
2 – منازل السائرين للهروي (ص: 78).
3 – مدارج السالكين لابن القيم (2/449).
4 – شرح النووي على مسلم (2/33).

الحكيم، وممّا اتّضح من الحكم أنّه خلقهم لعبادته قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: 56]، ومنها لعمارة الكون قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُودٍ: 61]، قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «... ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾» [الفُرْقَانِ: 2]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَرِ: 49]، والمقصود هو الدّقّة والإحكام في خلق هذا الكون المعقّد في كلّ جزئيّة منه وتراكبها مع بقيّة الأجزاء، في تناغم عجيب ومدهش.

قال في المراقي:

لم تلف في المعللات علّه ... خالية من حكمة في الجملة
وربما يعوزنا اطلاع ... لكنه ليس به امتناع

قال في الشرح: «إن الحكمة هي الباعثة للشارع على شرع الحكم لا للمكلف على الامتثال وهو ممنوع إذ لا يلزم من خفاء الحكمة، أن لا تكون الحكمة هي الباعثة للمكلف بل متى علم المكلف أنّ أحكام الشرع مقرونة بالحكم وإن لم تتعيّن تلك الحكم بعثه ذلك على الامتثال في الجملة...

يعني أن كون العلة لا تخلوا عن حكمة في الجملة لا يلزم منه اطلاعنا على كلّ حكمة، لكن عدم اطلاعنا لا يلزم منه منع التعليل بتلك العلة التي لم تظهر حكمتها»[1].

لاعبثا: العبث: العين والباء والثاء أصل صحيح واحد، يدلّ على الخلط، يقال: عبث الأقط، وأنا أعبثه عبثا، وهو عبيث، وهو يخلط ويجفف في الشمس. والعبيث: كلّ خلط. ويقال: في هذا الوادي عبيثة، أي خلط من حيين.

وممّا قيس على هذا: العبث، هو الفعل لا يفعل على استواء وخلوص صواب. تقول: عبث يعبث عبثا، وهو عابث بما لا يعنيه وليس من باله، وفي القرآن: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: 115]، أي لعبا. والقياس في ذلك كله واحد» (مصباح).

---

1 - نشر البنود لسيدي عبدالله ولد الحاج إبراهيم (2/137) تقديم: الداي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي/ الناشر: مطبعة فضالة بالمغرب.

(كما ذكر): في الآية السّالفة الذِّكر، ولقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء (16- 17].

وقال جل في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الدخان: 38-39].

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[ص: 27]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 22].

18 - بِقَولِهِ كُنْ فيكُونُ مَا طَلَبْ بِلا عِلاجٍ وَلُغُوبٍ وَنَصَبْ

(بقوله) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ (كن) لأنّ أمره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين الكاف والنون (فيكون ماطلب) أي أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:40]، وقال جل في علاه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة: 117].

فأمره بين الكاف والنون، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « عَبَّرَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُرَادِ قَبْلَ وُقُوعِهِ بِاسْمِ الشَّيْءِ، لِأَنَّ تَحَقُّقَ وُقُوعِهِ كَالْوُقُوعِ بِالْفِعْلِ، فَلَا تُنَافِي الْآيَةُ إِطْلَاقَ الشَّيْءِ عَلَى خُصُوصِ الْمَوْجُودِ دُونَ الْمَعْدُومِ، لِأَنَّهُ لَمَّا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يُوجَدُ ذَلِكَ الشَّيْءُ، وَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ كَانَ تَحَقُّقُ وُقُوعِهِ بِمَنْزِلَةِ وُقُوعِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ الشَّيْءِ بِاعْتِبَارِ وُجُودِهِ الْمُتَوَقَّعِ، كَتَسْمِيَةِ الْعَصِيرِ خَمْرًا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[يوسف:36]، نَظَرًا إِلَى مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ فِي ثَانِي حَالٍ »[1].

1 - أضواء البيان للشنقيطي (2/377).

والأمر الثاني: أنّ الخطاب الذي وجه إليه (كن) ليس خطابا تكليفيًّا، ولا أمرا له بفعل شيء، وإنما هو خطاب «كوني»، «قدري»، وهذا الخطاب: هو دليل قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التامة، وإرادته، ومُظْهِرُ ذلك».

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فان قيل: هذا خطاب لمعدوم؟ فالجواب: أنه خطاب تكوين يظهر أثر القدرة، ويستحيل أن يكون المخاطب به موجودا، لأنه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه، ويحقق هذا أنّ ما سيكون متصور العلم فضاهى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك» [1].

وقد سئل ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النَّحل:40]، فأجاب جوابا مطولا، جاء فيه: « ذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ مَعْلُومٌ قَبْلَ إبْدَاعِهِ، وَقَبْلَ تَوْجِيهِ هَذَا الْخِطَابِ إلَيْهِ، وَبِذَلِكَ كَانَ مُقَدَّرًا مَقْضِيًّا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ وَيَكْتُبُ، مِمَّا يَعْلَمُهُ: مَا شَاءَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو «إنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَغَيْرِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اُكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: مَا هُوَ كَائِنٌ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، إلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تُبَيِّنُ أَنَّ الْمَخْلُوقَ، قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ: كَانَ مَعْلُومًا، مُخْبَرًا عَنْهُ، مَكْتُوبًا ؛ فَهُوَ شَيْءٌ بِاعْتِبَارِ وُجُودِهِ الْعِلْمِيِّ الْكَلَامِيِّ الْكِتَابِيِّ، وَإِنْ كَانَتْ حَقِيقَتُهُ، الَّتِي هِيَ وُجُودُهُ الْعَيْنِيُّ: لَيْسَ ثَابِتًا فِي الْخَارِجِ، بَلْ هُوَ عَدَمٌ مَحْضٌ، وَنَفْيٌ صِرْفٌ»[2].

بلاعلاج: العلاج هو مكابدة الشيء، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير محتاج لذلك.

---

1 – زاد المسير لابن الجوزي (1/105).

2 –مجموع الفتاوى (8/184).

أولغوب: من فعل لغب: اللغوب: التّعب والمشقّة، يقال: أتانا سَاغِباً لاغِباً، أي: جائعاً تَعِباً.

ومنه قوله - عز وجل -: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:38]، قال البغوي: إِعْيَاءٌ وَتَعَبٌ[1].

ومنه حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَنْفَجْنَا أَرْنَبًا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَسَعَوْا عَلَيْهَا حَتَّى لَغِبُوا، فَسَعَيْتُ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذْتُهَا،....» [2]الحديث. (لغبوا) تعبوا وزنا ومعنى.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف: 33]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ﴾[ق: 15].

ويَعْيَ: من الإعياء، وهو: التَّعَبُ والكِلالُ.

أونصب: نصب نصبا من باب تعب أعيا. ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾[التوبة: 120].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزّه عن التّعب والنّصب.

19 - قُلْ صَدَقَ اللهُ، فَمَا فِي اللهِ شَكّْ مَالِكُ كُلِّ مَالِكٍ وَمَا مَلَكْ

(قل) أيّها المسلم الموحد (صدق الله) فيما أخبرنا به عن نفسه، وصدق الله فيما أخبرنا به عن نبيه ﷺ، وهذه آخية المسلم وهي التسليم والاستسلام لما أخبر به في كتابه أولسان رسوله ﷺ، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامُه عن خالص التّوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين

1 - تفسير البغوي (4/276).
2 - البخاري (5489).

الكفر والإيمان، والتّصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائها شاكّا، لا مؤمنا مصدّقا، ولا جاحدا مكذّبا»[1].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: 95].

إنّ في شرع الله أحكاما أمرنا أن نعملها دون أن نعرف معناها استسلاما لأمر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنطوف بالكعبة، ونقبل الحجر، ونسعى بين جبلين، ونرمي حجارة بحجارة، كل ذلك يفعله المسلم موافقا لاسمه المستسلم قلبا وقالبا لخالقه، يفعل ذلك مصدقا لخبر الله وتبليغ الصّادق المصدوق ﷺ، لأن ليس له فيه شك.

ولأنّ لعقولنا حدودا كما لأعيننا حدودا، فمن لزم ماحد له وآمن بما وراء ذلك من الغيب فقد نجا، ومن زاغ زاغ عن الهدى واتّبع الردّى.

فلذلك يلزمنا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وننفي عن الله مانفاه عن نفسه وما نفاه عنه نبيه ﷺ.

(فما في الله شكّ): ولاريب، بل هو الله الواحد الحق الذي لم يلد ولم يولد وليس مثله علا شيء من خلقه لافي ذاته ولا في صفته ولا في أفعاله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾[إبراهيم:10].

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ أي: قالت لهم رسلهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ خالقهما؛ أي: أنّه ليس فيه شك، وأنتم تقرون أنه خالق السموات والأرض، فكيف تعبدون غيره؟!»[2].

وقال الرازي:«اعلم أنّ أولئك الكفار لما قالوا للرّسل﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا

1 – متن الطحاوية (43).

2 – تفسير القرآن العزيز (2/363) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ) / المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز / الناشر: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة / الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2002م.

تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[إبراهيم: 9]. قالت رسلهم: وهل تشكّون في الله، وفي كونه فاطر السموات والأرض وفاطرا لأنفسنا، وأرواحنا، وأرزاقنا، وجميع مصالحنا، وإنَّا لا ندعوكم إلاّ إلى عبادة هذا الإله المنعم، ولا نمنعكم إلاَّ عن عبادة غيره، وهذه المعاني يشهد صريح العقل بصحّتها، فكيف قلتم: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾؟ وهذا النظم في غاية الحسن»[1].

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (مالك كل مالك وما ملك): أي مالك المالك والذي يملكه المالك، ومن ناحية اللغة: المَلك, والمليك, والمالك هو ذو المُلك, مَلك, ومليك, ومالك يعني: من له المُلك، والمَلْك أيضاً والمُلك والمِلك هو احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به.

ومُلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وملكوته هو سلطانه، وأصل هذه المادة المَلْك يرجع إلى الربط والشّدّ، وهذا الرّبط والشّدّ يرجع حاصله إلى القدرة التّامّة الكاملة, ثم قيل: مَلَكَ الإنسانُ الشيء مُلكاً؛ لأن يده فيه قوية صحيحة، مَلَك فلانٌ هذا المال، مَلَك فلانٌ هذا العقار, أو هذه الأرض, مَلَك فلان هذا الجهاز، وذلك إذا كانت يده عليه صحيحة قوية، يعني: لم يكن أخذه بغير حق، ما غصبه من آخر, وهو متمكن منه، أما إذا صار ذلك إليه لكن لم يمكَّن منه فإنه لا يقال: إنه ملكه.

فالمُلك في اللغة يدل على قوة في الشيء وصحة، والمالك للشيء متوثق منه، ومُحكِم لأمره أن يخرج عن يده، فلا يُمكِّن أحداً من إدخال يد معه، ولا التصرف فيه من غير إذنه. فكل مَلكٍ أو مالك فهو مالكه جلّت قدرته، وتعالت عظمته، لا يخرج عن سلطانه أحد، ولايستغني عن عطائه مخلوق، فالسموات السبع ومن فيهن والأرضون السّبع ومن عليهن أوفيهنّ جميعا في قبضته وتحت سلطانه قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: 67].

---

1 - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (19/70) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) / الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت/ الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المَائِدَة: 120].

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: 9 - 12].

فهو الذي خلق الخلق، وقدّر الأقوات، وقسّم الأرزاق، وضرب الآجال، فلايبغي أحد على أحد في رزقه ولا أجله، بل كلٌّ يأخذ حقه فقط مما قُسم له وقدر، وقد ذكر الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن حقيقة المُلك لاتتم إلا بالعطاء، والمنع، والإكرام، والإهانة، والإثابة, والعقوبة، والغضب، والرضا، والتولية، والعزل، وإعزاز من يليق به العزّ، وإذلال من يليق به الذّل، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آلِ عِمْرَان: 26]. (1)

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الموصوف بصفة الملك، وهذه الصفة -كما سيتضح- تنتظم أوصافاً كثيرة متعددة من صفات العظمة, والكبرياء, والقهر, والتدبير، فهو الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي، والسفلي، فكلهم عبيد ومماليك ومضطرون إليه.

فربنا ومليكنا هو المَلِك الحق الذي يتضاءل كلّ مُلك دون ملكه, وهو الإله الحقّ، وهو الرّبّ الحقّ، فالله خلق الخلق بربوبيته، وقهرهم بملكه واستعبدهم بإلهيته.

ومعنى البيت يدور على: أنا وأنت نملك الأشياء، ونحن والأشياء ومُلْكُنا إيّاها، من ملك الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

1 -طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 123).

20 - خَالِقُ كُلِّ فَاعِلٍ وَمَا فَعَلْ مُسَبِّبُ الأَسْبَابِ وَاضِعُ العِلَلْ

(خالق كلِّ فاعلٍ، ومافعل.....)، مسألةمهمة، وهي مسألة خلق أفعال العباد، وهي مسألة طالما أسالت بحارا من الحبر وكتب فيها الأوّلون من صناديد العلم، وأوتاد الحقّ ما ألجموا به كثيرا من خصوم الدّين، واختصرت المسألةَ آيةٌ مباركة وهي قول الحق: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصّافّات: (96].

فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خالقك، وخالق فعلك، (ومافعل) يمكن أن تكون (ما) بمعنى الذي الموصول الاسمي فيكون المعنى ومفعُولَه، ويمكن أن تكون موصولا حرفيّا فيكون بمعنى وفعلَه، فأنت ومفعولك وفعلك هو من خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وفي هذا ردّ على الفرق التي زلّت وضلّت في هذه المسألة، وقد تحدث السّلف في كتبهم عن مسألة خلق أفعال العباد، وصنف الإمام البخاري كتاباً مستقلاً سماه خلق أفعال العباد.

والحق: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خالق لأفعال العباد جميعها من خير وشر، فالمعصية التي يقوم بها العبد خلقها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكتبها وقدّرها عليه؛ لأنّه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا شيء إلا والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خالقه، والمسلمون تفرقوا في هذه المسألة فرقاً كثيرة، ولم يستطيعوا بعقولهم القاصرة بعد ابتعادهم عن القرآن والسنة أن يفهموا أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خالق لأفعال العباد.

ونجّى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سلف هذه الأمة من كلّ شرّ، ووقاهم الانحراف والوقوع في البدع والضّلالات، فهم أسعد النّاس بالحقّ، وأشدّ النّاس حرصاً عليه وتمسكاً به، وقد فهموا هذه المسألة وآمنوا بها متبعين لا مبتدعين.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أدرَكْتُ ناسًا مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يقولونَ: كلُّ شيءٍ بقدَرٍ فسمِعْتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ يقولُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كلُّ شيءٍ بقدَرٍ حتَّى العَجْزُ والكَيْسُ أو الكَيْسُ والعَجْزُ» [1].

« كل شيء بقدر الله حتى العجز والكيس».

1 - أخرجه مسلم (2655) و ابن حبان (6149).

وعن علي بن أبي طالب في الصحيحين قال: كنّا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مخصرة، فجعل ينكس أو ينكت بمخصرته في الأرض، ثم قال: «ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار» أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علم عن كل نفس منفوسة من أول الأمر أنها من أهل الجنة أو من أهل النار، وكذلك كتب هذا الأمر أنه من أهل الجنة أو من أهل النار.

قال: «إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ النبي ﷺ قول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[اللَّيْل: 5- 10]».

ومن هنا يظهر بوضوح أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شاء كل شيء، وخلق جميع أفعال العباد، وأوجدها من خير وشر، والعبد يقوم بفعل ما خلقه الله فيه وأوجده، وقد جاء عن عبد الله بن عباس مرفوعاً: « الله خالق كل صانع وصنعته»[1].

فأفعال العباد مخلوقة لله، وإن كانت مفعولة للعباد، فالفعل يتعلق به أمران:

1- الخلق من عند الله

2- والفعل من عند فاعله.

20 - ..... مُسَبِّبُ الأَسْبَابِ، وَاضِعُ الْعِلَلْ

المسبب: من سبب تسببًا فهو مسبِّب، أي ميسر الأشياء وجاعل الأسباب لها.

السبب: في اللغة الحبل، وهو ما يتوصل به إلى الاستعلاء، ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور، فقيل هذا سبب هذا وهذا مسبَّب عن هذا(مصباح).

وعند الأصوليّين: هو مايلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته، ذلك

1 - أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد وقال الحافظ في الفتح (13/498): وهو حديث صحيح.

أنه إذا فُقِد السّبب فُقد الأثر الذي يترتب وراءه.

فالأسباب هي: الوسائل لحصول المطلوب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84 - 85]،

ومسبباتها هي: النّتائج الحاصلة عند الأخذ بها، فالأكل سبب، والشِّبع الحاصل عن الأكل هو المُسبب، أي النتيجة الحاصلة عن الأكل، والمذاكرة سبب للنّجاح، والنّجاح هو المسبب للنتيجة، وهكذا؛ والله هو مسبب الأسباب، أي جاعلها بحكمته أسبابا مفضية إلى نتائجها، وقد ينزع الله منها تلك الأسباب متّى شاء فلا يكون لها أثر، فالنّار تحرق من سلطها الله عليه، ولكن الخليل شاء الله ألا تأكله النار ولم تمسسه بسوء، لأنّ الله نزع منها أسباب الحرق قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحي الفعال لما يشاء العليم القدير الحكيم، الخبير الرحيم الودود، لا إله إلاّ هو، وكل ما سواه فقير إليه، وهو غني عما سواه، لا يكمل بغيره، ولا يحتاج إلى سواه، ولا يستعين بغيره في فعل، ولا يبلغ العباد نفعه فينفعوه، ولا ضره فيضروه، بل هو خالق الأسباب والمسببات، وهو الذي يلهم عبده الدعاء، ثم يجيبه وييسر عليه العمل، ثم يثيبه ويلهمه التوبة، ويحبّه ويفرح بتوبته، وهو الذي استعمل المؤمنين فيما يرضيه، ورضي عنهم، فلم يحتج في فعله لما يحبُّه ويرضاه إلى سواه، بل هو الذي خلق حركات العباد التي يحبّها ويرضاها، وهو الذي خلق ما لا يحبّه ولا يرضاه من أعمالهم، لما له في ذلك من الحكمة التي يحبّها ويرضاها ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 70]، فلا إله إلا هو ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]. انتهى.

واضع: أي هو الذي وضع علل الأشياء، التي تترتب عليها معلولاتها، فكلها من وضع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فترى في الكون أشياء تبدأ بصفة وتنتهي بصفة مغايرة تماما، فالنار حارقة ولكن العجب أنها من الشجر الأخضر قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: 80].

العلل: جمع علّة، «والعلة اصطلاحًا: هي: وصف ظاهر منضبط دل الدليل على كونه مناطا للحكم، فقولهم: دلّ الدليل على كونه مناطا للحكم، أي: قام دليل معتبر من الأدلّة الدالة على العلّة على أنّ هذا الوصف علة الحكم.

ومعنى قولهم: مناطًا للحكم أي: متعلّقًا للحكم، بمعنى أن الحكم يعلق على هذا الوصف فيوجد بوجوده ويعدم بعدمه»[1].

والفرق بين السّبب والعلّة:

قال في المراقي:

ومع علّة ترادف السّبـــب والفرق بعضهم إليه قد ذهب

فالسّبب والعلّة بمعنى واحد عند جمهور الأصوليين، في القياس، كالزّنا فإنّه علّة وسبب للحدّ، وكزوال الشمس سبب وعلة لصلاة الظهر.

وذهب ابن السّمعانيّ تبعا لأهل اللّغة والنّحو على أنّ السبب هو الموصل إلى الشّيء مع جواز المفارقة بينهما ولا أثر له فيه ولا في تحصيله فمثلا الحبل هو سبب في استخراج الماء، بخلاف العلة فإنه يقع التأثير دون واسطة كالإسكار إذ هو علة في تحريم الخمر.

وذهب الإمام الشاطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الفرق بينهما فقال: فأمّا السّبب؛ فالمراد به: ما وضع شرعا لحكمة يقتضيها ذلك الحكم، كما كان حصول النصاب سببا في وجوب الزكاة، والزوال سببا في وجوب الصلاة، والسرقة سببا في وجوب القطع، والعقود أسبابا في إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك، وما أشبه ذلك.

وأما العلة؛ فالمراد بها: الحكم والمصالح التي تعلقت بها الأوامر أو الإباحة، والمفاسد التي تعلقت بها النواهي؛ فالمشقة علة في إباحة القصر والفطر في السّفر، والسّفر هو السّبب الموضوع سببا للإباحة؛ فعلى الجملة؛ العلة هي المصلحة نفسها أوالمفسدة لا مظنّتها، كانت ظاهرة أو غير ظاهرة، منضبطة أو غير منضبطة.اهـ[2]

1 - الشرح الكبير لمختصر الأصول للمناوي.

2 - الموافقات للشاطبي (1/410-411).المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/الناشر: دار ابن

وقيل: إنّ هناك فرقاً بين السبب والعلة من جهة المصطلح الكلامي من وجهين:

أحدهما: أن السبب ما يحصل الشيء عنده لا به، والعلة ما يحصل الشيء به.

الثاني: أن المعلول متأخر عن العلة بلا واسطة ولا شرط يوقف الحكم على وجوده، والسبب إنما يقتضي الحكم بواسطة أو بوسائط، ولذلك يتراخى الحكم عنها حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع، وأما العلة فلا يتراخى الحكم عنها إذا اشترط لها بل هي أوجبت معلولاً باتفاق.

21 - وهْوَ تَعَالَى أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدْ أَلْحَدَ مَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ اتَّحَدْ

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أي تقدّس وتبارك جَلَّ جَلَالُهُ (أحد) كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:1]وأحد هو منقطع العدد فلايقال بعده اثنين أو ثلاثة.

(فردٌ) الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة، من ذلك الفرد وهو الوتر، فالله فرد لاندّ له ولامثيل له ولاكفؤ له ولانظير، وقد كان من دعاء النّبيّ ﷺ وفي الحديث ضعف: إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ وَأَحَقُّ مَنْ أَعْطَى، أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْفَرْدُ لَا تَهْلِكُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَمْ تُعْصَ إِلَّا بِعِلْمِكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى فَتَغْفِرُ،...» الحديث[1]. من حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ: «مَنْ أَحْصَاهَا»[2].

ويمكن حمل الحديث على معنى الوتر فيه مستغني بذاته عن غيره، والواحد في

عفان/ الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

1 - ضعيف: أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (8/ 8027)، وفي ((الدعاء)) (318)، والشجري في ((الأمالي)) (1/ 250)، من طريق هشام بن هشام الكوفي ثنا فضال بن جبير عن أبي أمامة به مرفوعاً. قال الهيثمي في ((المجمع)) (10/ 117): وفيه فضال بن جبير؛ وهو ضعيف مجمع على ضعفه.

2 - رواه مسلم (5 - (2677).

ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. فصفاته كلّها وتر كالعلم بلا جهل والحياة بلا موت... إلخ، بخلاف المخلوق، وقلنا: المستغني بذاته عن غيره، لأنّ كلّ مخلوق أوجده الله شفعا، فإنّ كلّ عنصر منه في حاجة إلى العنصر الثّاني، ليكون معه ذاك الشّيء والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلاف ذلك. ولهذا كان القول الأول، وهو أن الوتر هو الله، والشفع هو المخلوقات جميعها، هو القول الراجح، وهو الأعم في المعنى.

(صمد) «يقال الصمد: السيّد الذي يُصمد إليه في الحوائج، ليس فوقه أحد، والصّمد أيضا: الذي لاجوف له»[1]، وقال الخطابي: «هو السَّيِّدُ، الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ في الأُمُوْرِ، وَيُقْصَدُ فِي الحَوَائِجِ والنوَازِلِ، وَأَصْلُ الصَّمْدِ: القَصدُ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: اِصْمِد صَمْدَ فُلاَن. أيْ: اِقْصِدْ قصْدَهُ، وَجَاءَ فِي التفْسير: أن الصَّمَدَ[الذي قَدِ انْتَهَى سُؤدَدُهُ. وَقيْلَ: الصَّمَدُ]: الدَائِمُ.

وَقِيْلَ: البَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الخلق. وَأصَحُّ هذِهِ الوُجُوْهِ مَا شَهِدَ لَهُ مَعْنَى الاشْتِقَاقِ. والله أعْلَمُ »[2].

21 - . . . . . أَلْحَدَ مَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ اتَّحَدْ

(ألحد): من الإلحاد في اللغة هو الميل، ومنها سمي الحفر في طرف القبر لحداً؛ لأنه مائل إلى جهة منه، أما في الاصطلاح فهو الميل عن ما يجب اعتقاده أو عمله، وهذا تعريف عام، كل ما لا يجب اعتقاده وعمله فهو إلحاد وصاحبه ملحد، لكن الإلحاد نوعان؛ إلحاد أكبر، وإلحاد أصغر، فالإلحاد التام: الذي هو الميل عن الإسلام كله فهذا إلحاد أكبر مخرج عن الملة، كإلحاد (من قال) إن الله جَلَّجَلَالُهُ (بخلقه اتحد) أي صار شيئا واحدا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهم مايسمون بجماعة الحلول أي يزعمون أن الله حل في الإنسان واتحد به، وهو مذهب كفري معروف، كاعتقاد النصارى حلوله في المسيح عيسى ابن مريم، واعتقاد بعض الناس حلوله في الحلاج، وفي بعض مشايخ

1 - نزهة القلوب في تفسير غريب القرءان للامام ابي بكر محمد بن عزيز السجستاني (303) ط/ وزارة الأوقاف القطرية.

2 - شأن الدعاء للخطابي (85).

الصوفية، ولابن عربي الطائي الصوفي زندقة كبيرة في هذا الباب، حتى يقول: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الذين تكلموا في هذا الأمر «الاتحاد العام» لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت دولة التتار، وإلاّ فكان الاتحّاد القديم هو الاتّحاد المعيّن، وذلك أنّ القسمة رباعية، فإنّ كلّ واحد من الاتّحاد والحلول إمّا معيّن في شخص، وإمّا مطلق، أمّا الاتّحاد والحلول المعيّن كقول النّصارى والغالية في الأئمة من الرافضة، وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية، فإنهم يقولون به في معين: إما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن، وهو قول اليعقوبية وهم السودان، ومن الحبشة والقبط، وإما بالحلول، وهو قول النسطورية، وإما بالاتحاد من وجه دون وجه، وهو قول الملكانية.

وأما الحلول المطلق وهو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته حالٌّ في كل شيء فهذا يحكيه أهل السنّة والسّلف عن قدماء الجهمية، وكانوا يكفرونهم بذلك.

فأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض، هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غني وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم لأنه أمر مبهم».

وأما الاتحاد فمعناه أن عين المخلوقات هو عين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو ما سبق تسميته في كلام شيخ الإسلام الاتحاد العام.

وقال عنه في مكان آخر (فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو «فصوص الحكم»[لابن عربي]وأمثاله، مثل صاحبه القونوي والتلمساني وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباعهم مذهبهم الذي هم عليه: أن الوجود واحد، ويسمون أهل وحدة الوجود، ويدعون التحقيق والعرفان، وهم يجعلون وجود الخالق، عين وجود المخلوقات، فكل ما يتصف به المخلوقات من حسن وقبيح، ومدح وذم، إنما المتصف به عندهم عين الخالق، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل

عنها أصلاً، بل عندهم ما ثم غير أصلا للخالق ولا سواه.

ومن كلماتهم الكفرية: ليس إلا الله، فعباد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم، لأنهم ما عندهم له غير، ولهذا جعلوا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:23]بمعنى قدر ربك أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه، إذ ليس عندهم غير له تتصور عبادته، فكلّ عابد صنم إنّما عبد الله.

ولهذا جعل صاحب هذا الكتاب: عباد العجل مصيبين،... وفرعون من كبار العارفين المحققين، وأنه كان مصيباً في دعواه الربوبية... ويكفيك معرفة بكفرهم أن من أخفّ أقوالهم أنّ فرعون مات مؤمناً بريئاً من الذنوب...) إلى آخر ما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهم، مما يدل دلالة واضحة صريحة على كفرهم، وخروجهم عن الملة، نسأل الله الثبات على الحق..

ومن أشعار ابن عربي صاحب الفصوص المكية (الهلكية):

الرب حق والعبد حـــق يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت وإن قلت رب أنى يكــلف

بل ادعى كذلك أن الجنة والنار كليهما للنعيم، وأن أهل النار منعمون كما أهل الجنة، قال:

وإن دخلـــــوا دار الشقاء فإنهم على لـــذة فيها نعـيم مـباين

نعيم جنان الخلد، فالأمر واحـد وبينهما عند التـجلي تبايـــن

يسمى عذابًا من عذوبة طعمـــه وذاك له كالقشر والقشر صاينُ

وقد انتقد العلماء مذهبه الرّديء، فألف العلامة برهان الدين البقاعي(885 هـ) كتابا في ذلك سماه 'تنبيه الغبيّ إلى تكفير ابن عربي'، ونقل نقولات كثيرة من تكفير العلماء لابن عربي، وكذلك العلامة الفاسي المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقد الثمين أقوال العلماء في تكفير ابن عربي.

ولعلي هنا أورد بعض تلك النقولات:

فنور الدين البكري الشافعي، قال في مقالات ابن عربي: فصاحبها ألعن وأقبح من أن يتأول له ذلك، بل هو كاذب فاجر، كافر في القول والاعتقاد، ظاهرا وباطنا، وان كان قائلها لم يرد ظاهرها فهو كافر بقوله، ضالّ بجهله، لا يعذر في تأويله لتلك الألفاظ، إلا أن يكون جاهلا بالاحكام جهلا تاما عاما، ولم يعذر في جهله بمعصيته لعدم مراجعته العلماء. وفي العقد الثمين سراج الدين البلقيني: قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه ذكر لمولانا شيخ سراج الدين البلقيني شيئا من كلام ابن عربي المشكل، وسأله عن بن عربي، فقال له شيخنا البلقيني: هو كافر[1].

تقيّ الدّين السّبكيّ: قال في ابن عربي: ومن كان من هؤلاء الصوفيّة المتأخرين كابن عربي واتباعه فهم ضلال جهّال خارجون عن طريقة الإسلام، فضلا عن العلماء[2].

يقول أبو زرعة العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عن ابن عربي وكتبه: لاشكّ في اشتمال الفصوص المشهورة على الكفر الصّريح الذي لا يشكّ فيه، وكذلك فتوحات المكية، فإن صحّ صدور ذلك عنه، واستمرّ إلى وفاته فهو كافر مخلد في النار بلاشكّ[3].

العزّ بن عبدالسّلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عن ابن عربي: شيخ سوء وكذّاب يقول بقدم العالم ولا يحرِّم فرْجا. [4]

الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عنه: ومن أردإ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر» [5].

الحافظ المزيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عن كلمات ابن عربي: ينبو عنه السّمع، ويقتضي الكفر، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها.

---

1 – (العقد الثمين 178/ 2).
2 –(العقد الثمين 178/2 – 188)
3 –(تنبيه الغبي ص 52، العقد الثمين (190/2).
4 –(الوافي بالوفيات 4/ 174).
5 –(سير اعلام النبلاء 48/23 – 49).

زين الدين الكتاني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عن كلمات ابن عربي: ومن صدق المذكور في هذه الامور أو بعضها مما هو كفر، ويأثم من سمعه ولم ينكره اذا كان مكلفا، وان رضي به كفر والحالة هذه.[1]

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيهم: «حتى يبلغ الأمر بأحدهم إلى أن يهوى المردان، ويزعم أن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تجلى في أحدهم، ويقولون: هو الراهب في الصومعة ؛ وهذه مظاهر الجمال ؛ ويقبّل أحدهم الأمرد، ويقول: أنت الله. ويذكر عن بعضهم أنّه كان يأتي ابنه، ويدّعي أنّه الله ربّ العالمين، أو أنّه خلق السّماوات والأرض، ويقول أحدهم لجليسه: أنت خلقت هذا، وأنت هو، وأمثال ذلك.

فقبّح الله طائفة يكون إلهها الذي تعبده هو موطؤها الذي تفترشه ؛ وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً.

ومن قال: إن لقول هؤلاء سرّاً خفيًّا وباطن حقّ، وأنّه من الحقائق التي لا يطّلع عليها إلاّ خواصّ خواصّ الخلق: فهو أحد رجلين - إما أن يكون من كبار الزنادقة أهل الإلحاد والمحال، وإما أن يكون من كبار أهل الجهل والضّلال؛ فالزّنديق يجب قتله، والجاهل يعرف حقيقة الأمر، فإن أصرّ على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجّة عليه وجب قتله.

ولكن لقولهم سرّ خفيّ وحقيقة باطنة لا يعرفها إلاّ خواصّ الخلق. وهذا السر هو أشد كفراً وإلحاداً من ظاهره ؛ فإنّ مذهبهم فيه دقّة وغموض وخفاء قد لا يفهمه كثير من الناس»[2].

ويقول أيضاً ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقوال هؤلاء شرّ من أقوال اليهود والنصارى، فيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتّحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فهو مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه. فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة

1 -(العقد الثمين 2/174 - 175). وهي في تنبيه الغبي.
2 -الفتاوى (2/378-379).

قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى»[1].

وقال أيضاً: «ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد، أو جاهل ضال»[2].

فالحاصل مما تقدم ان ابن عربي طود عظيم في الضلالة، فإن مات على ذلك فبئس المورد وإن أناب فإلى الله المصير، والله اعلم.

والذين قالوا بهذا الإلحاد من المنتسبين الى الاسلام لهم فيه ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: هو الذي يسمى بمذهب الاتحاد.

والمذهب الثاني: مذهب الحلول.

المذهب الثالث: مذهب وحدة الوجود

أما مذهب الاتحاد فهو الزعم أن الإله اتحد بغيره من مخلوقاته تعالى الله.

وأما مذهب الحلول فهو الزعم أنه مجرد معنى يحل في الاجساد فيزعمون أنه هو التصرف فمن حلّ فيه يزعمون أنّه حلّت فيه الألوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و المذهب الثالث: هو الذ اشتهر بمذهب وحدة الوجود، وهو الزعم أن الإنسان يمكن أن يصل برياضاته إلى حيث لا يحس بشيءٍ من الموجودات الا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقائلون به يزعمون أن معنى: لا اله الا الله لا موجود الا الله، فيرون أنه ليس في هذا الكون موجود الا الله وهذا غاية الضلال والانحراف، لأنه لو كان كذلك فلامعنى للرّسالة ولا للتكليف، فهذا كلّه من الغلوّ والإلحاد الذي لايرضاه الله، ولم تأت بمثله الرّسل، وليس لهم إلاّ العذاب الشّديد، والخلد المديد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ

1 -الفتاوى (2/368).

2 -(الفتاوى 2/367)

فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصِّلَتۡ: 40].

22 - لَيسَتْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدْ أوْ وَالِدٌ لَيسَ لَهُ كُفْؤًا اَحَدْ

الصّاحبة: الزوجة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[الأَنۡعَامِ: 101].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخبرا عن تنزيه الجنّ لربّهم عن الصّاحبة والولد: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾[الجِنّ:3]. قال الواحدي: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: جلاله وعظمته عن أن يتّخذ ولدا أوصاحبة»[1].

(ولاولد أووالد)، أو بمعنى (لا) على حد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإِنسَانِ:24].

وفي نفي الولد والوالد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾[الإِخۡلَاصِ: 3]، فالولد يحتاج إليه الفاني، أما الحي الباقي الذي لايموت غني عن ذلك، وبدأ بذكر الولد لأن كثيرا ممن كفر نسب لله الولد - تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا -، فقد قالت اليهود والنّصارى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التَّوۡبَةِ:30]، وقال في مشركي العرب ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾[النَّحۡلِ: 57].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَٰتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾[الصَّافَّاتِ: 153].

وليس له والد لأنّ من يولد سيموت، ويحتاج إليه من سبق وجوده العدم، والله منزه عن ذلك، فهو الأول والآخر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

1 - تفسير الواحدي (1139).

وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتما وتكذيبا من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

(ليس له كفؤا أحد)، الكفؤ: المثل[1]، وقيل: نظيرا[2].

معنى البيت: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزّه عن الصاحبة، ومن تنزّه عن الصاحبة تنزّه عن الولد، وهو منزه أن يكون له والد لأنّه غنيّ غنًى مطلقا، ومن كان له والد سيموت، ويخلفه غيره، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لامثل له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ولانظير له.

رَوَى أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ السُّورَةَ أي الإخلاص [3].

23 - وَلَيسَ مِثلَهُ - علاَ - شَيءٌ وَلاَ يُلْزِمُ ذَا نَفْيَ صِفَاتِهِ العُلَى

(وليس مثله علا شيء) لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]، فنفى الله عن نفسه المماثلة للخلق، وأثبت لنفسه الصفات العلية (ولايُلْزِم ذا) إذا ضممت الياء وكسرت الزاي نصبت نفيَ، وإن قرأت بفتحهما رفعت، ولايلزم من نفي المثل، (نفيَ صفاته العلى) أي الصفات العالية، فنفي المماثلة لايلزم نفي الصّفات، لأنّ صفات الله تليق بجلاله وعظمته ووحدانيته، وصفات المخلوق تليق بحدوثه وضعفه وفنائه، ولايلزم من ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق، والرازق بالمرزوق، ولاتعطيل لصفته خشية التشبيه كما سيأتي.

---

1 - نزهة القلوب في تفسير غريب القرءان (384) تقدم قريبا المرجع.
2 - غريب القرءان (446) اليزيدي عبدالله بن يحي بن المبارك. بيروت /عالم الكتب /ط1 -1405.
3 - أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة الإخلاص - 9 / 299 - 300، وأخرجه مرسلا أيضا: 9 / 301، والإمام أحمد: 5 / 134، وصححه الحاكم: 2 / 540 ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات: 1 / 419، والطبري: 30 / 342

والنفي: في اللغة تقول: نفيت الحصى نفيا من باب رمى دفعته عن وجه الأرض فانتفى، ونفى بنفسه أي انتفى، ثم قيل لكلّ شيء تدفعه ولا تثبته نفيته فانتفى، ونفيت النسب إذا لم تثبته « «مصباح»، وفي مقايس اللغة: «(نفى) النون والفاء والحرف المعتل أصيل يدلّ على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه. ونفيت الشيء أنفيه نفيا، وانتفى هو انتفاء»[1].

(الصّفات): جمع صفة، والصفة لغة:أصلها وصف، قال ابن فارس: الواو والصاد، والفاء، أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفا، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء» [2].

فالصفة إذاً ما قام بالموصوف من نعوت، وتارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف، وتارة يراد به المعاني التي دلّ عليها الكلام، كالعلم والقدرة» [3].

فصفات الله إذاً هي: «نعوت الكمال القائمة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

والصفة غير الذات، وزائدة عليها من حيث مفهومها، وتصورها بيد أنّها لا تنفك عن الذات، والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: 22، 23]إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الحشر: 24] ونظائر ذلك.

والصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النّعوت، كالوجه واليدين، والقدم، والأصابع، وتسمّى صفات، وقد أطلق عليها السّلف هذا الاسم[4]، وكذلك متكلّمو

---

1 – مقاييس اللغة (مادة نفى، ومثله المصباح المنير).

2 –معجم مقاييس اللغة 6/115. وانظر منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله 2/400،

3 – انظر مجموع الفتاوى 3/335.

4 – كما قال الإمام الترمذي في سننه (662) وهو من السلف: «وقد روي عن عائشة، عن النبي ﷺ نحو هذا» وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات: ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال: كيف هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث:«أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا

أهل الإثبات سمّوها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية، كأبي الوفاء بن عقيل وغيره، وقال: لا ينبغي أن يقال: نصوص الصفات، بل آيات الإضافات؛ لأنّ الحيّ لا يوصف بيده ولا وجهه؛ فإنّ ذلك هو الموصوف، فكيف تسمّى صفة؟ وأيضا: فالصفة معنى يعمّ الموصوف، فلا يكون الوجه واليد صفة.

والتحقيق: أن هذا نزاع لفظي في التسمية، فالمقصود: إطلاق هذه الإضافات عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونسبتها إليه، والإخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل، سواء سميت صفات أو لم تسمّ» [1].

(العلى): جمع تأنيث الأعلى، والمعنى: هي الأشرف والأفضل، المتعاليّة عن النّقائص، المنعوتة بالكمال.

24 - فَهْوَ السَّمِيعُ والبَصِيرُ المُتَّصِفْ بِمَا بِهِ فِي نَوْعَيِ الوَحْيِ وُصِفْ

لمّا نفى عن الله المثلية كما في الآية، أثبت له صفاته العليّة، والتي أثبتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه حيث نقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ونقرأ في الإثبات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فأثبت لنفسه صفة السمع والبصر وجاءت بصيغة المبالغة فعيل للدلالة على ذلك، وهكذا البصير، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِ وَأَبْصِرْ﴾ مبالغة في إثبات السّمع والبصر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتّصف بما به) جاء متلوّا (في نوعي الوحي) وهما الكتاب والسنة حيث(وصف) بهما جَلَّ جَلَالُهُ، وجاء بالفعل المبني لما لم يسمّ فاعله ليصدق على ماوصف الله به نفسه في كتابه، وما وصفه به نبيه ﷺ.

تشبيه، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة »، وقال إسحاق بن إبراهيم: « إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يد، وسمع، وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: 11] »اهـ.

1 -ينظر: ((مدارج السالكين))لابن القيم (3/ 323).

ومعنى(السّميع) [1]: قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: 11] يقول جلَّ ثناؤه واصفاً نفسَه بما هُو به، وهو يعني نفسَه: السَّميعُ لما تَنْطقُ به خَلْقه مِنْ قولٍ.

قال البيهقي: «السّميع: من له سمع يدرك به المسموعات، والسّمع له صفة قائمة بذاته»[2].

وقال الكفعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السَّميع بمعنى السَّامع، إلا أنه أبْلغ في الصِّفة، وبناؤه: فعيل؛ بناء المبالغة؛كقولهم: عليمٌ مِنْ عالم، وقديرٌ مِنْ قادر. وهو الذي يسمعُ السِّرَّ والنَّجْوى، سواءً عنده الجهرُ والخُفُوت، والنُّطقُ والسُّكوت»[2].

وقال الأزهري: «السميع: من صفات الله وأسمائه، وهو الذي وسع سمعه كل شيء... والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع؛ فرارا من وصف الله بأن له سمعا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف» [4].

وقال السّعديّ: «الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية البعيد عنده قريب»[5].

وسمعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوعان:

أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التّامة بها.

والثاني: سمع الإجابة منه للسّائلين والدّاعين والعابدين فيصيبهم ويثيبهم»[6].

---

1 -اسم الله «السميع» في القرآن الكريم: ورد الاسمُ في الكتاب العزيز خَمْساً وأربعين مرة.
2 - الاعتقاد للبيهقي (ص: 59).
2 - المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى للكفعمي (39).
4 - تهذيب اللغة (2/ 74).
5 -توضيح الكافية الشافية (ص118).
6 -تفسير أسماء الله الحسنى (1/209) المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن

قال ابن القيم [1]:

وهو السّميع يرى ويسمع كلّ ما ... في الكون من سرّ ومن إعلان
ولكلّ صوت منه سمع حاضر ... فالسّرّ والإعلان مستويان
والسّمع منه واسع الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدها والدّاني

ويشتق له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من اسمه السميع صفة السّمع على الوجه الذي يليق بجلاله، لأنه صفةٌ ذاتيَّةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ والإجماع.

ومعنى البصير [2]: قال الخطابي: البصير: هو المبصر؛ فعيل بمعنى مفعل، كقولهم، أليم: بمعنى: مؤلم، وكقول عمرو بن معد يكرب: أمن ريحانة الداعي السميع

يريد: المسمع. ويقال: البصير: العالم بخفيات الأمور» [3].

وقال ابن كثير: ﴿بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران: 15، 20]، أي: هو عليمٌ بمن يَسْتحق الهداية ممَنْ يَسْتحقُّ الضلالة، وهو الذي لا يُسْأَلُ عما يفعلُ؛ وهم يسألون، وما ذلك إلا لحِكْمته ورحمته « [4].

وقال الآلوسي: (واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) أي: خبيرٌ بهم؛ وبأحْوالهم وأفْعَالهم.

وقال السِّعدي: البصير، الذي يُبْصر كلَّ شيء وإنْ رقَّ وصَغُر، فيُبْصِر دَبيبَ النَّملة السَّوداء في الليلة الظلماء؛ على الصَّخرة الصَّماء، ويُبْصر ما تحتَ الأرْضين السَّبْع؛ كما يُبْصر ما فوقَ السَّموات السبع [5].

ويشتق له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من اسمه البصير صفة البصر على الوجه الذي يليق بجلاله، لأنه صفةٌ ذاتيَّةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكِتابِ والسُّنَّةِ والإجماع. قال أبو

حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)/المحقق: عبيد بن علي العبيد/الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ الطبعة: العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ

1 - النونية (2/ 215).

2 -ورد هذا الاسْم في القرآن اثنتين وأربعين مرة.

3 - (شأن الدعاء) (1/ 60). وينظر: (تفسير أسماء الله الحسنى) للزجاج (ص: 42).

4 - تفسير ابن كثير (2/26).

5 - الحق الواضح المبين (ص35 و36).

الحَسنِ الأشعريُّ: :أَجمَعوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يَسمَعُ ويرى [1].

25 - يُمَرُّ مَا فِي وَصْفِهِ جَاءَ مِنَ الْـ ـوَحْيِ كَمَا يَفْهَمُ مَن فِيهِمْ نَزَلْ

(يُمَرُّ) من الإمرار أي أن (ما في وصفه جاء) من الصّفات العليّة يجب إقراره وإمراره كما هو ثابت (من الوحي) كتابا وسنّة، (كما يفهم) بمعنى كما فهم (ذا)لك (من فيهم نزل) وهم العرب الفصحاء، فلم يستشكل ذلك الصّحابة ولا الشّانئون من كفار قريش وغيرهم الذين كانوا يبحثون عن الهَنَات والهفوات، فلاأبوبكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو قمة الإيمان بعد الرسل يقول يارسول الله أشكلت علي هذه الصّفات اشرحها وفسرها لي، ولا قمة الكفر أبوجهل اللّعين يقول لقد وصف محمد ﷺ ربّه بما لايليق به، فكلّ العرب أقرّت بالصّفات وأمرّتها على ظواهرها.

قال الوليد بن مسلم: سألت مالكًا، والثوري، واللَّيْث، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات، فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت [2].

قال محمَّدُ بنُ الحسَنِ؛ صاحِبُ أبي حنيفةَ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ الله: «اتَّفق الفُقَهاءُ كُلُّهم من المشرِقِ إلى المغرب على الإيمانِ بالقُرآنِ والأحاديثِ التي جاء بها الثِّقاتُ عن رَسول الله ﷺ في صفةِ الرَّبِّ عزَّ وجَلَّ من غير تفسيرٍ [3]، ولا وَصفٍ، ولا تَشبيهٍ، فمن فَسَّرَ اليومَ شَيئًا من ذلك فقد خرج ممَّا كان عليه النَّبيُّ ﷺ، وفارق الجماعةَ؛ لأنَّه وصَفَه بصِفةٍ لاشَيءٍ»[4].

وقال الخطيبُ البغداديُّ: «أمَّا الكلامُ في الصِّفاتِ فإنَّ ما رُوِيَ عنها في السُّنَنِ الصِّحاح، مَذهَبُ السَّلَفِ إثباتُها وإجراؤُها على ظواهِرِها، ونَفيُ الكيفيَّةِ والتَّشبيهِ عنها». [5]

---

1 - يُنظر: ((رسالة إلى أهل الثغر)) (ص: 225).

2 -(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ 8 صـ 162)

3 - قال ابنُ تَيميَّةَ: قوله: «من غير تفسير»: أراد به تفسيرَ الجَهميَّةِ المعطِّلةِ الذين ابتدعوا تفسيرَ الصِّفاتِ، بخلافِ ما كان عليه الصَّحابةُ والتَّابعون من الإثباتِ . (مجموع الفتاوى) (5/50).

4 - يُنظر: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالَّكائي (3/480).

5 - يُنظر: (رسالة الصفات)) للبغدادي، وهي مطبوعة ضمن كتاب: (اعتقاد أهل السنة) لأبي بكر الإسماعيلي (ص: 73).

و قال ابنُ عبدِ البَرِّ: «رُوينا عن مالكِ بنِ أنسٍ، والأوزاعيِّ، وسُفيانَ بنِ سَعيدٍ، وسفيانَ بنِ عُيَينةَ، ومَعْمَرِ بنِ راشِدٍ، في الأحاديثِ في الصِّفاتِ: أنَّهم كُلَّهم قالوا: أمِرُّوها كما جاءت».[1]

و قال ابنُ القَطَّان: «أجمعوا على وَصْفِ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بجَميعِ ما وَصَف نَفْسَه، ووصَفَه به نبيُّه، مِن غيرِ اعتِراضٍ فيه، ولا تكييفٍ له، وأنَّ الإيمانَ به واجِبٌ، وترْكَ التَّكييفِ له لازمٌ» [2].

قال ابن الوزير: «إن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يوصف إلا بما تحقّق فيه مدح وثناء، دون مافيه نقص، أوما لانقص فيه ولاثناء»[3].

وقد قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظم آخر ماتع:

الظَّـاهرُ الّذي عليه نُبقـــــي ... مُوهِمَ تَشْبِـيهٍ لِرَبِّ الخلْق

هو الذي أهلُ اللِّسان فهمـــوا ... إذنزل الـوحيُ به عليهمُ[4]

فلا أبوبكر لخـير الرّسلِ يقول ... أشكلَ عليَّ اشْرَحه لِي

ولاأبوجـــهل يقـــول:اختلفا ... أثبت مامن التماثل نفـى[5]

وهو الذي في قـول بابا المرتضى ... سيفِ الهُدى العضْب الحسام المُنْتَضَى[6]

ماأوْهمَ التّشبيـــهَ في آيـــاتِ ... وفي أحاديـــثَ عن الثِّـقاتِ

---

1 – يُنظر: ((جامع بيان العلم)) (2/195).

2 – يُنظر: ((الإقناع في مَسائِل الإجماع)) (1/44).

3 – إيثار الحق على الخلق لابن الوزير الصنعاني (2/190) ط/نجبويه.

4 – أي العرب الذين نزل بلغتهم الوحي.

5 – أي فلا الصديق تلميذ النبي ﷺ وصاحبه في السراء والضراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول للنبي ﷺ اشرح لي معاني هذه الصفات فلم أفهمها،ولاأبو جهل اللّعين الذي كان يلتمس العثرات قال هاهو محمد ﷺ يثبت لله جل وعلا مماثلته للخلق وقد كان ينفيها،وينزه ربه عنها.

6 – أي وهو الذي نظمه الشيخ العلامة المجدد بأرض المرابطين الشيخ بابا ولد الشيخ سيديا رَحِمَهُ ٱللَّهُ،وقد وصفه بأنه سيف الهدى أي القاطع للشبه المثبت لقول الحق، والعضب،والحسام،والمنتضى كلها نعوت للشيخ المبارك المشبه السيف.

فهْيَ صفاتٌ وُصِف الرَّحمانُ ... بها وواجبٌ بها الإيمانُ
ثمّ على ظاهرها نبقيها ... ونحذر التأويل والتّشبيها[1]
والظّاهرُ الذّ صرفُهُ عنه يجبْ ... هو الذي يفهمه من قد حجب[2]
فهو يسير في الظّلام الدّامس ... بين مَوَامِي[3] الفتنة الطَّوَامِس
وهو الذي يقول فيه المَقَرِيُّ ... المغربيُّ المالكيُّ الأشعريُّ[4]
«والنَّصَّ إن أوْهَمَ غيرَ اللاَّئِقِ ... باللَّه كالتَّشْبيهِ بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره إجماعا ... واقْطَعْ عن المَمتنع الأطماعا»
فواجبُ اللَّذْ منه تشبيها فُهِمْ ... جَرَاءَ ضَعْفِ فَهْمِه أن يتَّهمْ
في ذاك فهمَهُ فلا دِلاَلَة فيه ... فيه لما من شَبَهٍ جَلاَ لَهْ[5]
أصلا: ولو سلّم تسليم الجدل ... أن كان ظاهرا على التّشبيه دلّ
تعيّن الصّرف بلا خلاف ... فليس في النّظمين من تناف
إذ وحدة الموضوع للتّناقض ... شرطٌ، وباختلافه هنا قُضي[6]

---

1 – أي يجب علينا الإيمان بمعانيها الظّاهرة مع إبقائها على ظواهرها دون تأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره، أو تشبيه: وهو جعل المشبه به مماثلا للمشبه في كلّ شيء.

2 – أي أن المحجوب عن الفهم هو الذي يصرف الظواهر إلى المشابهة والمماثلة،فهو بذلك يسير في الظلام شديد الحلكة بين فلوات الفتنة الواسعة سريعة الهلكة وقليلة النجاة، بعيدة الرجعة والقفول إلى النجاة،وهل هناك فتنة أكبر من أن يشبه الخالق بالمخلوق؟ أو يعطل الخالق عن صفاته التي تليق بجلاله بسبب قصر الفهم وخوف التشبيه، ألم يكف منور القلب ذكي الفؤاد[ليس كمثله شيء وهو السميع البصير]

3 – موامي: جمع مَوْمَاءُ، و المَوْمَاءُ : المفازةُ الواسِعَةُ.

4 – وفي هذا تصحيح لما تضمنته إضاءة الدّجنّة للإمام الشيخ الفقيه القاضي أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة 759هـ.

5 – جَلاَ لَهْ: أي بان له أي كان ينبغي لمن اتضح له أن إمرار الصفات على ظواهرها مناف للتنزيه عليه أن يتهم فهمه لانصوص الشرع،ولأئمة الهدى الذين أقروها ثم أمروها على ظاهرها..

6 – قوله ولو سلم تسليم الجدل: الخ... أي لو تنازلنا للشيخ المقري وقلنا بأن التناقض وهو عند المناطقة: ثبوت الشيء وسلبه، كما لو قلنا: زيد كاتب، وزيد ليس بكاتب، هنا جاء التناقض كيف يكون زيد كاتبا وفي نفس الوقت ليس بكاتب، فلا بد من إثبات أحدهما ونفي الآخر لأن التناقض جرى على واحد لامتعدد،

يبقى لنا تصويب قول المـــقري: «فاصرفه عن ظاهره» فهو حري
بقوله بدَلَه «فاصرفه عن مُوهَمِهِ» إذ ذَّا به الإشكـــــالُ عنّ[1].

26 - مِن غَيرِ مَا تَكْيِيفٍ اَوْ تَمْثِيلِ[2] لَـهُ وَلا تَحْرِيفٍ اَوْ تأوِيلِ

أي يجب علينا أن نؤمن بصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فنقرّها ونمرّها (من غير ماتكييف) فلايجوز أن نبحث عن كيفيتها، إذ نحن متعبّدون بالإيمان بها لابكيفيتها، وذلك لأنّ العقل له حدود لايمكنه مجاوزتها ولامعرفة ماوراء عالم الشّهادة، كما أنّ لأبصارنا حدودا لايمكنها تجاوزها، فلاتبصر ممّا وراء الحيطان لضعف قوّتها، وغير ذلك من جوارحنا بها في ذلك عقولنا، ومادام أن العقل عاجز عن معرفة الذوات الغيبية، فهو من باب أولى عاجز عن تكييفها، وأغلب ماعندنا من المعرفة أسماء الغيبيات، فهي وإن اشتركت في اللفظ فقطعا أنها تختلف معانيها، ولذلك قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[البقرة:25] قال عكرمة: قال: يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب ؛ وقال سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، لا يشبه شيء مما في الجنّة ما في الدنيا إلاّ في الأسماء، وفي رواية: ليس في الدّنيا ممّا في الجنة إلاّ الأسماء[3].

ولذلك فإنّ الحقائق الواقعية التي تضمنتها آيات القرآن - والتي هي شيء وراء المعنى الذي يدركه الذّهن عند سماع الخطاب - نوعان:

فلذلك قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: إذ وحدة الموضوع للتناقض،أي شرط التناقض دورانه على موضوع واحد، لكن هنا في مسألة الصفات والخوف من الشبه تعدد الموضوع: صفات لله،وصفات للمخلوق، خالق ليس كمثله شيء، ولايمكن معرفة كنه ذاته فلا يمكن معرفة حقيقة صفاته بمجرد تشابه الألفاظ.فافهم. وللعلامة المفسر الفقيه الأصولي شيخ مشايخنا محمد الأمين الشنقيطي رسالة ظريفة في الصفات فإن ظفرت بها وتمعنتها وجدت لها على القلب بردا وسلاما.

1 - بقي شيء واحد وهو تصويب قول المقري: فاصرفه عن ظاهره.. فنضع فاصرفه عن موهمه أي ما يدعو للإيهام فيتضح الإشكال) وانظر متفضلا شروح السلم المنورق للأخضري عند فصل التناقض.

2 - قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: (أو) بنقل حركة الهمز وهو وجه من أوجه تخفيفه مطرد في السعة مقروء به في السبع فهو رواية ورش عن نافع، وسيمر بك كثيرا فليكن منك على بال. (التسهيل 1/7).

3 - تفسير ابن كثير (1/205).

- نوع يمكن إدراكه، وهو حقائق ما جاء في القرآن ممّا يتعلّق بالإنسان والكون المحيط به ذواتا وأفعالا، مثل ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التَّوْبَة: 128 - 129]، ففي الآية ذكر للرسول ووصف له بأنه رؤوف ورحيم، ومن نزل فيهم الوحي يعرفون معاني هذه الكلمات الثلاث، كما أنّهم يدركون واقعها وهو الرّسول نفسه محمّد ﷺ ورأفته ورحمته المتمثلتان في تصرفاته معهم.

- ونوع لا يمكن إدراكه، وهو حقائق الوجود الغيبي سواء كانت حقائق ذات الله وصفاته من حيث كنهها وكيفيتها، أو حتىّ حقائق العالم الغيبي مثل ما أعدّ الله للناس من ألوان النعيم والعذاب. فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[مُحَمَّد: 15]، اشتركت في الأسماء واختلفت في المعاني.

والتكييف هو: التكييف: هو أن تذكر كيفية الصفة.

ولفظة (تكييف): لم ترد في الكتاب والسنة، لكن ورد ما يدلّ على النّهي عنها، وليس المراد ألا نعتقد لصفات الله كيفية ما، بل يجب أن نعتقد لها كيفية، ولكن المنفي علمنا بتلك الكيفية؛ فاستواء الله على العرش له كيفية ونزوله إلى السّماء الدنيا، وغيرها من الصّفات الفعلية لها كيفية لا تعلم.

فأهل السنّة والجماعة لا يكيّفون صفات الله، مستندين في ذلك إلى أدلّة؛ منها:

عموم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الْأَعْرَاف: 33].

« وثمة دليل عقلي، وهو أن كيفية الشّيء لا تدرك إلاّ بأحد أمور ثلاثة: مشاهدته،

أو مشاهدة نظيره، أو خبر الصّادق عنه» [1].

ولذلك لما سئل إمامنا مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الاستواء، لم ينفه، قال يحيى بن يحيى: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طٰهٰ: 5]، كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه، حتى علاه الرّحضاء[2]، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» [3].

وقال الإمام أحمد بن حنبل:«تفسيرها قراءتها، ولاكيف ولامعنى»[4] وقوله: «بلا معنى» المراد به نفي المعاني الباطلة التي أحدثها الجهمية، وصرفوا بها نصوص الكتاب والسنة عن ظواهرها.

قال ابن تيمية: «ولا كيف ولا معنى؛ أي: لا نُكيِّفها، ولا نُحرِّفها بالتأويل، فنقول: معناها كذا» ا هـ.[5]

(أوتمثيل) ومن غير تمثيل له بخلقه، فلايصح أن يقال أنه مستو على عرشه كما يستوي الإنسان، ولا ينزل كما ينزل المخلوق، لأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾.

والتّمثيل هو: ذكر مماثل للشيء، وبينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق؛ لأنّ كلّ ممثل مكيِّف، وليس كلّ مكيّف ممثّلا.

فالتمثيل: ذكر الصّفة مقيّدة بمماثل؛ فتقول: يد فلان مثل يد فلان، والتّكييف: ذكر الصّفة غير مقيّدة بمماثل، مثل أن تقول: كيفية يد فلان كذا وكذا.

والكيفية لا تكون إلاّ في الصّفة والهيئة، والتّمثيل يكون في ذلك وفي العدد.

---

1 – شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (1/97).

2 – الرحضاء: إذا عرق المحموم من الحمى فهي الرحضاء. وقال الليث: الرحضاء: عرق الحمى، وقد رحض إذا أخذته الرحضاء(تهذيب اللغة).

3 – الاعتقاد للبيهقي (ص: 117)،وفي الأسماء والصفات له (867).

4 – عند أبي يعلى في إبطال التأويلات (ص: 45).

5 – درء تعارض العقل والنقل (2/ 31).

والتّعبير بالتمثيل أولى من التّعبير بالتّشبيه؛لأنّ القرآن عبّر به، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشُّورَىٰ:11] وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾[الإِخْلَاصِ: 4]. وقال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البَقَرَة: 22] أي: نظراء مماثلين.

فلا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق أبدا، فثمة تباين عظيم بين الخالق والمخلوق؛ في ذاته وصفاته وأفعاله.

قال ابن أبي العز: «المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين: أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات، بل مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشُّورَىٰ: 11]، فنفى المثل وأثبت الصّفة»[1].

(ولاتحريف) التّحريف: من حرفت الشّيء إذا أَمَلْتَهُ، والمراد به هنا: إزالة اللفظ عن معناه، أو صرف اللفظ عن معناه الراجح المتبادر إلى المعنى المرجوح من غير دليل، وهذا التحريف يسمّيه أهله تأويلاً، فحيث ما رأيت في كلام المبتدعة من أهل الكلام التأويل فمرادهم به التحريف، فمن ذلك أنّ الله قد أخبرنا أنّه مستوٍ على عرشه فحرّفوا ذلك بإبدال الحروف لتتغير المعاني فقالوا: استولى، كما قيل لبني إسرائيل ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[البَقَرَة:58]، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حنطة، فحرّفوا اللفظ وخالفوا أوامر الرّبّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(ولاتأويل) التأويل: تَفْسِيرُ مَا يَؤولُ إليه الشَّيءُ، وتَأْوِيلُ الكَلام: عاقِبَتُه وما يَؤُولُ إليه، وأصلُ (أوَّل): يدلُّ على الرُّجوعِ إلى الأصلِ؛ لأنَّ التَّأويلَ: إخبارٌ عمَّا يَرجِعُ إليه اللَّفظُ مِن المعنى[2].

---

1 -شرح الطحاوية (1/87).

2 - يُنظَر: مقاييس اللغة لابن فارس (1/ 162)، التفسير البسيط للواحدي (5/ 54)،المفردات للراغب (ص: 99)، مختار الصحاح للرازي (ص: 25).

وأن يرادَ بلَفظِ التأويلِ: صَرفُ اللَّفظِ عن ظاهِرِه إلى ما يخالِفُ ذلك من غير دليل فهو ممنوع، أو تفسيره بشيء ليس هو الذي يتبادر إلى الذهن منه من غير دليل فذلك أيضا ممنوع، فانظر مافعله المؤوّلة بالنّصوص الظاهرة من التّحريف والتّأويل حتّى أفسدوا معاني القرءان والأحاديث الصحيحة عن خير ولد عدنان.

وفي رواية سمعتها من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(أو تعطيل)، والتعطيل هو: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان إنكارا كليّا أو جزئيا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود.

«والفرق بين التعطيل والتحريف: أنّ التحريف في الدليل، والتعطيل في المدلول، فمثلا إذا قال قائل: معنى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المَائِدَة: 64] أي: بل قوتاه، فهذا محرّف للدّليل، ومعطّل للمراد الصحيح؛ لأنّ المراد اليد الحقيقية؛ لذا فقد عطل المعنى المراد، وأثبت معنى آخر غير مراد. وإذا قال: لا أدري، فأنا أفوض الأمر إلى الله، دون أن أثبت اليد الحقيقية، أو اليد المحرّف إليها اللّفظ فهذا معطّل، وليس بمحرف؛ لأنه لم يغير معنى اللفظ، ولم يفسره بغير مراده، ولكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات يد حقيقية لله عز وجل.

وأهل السنة والجماعة يتبرؤون من كلا الأمرين التعطيل والتحريف» [1].

قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقصد بين ذلك هو العدل:إثبات بلاتمثيل، وتنزيه بلاتعطيل». [2]

ثم قال[3]:

من أثبت الصّفات لله عَــلاَ ... على الذي بالخلقِ لَاقَ مَثَّلاَ

ومن نَفَاهَا كَذَّبَ النَّصَّ ولا ... يبْعُــدُ مِن ذلك مَـن تَأَوَّلَا

---

1 – شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (1/91). قلت: والذي أراد أن لله يدا تليق بجلاله دون قولنا حقيقية. والله أعلم.

2 – التسهيل (1/7).

3 – المرجع السابق(1/8).

أمّا الّذي أثبتَها على مـا لاق به جل فـما ألاما

27 - يُقَالُ نَفْسُه كَمَا قَالَ: ﴿كتَبْ ربُّكُمُ..﴾ الآيَةَ، أمَّا مَنْ نَسَبْ

28 - ذَاتَاً لَهُ فَقَدْ عَنَى التِي لَهْ مِلَّتَهُ، شِرْعَتَهُ، سَبِيلَهْ

لقد شاع عند المتأخّرين إطلاق لفظ الذّات وإضافتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن كان ابن ابي زيد القيرواني أوردها في رسالته، وأنكرها بعض علماء عصره إلّا أنّ الحقيقة لم يشذّ بذلك في قولها[1]، والذي نوّه إليه الشّيخ هاهنا أنّه ليس من العربية إطلاق الذّات على مايقابل الصّفة، لعدم وجوده في لغة العرب، فلذلك عدَلَ الشّيخ إلى ماجاء به النّص القرءاني، والحديث النبوي، وهو «النَّفْسُ»، فـ(يقال نفسه كما قال) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه: ﴿كتب ربكم﴾إشارة إلى (الآية) في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: 54] وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: 28] وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكايةً عن عيسَى عليه السَّلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[المائدة: 116].

ومن الأحاديث الحديثُ القُدسيُّ المشهورُ: «يا عِبادي، إنِّي حرمتُ الظُّلمَ على نَفْسِي..»[2].

---

1 - لم ينفرد ابن أبي زيد القيرواني بإيراد كلمة: (ذاته) أي بذاته على العرش من أئمة المذاهب الأربعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، منهم أبو منصور السِّجْزِي (المتوفى سنة 444 هـ) رحمه الله - فقد قال: « وأئمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن زيد، والفضيل، وأحمد، وإسحاق، متفقون على أنّ الله فوق العرش بذاته، وأنّ علمه بكلّ مكان» انتهى، وأبو إسماعيل الهَرَوِي (المتوفى سنة 481 هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لما صرّح في كتبه بلفظ (الذات) قال: ((ولم تزل أئمة السلف تُصرح بذلك)) انتهى. ومن أئمة المالكية: أبو عمرو الطَّلَمَنْكِي المَالِكِي، ت سنة (399 هـ). وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي، ت سنة (403 هـ).
ومحمّد بن مَوْهَب القَبْري المالكي تلميذ ابن أبي زيد وأحدُ شرَّاح الرّسالة،المتوفى سنة (406 هـ). و يحيى بن عمار السِّجْزِي، ت سنة (422 هـ)، و القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي، ت سنة (422 هـ)،ولم يعلّق عليها ممّا يقتضي ارتضاؤها. و عبد القادر الجيلاني الوليّ السّنيّ الحنبلي العارف المعروف ت سنة(561 هـ).
ومحمد بن فرج القرطبي المالكي ت سنة (671 هـ). وغيرهم كثير.
2 - أخرجه مسلم (2577) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

و حديثُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «... وأعوذُ بِكَ مِنك، لا أُحصِي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نَفْسِك» [1].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ أَرْضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»[2].

و بوَّب أبو إسماعيلَ الأنصاريُّ في كِتابه«الأربعون في دلائِلِ التَّوحيدِ» بابَ:»بيانُ إثباتِ النَّفْسِ للهِ عزَّ وجَلَّ».[3]

وقال المقدسيُّ: «مِمَّا نَطَق بها القرآنُ، وصَحَّ بها النَّقلُ مِن الصِّفاتِ: النَّفْسُ؛ قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ إخبارًا عن نبيِّه عيسى عليه السَّلامُ [4]... ثم أورد الآيات السّالفة الذكر.

وقال ابنُ تَيميَّةَ: « نَفْسُه هي ذاتُه المُقدَّسَةُ»[5].

وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري: « باب: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ويحذركم الله نفسه، وقوله جل ذكره: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [6]».

وقال الشوكاني: «قوله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي: ذاته المقدسة، وإطلاق ذلك عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جائز في المشاكلة، كقوله: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

---

1 – أخرجه مسلم (486).

2 –أخرجه أبوداود(2482) قال شيخنا شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريجه على المسند(6871): « إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، ثم إنه معلول كما سيأتي. معمر: هو ابن راشد، وقتادة: هو ابن دعامة السدُوسي. نوْف الوارد ذكره في الحديث: هو البكالي.
وهو عند عبد الرزاق في «المصنف» (20790)، ومن طريقه أخرجه الحاكم 4/486، والبغوي (4008)، وسكت عنه الحاكم هو والذهبي.
وأخرجه بقسميه الطيالسي (2293)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» 6/53، 54، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، به. ومن طريق الطيالسي، سيرد برقم (6952) ؛ وأخرج القسم الأول منه مختصراً أبو داود (2482) من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه هشام، عن قتادة، به.

3 – الأربعون في دلائِلِ التَّوحيدِ(52).

4 – الاقتصاد في الاعتقَاد (ص: 123).

5 – مجموع الفتاوى (9/292).

6 – البخاري: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: 28]قبل حديث (7403).

نفسك، وفي غيرها»[1].

(أما من نسب) من العرب في أشعارهم، وخطبهم (ذاتا له) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (فقد عنَى) قصد (التّي له) أي الأمر المنسوب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مثل (ملّته، شرعتَه، سبيلَه)، فيقصد بملّته أي دينه ويعبّر عنه بالملّة، وهي مؤنثة يعبّر عنها بالذات.

29 - والأصلُ أن تضافَ لِلإِلَهِ لا لِلضَّميرِ أو لِلَفْظِ اللهِ

أي (والأصل أن تضاف) كلمة ذات (للإله)، و(لا) تضاف (للضمير) فلايقال: ذاته، ولا إلى العلم فلاتضاف (للفظ الله) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيقال: ذات الله، وهذه المسألة تتعلق باللّغة لا بالعقيدة، لأنّ ذات هنا تأنيث (ذي) بمعنى صاحب، والله لاصاحبة له، ولذلك كما قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان العرب على سليقتهم وأورد لذلك مثالين من شواهد اللغة فقال:

30 - كمثلِ مَاقَالَ خُبَيْبٌ إِذْ صُلِبْ وقَالَ نَابِغَةُ ذُبْيَانَ الذَّرِبْ

أي من أمثلة ذلك (كمثل ماقال)ه، الصحابي الشهيد خبيب بن عدي بن عامر بن مجدعة بن جحجبا الأنصاري الشهيد، قال ابن سعد فقال: شهد أحدا، وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان، فلما صاروا بالرجيع، غدروا بهم، واستصرخوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروا خبيبا، وزيد بن الدثنة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ من قومهم، وصلبوهما بالتنعيم، وعندما أرادت قريش أن يصلبوه بمكة شرفها الله، فطلب منهم أن يصلي ركعتين، وكان أول من سن ركعتين عند القتل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقصته معلومة في السيرة مشهورة، فلما صلبوه قال أبياتا من الشّعر، فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصَّةِ مَقتَلِ خُبَيبٍ الأنصاريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه قولُه:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ.[2]

1 - تفسير الشوكاني (1/ 381).

2 - أخرجه البخاري (7402).

فهنا أضاف خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات للإله، ولم يقل ذات الله.

(و) كما (قال) الشّاعر الفحل العربيّ أحد الشّعراء السّتّة المشاهير في الجاهلية (نابغة ذبيان) [1]، الشّاعر (الذَّرِبْ) أي حادّ اللّسان، يقال: ذرب: الذَّرِبُ: الحادُّ من كلّ شيءٍ، لِسانٌ ذَرِبٌ، وسَيْفٌ ذرب أي حاد.

حيث قال:

مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ الإِلهِ وَدِينُهُمْ... قَوِيمٌ فما يرجُون غَيْرَ العَوَاقِبِ

يقال: معناه فما يطمعون في غيرها.

ويقال: معناه: فما يخافون غيرَها، ومَجَلَّتهم: كتابُهم، ويروى: محَلَّتُهم، بالحاء، وكنانة وخُزاعة ونَضْر وهُذَيْل يقولون: لم أَرْجُ،يريدون: لم أُبَالِ.

ومعناه مجلتهم: أي الّذي يُجِلُّونه ويعظّمونه ذات الله أي سبيل الله وملّته وشريعته.

وفي رواية: محلّتهم ذات الإله... الخ. ومعناه أنّ محلّتهم أي حيث يوجدون فذلك ذات الإله أي شريعته أوملّته أوسبيله.

فهنا أضاف ذات للإله ولم يضفها لله أو للضمير.

31 - لأنَّهَا تَأنِيثُ (ذِي) المُلتَـزَمِ فِيهِ الإِضَافَـةُ لِغَيرِ العَلَمِ

لأنّ ذات هي تأنيث (ذو) بمعنى صاحب اسم من الأسماء الخمسة، ولازمة للإضافة، ولا تضاف للعلم، فلا تقل ذو زيد، ولا تضاف للضمير فلاتقل: هذا ذوه،وإنَّما تُضافُ إلى الاسمِ الظاهِرِ فقط، تقول: هذا ذو مال، أي صاحب مال.

32 - مِن ظَاهِرٍ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ وقد ذَكَرَ مَا يَلزَمُ (ذُو) فِي ذَا الصَّدَدْ

1 -النَّابغةُ الذُّبيانيُّ المُتوفَّى سنة 604 ميلادية:اسمه زياد بن عمر بن معاوية، ينتهي نسبه إلى ذُبْيانَ، وقد سمي بالنابغة؛ لنبوغه في الشعر؛ إذ كان أحدَ الأشراف المقدَّمين على شعراء الجاهلية، وكان خاصًّا بالنعمان، ومن ندمائه وأهل أُنسِه. وكانت تُضرَبُ له قبة حمراء بسوق عكاظ، فيأتي إليه الشعراء ينشدونه أشعارَهم، فيحكم فيها.

قال ابن مالك أبوعبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك في كافيته:

33 - (ذُو ذَاتُ أُنثَاهُ، ذَوَاتُ الجَمْعُ وَجَرَيَانَ الأَصْلِ يَجْرِي الفَرْعُ)

هذا من نظم ابن مالك ومعناه: (ذو) من الأسماء الخمسة بمعنى صاحب، (ذات أنثاه) أي مؤنث ذو، ذات، (ذوات الجمع) أي تجمع ذات على ذوات، (وَجَرَيَانَ الأَصْلِ يَجْرِي الفَرْعُ) وجريان الأصل في لزوم الإضافة لغير العلم والضّمير يجري الفرع، فجميع فروعه من مؤنثه وجمعه المذكر وجمعه المؤنث، وتثنيته، كلّ ذلك يلازم الإضافة لغير العلم، وغير الضّمير، فيضاف للاسم الظّاهر غير العلم، وقال ابن مالك بعدها:

وقلَّ أن يضاف ذو إلى عَلَم غير مصدر به كذي سلم

ونحو ذي تبوك ذي بكة قد شذ ولاتنكر نظيرا إن ورد

وهذا نادر في لغة العرب، ولذلك قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

34 - نَعمْ، أَتَتْ مُضَافةً للهِ فِي كَذَبَاتِ القَانِتِ الأوَّاهِ

نعم قد أتت مضافة للعلَم، وهو ذات الله، في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الآتي:

---

1 - ابن مالك (600 - 672 هـ = 1203 - 1274 م) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: • أحد الأئمة في علوم العربية. • ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها.
أشهر كتبه: • (الألفية - ط) في النحو • (تسهيل الفوائد - ط) نحو • و (شرحه له - خ) المجلد الأول منه، في الرباط (213 أوقاف)[طُبع] • (الضرب في معرفة لسان العرب) • (الكافية الشافية - ط) أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت • و (شرحها - ط) • (سبك المنظوم وفك المختوم - خ) نحو • (لامية الأفعال -ط) • (عدة الحافظ وعمدة اللافظ - خ) رسالة، وشرحها • (إيجاز التعريف - خ)[طُبع]صرف • (شواهد التوضيح - ط) • (إكمال الأعلام بمثلث الكلام - ط) • (مجموع - خ) فيه 10 رسائل • (تحفة المودود في المقصور والممدود - ط) منظومة، • (العروض - خ) • (الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد - خ) قصيدة من بحر البسيط على روي الظاء المفتوحة مشروحة شرحا متقناً من انشائه، في 25 ورقة[ثم طُبعت في العراق 1391 هـ = 1972 م بتحقيق حسين تورال، وطه محسن] وغير ذلك. ترجمته في بغية الوعاة 53 وفوات 2: 227 وخزائن الكتب 64 ونفح الطيب 1: 434 - 440 وغاية النهاية 2: 180 وآداب اللغة 3: 140 وطبقات السبكي 5: 28، وغيرها، نقلا عن: (الأعلام) للزركلي بإضافات بين معكوفات.

35 - وَهْوَ شُذُوذٌ..... .....

(وهو شذوذ)[1] خارج عن سَنَنِ العربيّة، ولاتعترض عليّ بأنهّا جاءت في الحديث الصحيح عن إبراهيم الخليل عليه السلام، فالحديث صحيح ليس فيه علّة تقدح فيه، لكن المقصود الشّذوذ اللّغوي، فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «لم يَكذِبْ إبراهيمُ النبيُّ عليه السَّلامُ قَطُّ إلَّا ثَلاثَ كَذِباتٍ[2]: ثِنتين في ذاتِ اللهِ؛ قَولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصَّافَّات: 89] وقولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[الأَنبِيَاء: 63]، وواحِدةً في شأنِ سارةَ...» الحديثَ [3].

الشّاهد: ثنتين في ذات الله، فـ(ذات) هنا أضيفت إلى الاسم الظاهر وهو العلم، وسمى الخليل مافعله كذبات وهي ليست بكذب، لأن قوله «سقيم « أي مريض وحزين من فعلكم لهذه الترهات والعبودية لغير رب الأرض والسموات،

---

1 - الشاذ في اللغة: مأخوذ من شذَّ يَشِذُّ ويَشُذُّ (بكسر الشين أو ضمّها) شذوذاً: أي انفرد، وندر عن الجمهور أو الجماعة أو خالفهم. وشذاذ الناس: مُتَفَرِّقوهم، الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم.
فالشذوذ في اللغة يأتي بمعنى الانفراد، والمفارقة، والتنحّي، والإقصاء، والمخالفة.
ينظر مادة (ش ذ ذ): الفراهيدي، العين، 6/ 215، ابن فارس، المقاييس، 3/ 180، الرازي، المختار، 354، ابن منظور، اللسان، 3/ 494، الفيروزآبادي، القاموس، 334، المعجم الوسيط، 1/ 476.

2 - قال ابن تيميَّة: (الكَذِبُ على الشَّخصِ حرامٌ كُلُّه، سواءٌ كان الرجلُ مُسلِمًا أو كافرًا، برًّا أو فاجرًا... ولكنْ تُباح عند الحاجةِ الشَّرعيةِ المعاريضُ، وقد تُسمَّى كَذِبًا؛ لأنَّ الكلامَ يعني به المتكلِّمُ معنًى، وذلك المعنى يريدُ أن يفهمَه المُخاطَب، فإذا لم يكنْ على ما يَعنيه فهو الكَذِبُ المحضُ، وإن كان على ما يعنيه ولكِنْ ليس على ما يفهَمُه المخاطَبُ، فهذه المعاريضُ، وهي كَذِبٌ باعتبارِ الإفهام، وإن لم تكنْ كَذِبًا باعتبارِ الغايةِ السَّائغةِ، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «لم يَكذِبْ إبراهيمُ إلَّا ثلاثَ كَذِباتٍ كُلُّهنَّ في ذَاتِ الله...» وهذه الثلاثةُ مَعاريضُ). ((مجموع الفتاوى)) (28/223). وقال ابنُ القيم: (الكلامُ له نِسبتانِ: نِسبةٌ إلى المتكلِّم وقَصدِه وإرادتِه، ونِسبةٌ إلى السَّامعِ وإفهامِ المتكلِّم إيَّاه مَضمونَه؛ فإذا أخبَرَ المتكلِّمُ بخبرٍ مُطابقٍ للواقعِ، وقَصَد إفهامَ المخاطَبِ؛ فهو صِدقٌ مِن الجِهَتينِ، وإن قَصَد خلافَ الواقعِ، وقَصَد مع ذلك إفهامَ المخاطَبِ خِلافَ ما قَصَد، بل معنًى ثالثًا لا هو الواقعُ ولَا هو المرادُ؛ فهو كَذِبٌ مِن الجِهَتينِ بالنِّسبتَينِ معًا، وإن قَصَد معنًى مطابقًا صَحيحًا، وقَصَد مع ذلك التَّعميةَ على المخاطَبِ، وإفهامَه خِلافَ ما قَصَده؛ فهو صِدقٌ بالنِّسبةِ إلى قَصْدِه، كَذِبٌ بالنِّسبةِ إلى إفهامِه، ومن هذا البابِ التَّوريةُ والمعاريضُ، وبهذا أَطلَقَ عليها إبراهيمُ الخَليلُ عليه السَّلامُ اسمَ الكَذِبِ، مع أنَّه الصَّادِقُ في خبَرِه، ولم يُخبِرْ إلَّا صِدقًا؛ فتأمَّلْ هذا الموضِعَ الذي أَشكَلَ على النَّاسِ). (مفتاح دار السعادة) (2/36).

3 - رواه البخاري (3358)، ومسلم (2371) واللفظ له.

وقوله «فعله كبيرهم هذا» ليردهم إلى عقولهم لعلهم يرشدون، وقوله «أختي» أي في الإسلام ولم يكن غيرهما يومئذ مسلمون، وقد تقدم أن في المعاريض مندوحة أي ممر يمكن أن يسلكه الذي لايريد الكذب.

و(القانت الأوَّاه) هو وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخليله بأنه قانت وهو كثير العبادة ظاهر الخشوع قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النَّحل:120].

قال البغوي: مُطِيعًا لَهُ، وَقِيلَ: قَائِمًا بِأَوَامِرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، {حَنِيفًا} مُسْلِمًا مُسْتَقِيمًا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: مُخْلِصًا» [1].

(والأوَّاه): قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[التَّوبَة: 114]، اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْأَوَّاهِ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْأَوَّاهَ الْخَاشِعُ الْمُتَضَرِّعُ» [2].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْأَوَّاهُ الدَّعَّاءُ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّوَّابُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: الْأَوَّاهُ الرَّحِيمُ بِعِبَادِ اللَّهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَوَّاهُ الْمُوقِنُ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْمُسْتَيْقِنُ بِلُغَةِ الْحَبَشَةِ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: هُوَ الَّذِي يُكْثِرُ التَّأَوُّهَ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: آهٍ مِنَ النَّارِ، قَبْلَ أَنْ لَايَنْفَعَ آهٍ.

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَتَأَوَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: الْأَوَّاهُ الْكَثِيرُ الذِّكْرِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

1 -تفسير البغوي (5/50).

2 - أخرجه الطبري: 14 / 531، 532، وعزاه السيوطي أيضا لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن شداد بن الهاد. وهو تابعي ثقة، فالحديث مرسل، وفي سند الحديث: عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، وهو ثقة، متكلم في روايته عن شهر. انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري: 14 / 532.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: الْأَوَّاهُ الْمُسَبِّحُ. وَرُوِيَ عَنْهُ: الْأَوَّاهُ: الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ.

وَقَالَ النَّخَعِيُّ: هُوَ الْفَقِيهُ.

وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ الرَّاجِعُ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ. وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ الْخَائِفُ مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ الْمُتَأَوِّهُ شَفَقًا وَفَرَقًا الْمُتَضَرِّعُ يَقِينًا. يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ تَضَرُّعُهُ يَقِينًا وَلُزُومًا لِلطَّاعَةِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: قَدِ انْتَظَمَ فِي قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ أَكْثَرُ مَا قِيلَ فِي الْأَوَّاهِ.

وَأَصْلُهُ: مِنَ التَّأَوُّهِ وَهُوَ أَنْ يُسْمَعَ لِلصَّدْرِ صَوْتٌ مِنْ تَنَفُّسِ الصُّعَدَاءِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَوَّهَ وَتَأَوَّهَ، وَالْحَلِيمُ الصَّفُوحُ عَمَّنْ سَبَّهُ أَوْ نَالَهُ بِالْمَكْرُوهِ، كَمَا قَالَ لِأَبِيهِ، عِنْدَ وَعِيدِهِ، قَوْلُهُ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾[مريم: 46 - 47].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: الْحَلِيمُ السَّيِّدُ «[1].

35 - ..... ونظيره ذو بكة مما وجهه الشُّذُوذُ

(ونظيره): النظير الشبيه والمثل ج نظراء، أي ومثيل ماورد في حديث الخليل من إضافة ذات للعلم، وجد: ذو بكة « مكتوبا على حجر وجده ابن الزبير داخل الكعبة حين هدمها لإعادة بنائها، فوجد فيها حجراً كتب عليه: (أنا الله ذو بكة، حرمتها يوم خلقت السماوات والأرض)، رَوَى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فِي الْجَامِعِ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ، وَجَدُوا فِيهَا حَجَرًا، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ، فِي الصَّفْحِ الْأَوَّلِ: أَنَا اللهُ ذُو بَكَّةَ صُغْتُهَا يَوْمَ صُغْتُ [2] الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ إلى آخر كلام بن إسحق، وَفِي الصَّفْحِ الثَّانِي: أَنَا اللهُ ذُو بَكَّةَ، خلقت الرّحم، واشتققت لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْته، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّالِثِ: أَنَا الله ذوبكّة، خَلَقْت الْخَيْرَ

1 - تفسير البغوي (4/102). انظر في هذه الأقوال: الطبري:(14 / 523) وما بعدها -وقد رجح أن الصواب هو ما قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زر: أنه الدعاء- والدر المنثور:(4 / 307-305).

2 - فى البداية: صنعتها وهو يناسب رواية: خلقتها التى فى السيرة.

وَالشّرّ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ الشّرّ عَلَى يديه، وفي حديث ابن إسحاق: لَا يَحِلّهَا أَوّلُ مِنْ أَهْلِهَا، يُرِيدُ- وَاَللهُ أَعْلَمُ- مَا كَانَ مِنْ اسْتِحْلَالِ قُرَيْشٍ الْقِتَال.

و(ذو بكة) معناه: مالك مكة، وبكة هي مكة كما جاء ذلك في القرآن في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: 96] فبكّة من البَكّ وهو الإهلاك؛ لأنّها تبكّ الظّالمين، فإنّها لم يعتد فيها ظالم من قبل إلاّ أهلكه الله، كما قالت سبيعة بنت الأخب في بغي كان بين بني السباق بن عبد الدار بمكة وبين بني خالد بن عبد مناف بن تيم بن مر فتفانوا فيه، فلم يبق منهم إلا القليل تعظ ابنها:

أبني لا تظلم بمكة ... لا الصغير ولا الكبير
ابني من يظلم بمكة ... يلق أطراف الشرور
احفظ محارمها ولا ... يغررك بالله الغرور
الله أمّن طيرها ... والوحش يعقل في ثبير
والفيل أهلك حبشه ... يرمون فيها بالصخور
فاسمع إذا حدثت ... وانظر كيف عاقبة الأمور[1]

وقد كان أهل الجاهلية يشاهدون هذا، ولكن عندما جاء الإسلام رفع ذلك، كما قال ذلك ابن عباس: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « قد كان ذلك في الجاهلية حيث لا حاكم يردع عنها، فكان الذئب يطرد الأرنب فتدخل في الحرم فيرجع عنها، وكان الإنسان يعصي الله من الليل في مكة فيفضحه الله من النهار، وتسلط عليه بائقة من البوائق: إما أن تنزل عليه صاعقة، أو أن تأتيه حيّة بين الناس فتأخذه، أو نحو ذلك، فلما جاء الإسلام رفع الله بالسّلطان والقرآن ما كان يردعه مباشرة، وأصبح الناس يذنبون في الحرم فلا تعجل

1 - الممتع في صنعة الشعر(1/328) لعبد الكريم النهشلي القيرواني/المحقق: الدكتور محمد زغلول سلام، أستاذ اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية/الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

لهم العقوبة، لكن ذلك سيزيد عليهم؛ لأن الذنب يعظم بحسب الزمان والمكان.

فالشاهد: «ذوبكّة» أنّه على غير الصّحيح(ممّا)صحّ في اللغة، و(وجهه الشّذوذ) فلايعوّل عليه.

36 - وَمَا نَقُولُ فِي صِفَاتِ قُدْسِهِ فَرْعُ الذِي نَقُولُهُ فِي نَفسِه

هذه قاعدة جليلة في الصفات، (و)هو أنَّ (ما نقول)ه (في صفات قدسه) أي المقدسة، والقدس بمعنى الطهارة والنزاهة، يقال تقدّس بمعنى تطهّر، ويطلق ذلك على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للدلالة على تنزهه عن كل نقص، فهو المنزّه عن كلّ نقص سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأضاف الصّفات إلى القدس لتعظيمها؛ لأنّ هذه الصّفات مقتضيّة لإثبات الكمال ولنفي النّقص؛ فلذلك كان القول في صفاته هو (فرع) عن (الذي نقول)ه (في نفسه) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أو نقول: إنّ القول في الصفات فرع عن القول في الذات، فإذا كان المرء أثبت لله صفات لاتشبه صفات المخلوقين، فكذلك ينبغي له أن يكف عن البحث عن الذات، لأنها لاتشبه ذوات المخلوقين.

وهنا قواعد لابد من تقييدها وهي:

أ- من قواعِدِ صِفاتِ اللهِ: إثباتُ ما أثبَتَه اللهُ لنَفْسِه في كتابِه، أو أثبَتَه له رسولُه ﷺ، أو أصحابُه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، مِن غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومِن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

ب- من قَواعِدِ صِفاتِ اللهِ: نَفْيُ ما نفاه اللهُ عن نَفْسِه في كتابِه، أو نفاه عنه رسولُه ﷺ، أو أصحابُه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، مع اعتقادِ ثُبوتِ كَمالِ ضِدِّه للهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ج- من قَواعِدِ صِفاتِ اللهِ: صِفاتُ اللهِ عزَّ وجلَّ توقيفيَّةٌ، فلا يُثبَتُ منها إلَّا ما أثبَتَه اللهُ لنَفْسه، أو أثبَتَه له رسولُه ﷺ، ولا يُنفى عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ إلَّا ما نفاه عن نَفْسِه، أو نفاه عنه رسولُه ﷺ.

د- من قواعِدِ صِفاتِ اللهِ: التَّوقُّفُ في الألفاظِ المُجمَلةِ الَّتي لم يرِدْ إثباتُها ولا نَفْيُها.

قال شيخنا محمد الحسن الددو:» إنّ الكلام في صفاته مثل الكلام في ذاته، وهذه

مزيلة لكلّ إشكال، سواء كان من جهة المعطّلة أو من جهة المشبّهة: أمّا من جهة المعطلة: فإنّهم يثبتون له نفساً هي الذّات عندهم، وهم يعرفون أنّ للمخلوق ذاتاً ومع ذلك لا يقتضي إثبات أن له ذاتاً وأن للمخلوق ذاتاً التشبيه قطعاً عندهم! فما الفرق بينها وبين الوجه واليدين والعين والقدم والساق؟!

لا فرق، وهم إنّما نفوا الصّفات فراراً من التّشبيه، فلماذا لم ينفوا الذّات كذلك فراراً من التشبيه؟ وأمّا من ناحية التّشبيه: فإنّ المشبّهة سبب غلطهم هو فهمهم لهذه الصّفات على مقتضى مشابهتها للمخلوق، ومع ذلك فهم يثبتون لله ذاتاً ولا يشبهونها بذوات المخلوق فما الفرق؟ أي: إذا كانوا يؤمنون بأن له ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين، ولا ينبغي لها أن تشبه أي شيء، فلماذا يشبهون صفاته بصفات الخلق؟ فالقول في الصفات كالقول في الذات، فهذه القاعدة من أهم القواعد في هذا الباب؛ لأنها قاضية على الاتجاهين معاً، وهي أبلغ شيء في ردّ هذه الانحرافات التي تنشأ في هذا الباب»[1].

يمكن تقسيم صفات الله عز وجل إلى ثلاثة أقسام :

أولا: باعتبار إثباتها ونفيها.

ثانيا: باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله.

ثالثا: باعتبار ثبوتها وأدلتها.

وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم إلى نوعين:

أولا: باعتبار إثباتها ونفيها

أ – صفات ثبوتية:

هي ما أثبته الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ؛ كالاستواء، والنزول، والوجه، واليد، وكلّها صفات مدح وكمال، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، ويجب إثباتها. قال عبد العزيز الكناني: «إن على الناس كلهم جميعا أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما

1 –شرح منظومة مجمل الاعتقاد كما في موقع المكتبة الشاملة.

نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه»[1].

وقال ابن تيمية: «الرّبّ تعالى موصوف بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله[2]» .

ب- صفات سلبية (منفية):

هي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص؛ كالموت، والسِّنة، والنوم، والظلم... وغالبا تأتي في الكتاب أو السنة مسبوقة بأداة نفي، مثل: (لا)، و(ما)، و(ليس)، وهذه تنفى عن الله عز وجل، ويثبت ضدها من الكمال.

قال ابن تيمية: «الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية، كالحياة، والعلم، والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يمدح بالصفات السلبية إلا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال؛ إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض لا كمال فيه، إنما الكمال في الوجود. ولهذا جاء كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على هذا الوجه، فيصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفسه بالصفات الثبوتية؛ صفات الكمال، وبصفات السلب المتضمنة للثبوت، كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾[البقرة: 255] ، فنفي أخذ السِّنة والنّوم يتضمن كمال حياته وقيوميته؛ إذ النّوم أخو الموت؛ ولهذا كان أهل الجنّة لا ينامون، مع كمال الرّاحة، كما لا يموتون.

والقيوم: القائم المقيم لما سواه، فلو جعلت له سنة أو نوم، لنقصت حياته وقيوميته، فلم يكن قائما، ولا قيوما» .

وقال ابن عرفة المالكي: «إن الصفات قسمان: ثبوتية وسلبية، والصفات السلبية أسهل من الصفات الثبوتية، ولأجل هذا لم يخالف أحد في السلبية، واختلفوا في الثبوتية؛ فأنكرها المعتزلة، وأثبتها أهل السنة[3]» .

وقال محمود الألوسي في تفسير سورة الإخلاص: «ذكر بعضهم أن الاسم الجليل

1 - الحيدة والاعتذار لعبدالعزيز الكناني (ص: 47).
2 - مجموع الفتاوى (8/ 147).
3 - تفسير ابن عرفة (4/152).

الله يدل على جميع صفات الكمال، وهي الصفات الثبوتية، ويقال لها صفات الإكرام أيضا، والأحد يدل على جميع صفات الجلال، وهي الصفات السلبية»[1] .

ثانيا: باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله:

أ – صفات ذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والوجه، واليدين.

قال الطحاوي: «ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليّا كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري» .[2]

وقال ابن أبي العز:«الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزل متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أنّ الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها؛ لأنّ صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء، والنزول، والغضب والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سئل عن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] : كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» ؛ لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلما بالأمس، لا يقال: إنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة، كالصغر والخرس، ثم تكلم، يقال: حدث له الكلام؛ فالساكت لغير آفة يسمى متكلما بالقوة، بمعنى أنه

1 – تفسير الألوسي (15/ 510).

2 – متن الطحاوية (ص: 34).

يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرته للكتابة.
وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال؛ فإن أريد بالنفي أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن؛ فهذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان، كما يليق بجلاله وعظمته؛ فهذا نفي باطل.
وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو لازم له، وإنما أتي السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه.

وكذلك مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل... والتحقيق: أن يفرق بين قول القائل: الصفات غير الذات، وبين قوله: صفات الله غير الله؛ فإن الثاني باطل؛ لأن مسمى الله يدخل فيه صفته، بخلاف مسمى الذات؛ فإنه لا يدخل فيه الصفات؛ لأن المراد أن الصفات زائدة على ما أثبته المثبتون من الذات، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الموصوف بالذات الموصوفة بصفاته اللازمة».[1]
«فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزل له يدان ووجه وعينان، لم يحدث له شيء من ذلك بعد أن لم يكن، ولن ينفك عن شيء منه، كما أن الله لم يزل حيا ولا يزال حيا، لم يزل عالما ولا يزال عالما، ولم يزل قادرا ولا يزال قادرا، وهكذا، فهو موصوف بذلك أزلا وأبدا، وتجدد المسموع لا يستلزم تجدد السمع، فالإنسان مثلا عندما يسمع الأذان الآن فهذا ليس معناه أنه حدث له سمع جديد عند سماع الأذان، بل سمعه موجود منذ خلقه الله، ولكن الأشياء المسموعة هي التي تحدث وتتجدد»[2].

---

1 -شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (1/ 96 - 99).
2 - شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (1/78).

ب- صفات فعلية:

هي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته؛ إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل؛ كالمجيء، والنزول، والغضب، والفرح، والضحك.

قال الباقلاني: « باب تفصيل صفات الذات من صفات الأفعال؛ فإن قال قائل: ففصلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله؛ لأعرف ذلك. قيل له: صفات ذاته هي: التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان... وصفات فعله هي: الخلق، والرزق، والعدل، والإحسان، والتفضل، والإنعام، والثواب، والعقاب، والحشر، والنشر، وكل صفة كان موجودا قبل فعله لها» [1].

وقال ابن حجر: «قال ابن بطال: أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على ثلاثة أضرب؛ أحدها: يرجع إلى ذاته، وهو الله، والثاني: يرجع إلى صفة قائمة به كالحي، والثالث: يرجع إلى فعله كالخالق، وطريق إثباتها السمع، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل أن صفات الذات قائمة به، وصفات الفعل ثابتة له بالقدرة، ووجود المفعول بإرادته جل وعلا».

ثالثا: باعتبار ثبوتها وأدلتها:

أ - صفات خبرية:

هي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله، أو عن رسوله ﷺ، وتسمى: (صفات سمعية أو نقلية)، وقد تكون ذاتية؛ كالوجه، واليدين، وقد تكون فعلية؛ كالفرح، والضحك.

قال ابن عثيمين: «الصفات الخبرية: هي التي نعتمد فيها على مجرد الخبر، وليست من المعاني المعقولة، بل هي من الأمور المدركة بالسمع المجرد فقط، ونظيرها أو نظير مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء؛ مثل اليد، والوجه، والعين، والقدم، والإصبع، فهذه نسميها الصفات الخبرية؛ لأنها ليست معنى من المعاني،

1 - تمهيد الأوائل في تلخيص الدّلائل (ص: 298).

فاليد غير القوة؛ القوة معنى، واليد صفة من نوع آخر، مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء، فاليد بعض منا أو جزء منا، والوجه كذلك، والعين كذلك.
ولكن بالنسبة لله لا نقول: إنها جزء أو بعض؛ لأن البعضية والجزئية لم ترد بالنسبة إلى الله لا نفيا ولا إثباتا» .

ب – صفات سمعية عقلية:

هي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي)، والدليل العقلي، وقد تكون ذاتية؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، وقد تكون فعلية؛ كالخلق، والإعطاء.
قال ابن عثيمين: «مثال ذلك: الرحمة التي أثبتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه في قوله ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف 58] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107]؛ فإنه يمكن إثباتها بالعقل، كما دل عليها السمع، فيقال: الإحسان إلى الخلق بما ينفعهم ويدفع عنهم الضرر يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على الإرادة، بل هو أبين وأوضح؛ لظهوره لكل أحد». [1]

37 – فَإِنْ يَقُلْ جَهْمِيُّهُم كَيْفَ اسْتَوَى؟ كَيْفَ يَجِي؟ فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ هُوَا؟

(فإن يقل جهيمهم) نسبة إلى الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وتنتسب إلى الجهم بن صفوان واضع عقيدتهم، وهو تلميذ الجعد بن درهم، الذي تخرج بأبان بن سمعان اليهودي.

وهذه الفرقة توسعت مفاهيمها العقدية الضالة، وكثر المتأثرون بها، في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأسمائه، والقدر، وقد كان لهم شأن في الدولة حينا من الدهر، فاضطهدوا المخالفين لهم حين تمكنوا منهم، ونفَوا الأسماءَ والصِّفاتِ، واتَّبَعهم المُعتَزِلةُ وغيرُهم، فنَفَوا الصِّفاتِ دونَ الأسماءِ، ووافقهم طائفةٌ من الفلاسِفةِ أتباعِ أَرِسْطو.

وقال الترمذي في سننه: «وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم،

1 – تقريب التدمرية (ص: 28).

وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إنَّ معنى اليد ها هنا القوة»[1].

فإن سألك الجهمي (كيف استوى؟) الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على عرشه،أو (كيف يجي[2])ء يوم القيامة، أوكيف تكلم؟، أوكيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ أو كيف يضحك؟ (ف)الجواب (قل له: كيف هو؟)، أثبت لي ذاته، أي ماالفرق بين هذه الصفات وبين ذاته؟ فإن كنت قد آمنت بالذّات ولم تستطع كيفية إثباتها، فمن باب أولى لاتستطيع أن تثبت كيفية الصّفات، فالسلامة في الإيمان والتسليم والاستسلام.

38 - لافَرْقَ بَيْنَ مَاسَمِيُّهُ يُعَـدُّ وَصْفًالَنَاكَـ(عِلْمٍ)اوْجُزْءًاكـ(يَدْ)

39 - البابُ في الجميعِ واحدٌ فَلاَ تَكُنْ مُعَطِّـلاً وَلاَمُمَـثِّلاً

(لافرق) عندنا في الصفات سواء الفعلية أو الذاتية (بين ماسميّه) أي ماسميت به تلك الصفات من مشترك الألفاظ، بين المخلوق والخالق وهو معنى (السَّمِيِّ) أي في الاسم، والذي (يعدّ وصفا) مشتركا لفظيا فقط (لنا كعلم) فالعلم المتعلق بالمخلوق يدرك العقل أنه صفة للإنسان،(أوجزءا كيد) أو اليد التي هي من أجزائنا نحن البشر، فهي في حقنا نحن جزءا منّا وليست صفة من صفاتنا، ولكن في حقِّ الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هي صفة له لأنّ الله واحد غير مُتَبعِّضٍ، إذا فاليد والعين والقدم بالنسبة للإنسان ليست صفات بل هي أجزاء، ولكن بالنسبة لله هي صفات له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الصفات الخبرية: هي التي نعتمد فيها على مجرد الخبر، وليست من المعاني المعقولة، بل هي من الأمور المدركة بالسمع المجرد فقط، ونظيرها أو نظير مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء؛ مثل اليد، والوجه، والعين، والقدم، والإصبع، فهذه نسميها الصفات الخبرية؛ لأنها ليست معنى من المعاني، فاليد غير القوة؛ القوة معنى، واليد صفة من نوع آخر، مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء، فاليد بعض منا أو جزء منا، والوجه كذلك، والعين كذلك.

---

1 - سنن الترمذي (3 / 42).

2 - بحذف الهمز قال في الكافية: بنحو يستحيي احذُ حذو يرتجي ودون همز في يجيء قل يجي

ولكن بالنسبة لله لا نقول: إنها جزء أو بعض؛ لأن البعضية والجزئية لم ترد بالنسبة إلى الله لا نفيا ولا إثباتا»[1].

ونخلص إلى قاعدة مهمّة هنا وهي: أنّ القول في بعض الصّفات كالقول في بعض، سواء أدرك العقل أنّها صفةً أولم يدرك.

فلايجوز لك أن تعتقد في صفة أنها صفة له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مع أنها من مشترك الألفاظ كالحياة، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الحيّ، والكائن المخلوق كالإنسان يوصف بأنه حيّ، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، بينما تعطّل أوتؤوّل أوتحرّف صفة أخرى من مشترك اللّفظ خشية تشبيه الخالق بالمخلوق كصفة: النُّزول أو الضّحك أو الغضب، فاعلم أن (الباب في الجميع واحد) فنحن مطالبون بالإيمان بالصفات لابكيفيتها، ولايحملنا الاشتراك اللفظي أن نؤمن ببعض ونترك البعض (فلاتكن) أيها المسلم (معطّلا) لصفات ربّك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خشية التّشبيه، فلماذا لم ينف المعطلة الذات كذلك فراراً من التشبيه؟ (ولا) تكن (ممثّلا) أي مشبها له بخلقه فتقع في التجسيم والتمثيل فكلا قصدي الفعل ذميم.

قال الخطابي في كتابه (الغنية عن الكلام وأهله)؛ «والأصل في هذا أنَّ الكلام في الصفات فرعٌ على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلومًا أنّ إثبات الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف»[2].

فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد: القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر: العلم.

40 - يأتي، يَجِي، يَكْشِفُ عن ساقٍ، يَضَعْ قَدَمَـــــهُ على جهنَّـــمَ، يَسَعْ

(يأتي، يجي) هذا فيه إثبات لصفة الإتيان وهو مجيء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأتى

1 - شرح العقيدة السفارينية (ص: 156). ابن عثيمين.
2 - (الأربعين في صفات رب العالمين) للذهبي (ص: 93).

بفعلين(يأتي يجيء) معناهما واحد لورودهما في القرءان والسنة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:22]، ولقد ذهب البعض إلى تقدير محذوف وهو: مجيء أمر الله أوملائكة الله، وهو من التكلف البارد إذ يعجزهم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[البقرة: 210] قال ابنُ جَريرٍ: «يَقولُ جَلَّ ثناؤُه: هل ينتَظِرُ هؤلاء العادِلونَ بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ إلَّا أن تأتيَهم الملائِكةُ بالموتِ، فتَقبِضَ أرواحَهم، أو أن يأتيَهم رَبُّك -يا محمَّدُ- بين خَلْقِه في مَوقِفِ القيامةِ، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَقولُ: أو أن يأتيَهم بعضُ آياتِ رَبِّك؟ وذلك فيما قال أهلُ التَّأويلِ: طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها»[1].

قال البغوي: «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ بِلاَ كَيْفٍ، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ»[2].

قال ابنُ أبي زيدٍ القيرواني: «ممَّا أجمعت عليه الأئِمَّةُ مِن أمورِ الدِّيانةِ، ومن السُّنَنِ التي خلافُها بِدعةٌ وضَلالةٌ أنَّه يجيءُ يومَ القيامةِ بَعْدَ أن لم يكُنْ جائيًا، والمَلَكُ صَفًّا صفًّا؛ لعَرضِ الأُمَمِ وحِسابِها وعُقوبتِها وثوابِها وكُلِّ ما قدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بيَّنَّاه، وكُلُّه قَولُ مالكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه»[3].

وقال أبو الحسَنِ الأشعريُّ: «أجمَعوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يجيءُ يومَ القيامةِ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» [4].

قال حمَّادُ بنُ أبي حنيفة: « قُلْنا لهؤلاء أي: نفاةِ الصِّفاتِ مِن الجَهميَّةِ ونَحوِهم: أرأيتُم قَولَ اللهِ عزَّ وجلَّ:﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: 22]، وقَولَه عزَّوجلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:

1 -تفسير البغوي (2/ 173).
2 - تفسير البغوي (3/207).
3 - الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص: 117-107).
4 -رسالة إلى أهل الثغر (ص: 128).

210] فهل يجيءُ ربُّنا كما قال؟ وهل يجيءُ الملائكةُ صَفًّا صَفًّا؟

قالوا: أمَّا الملائكةُ فيَجيئون صفًّا صفًّا، وأمَّا الرَّبُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فإنَّا لا ندري ما عنى بذلك؟ ولا ندري كيف جِيئتُه؟

فقُلْنا لهم: إنَّا لم نُكَلِّفْكم أن تَعلَموا كيف جيئتُه، ولكِنَّا نُكَلِّفُكم أن تؤمنوا بمجيئِه، أرأيتُم من أنكر أنّ المَلَكَ لا يجيءُ صفًّا صفًّا، ما هو عندكم؟ قالوا: كافِرٌ مُكَذِّبٌ، قلنا: فكذلك من أنكر أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يجيءُ، فهو كافِرٌ مُكَذِّبٌ»[1].

فإثبات الإتيان لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته واجب الإيمان به، والإتيان صفة فعلية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يفعلها إذا شاء، ويجب الإيمان بها على ظاهر النّص كما هي طريقة السّلف خلافاً لما حصل فيها من تأويل من أول أو تحريف من حرف.

(يكشف عن ساق) كما في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القَلَم: 42].

فقد أثبت الله جَلَّجَلَالُهُ لنفسه صفتين صفةَ فعل وهي:(الكشف)، وصفةَ ذات وهي: (الساق)، ويزيل الإشكال حديث النبي ﷺ الذي أضاف الساق للرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فأبطل تفسير من فسرها باللغة أن معنى الساق الشدة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» [2].

وفي لفظ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ،

1 – عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: 233).

2 – البخاري (4919) واللفظ له، ومسلم (116 – (2940) من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو.

فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا...» الحديث [1].

(يضع قدمه على جهنّم) وذلك لحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ» [2].

فأثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفتين: صفة فعل وهي: الوضع، وصفة ذات وهي: القدم.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «الكُرسيُّ موضِعُ القَدَمينِ، والعرشُ لا يَقدِرُ أحَدٌ قَدْرَه». [3]

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الكُرسيُّ موضِعُ القَدَمَيْنِ، وله أَطِيطٌ كأَطِيطِ الرَّحْلِ»[4]، والأطيط صوت الأقتاب. وأطيط الإبل:أصواتها وحنينها. أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت (النهاية).

قال الشَّافعيُّ: «للهِ تبارَك وتعالى أسماءٌ وصِفاتٌ جاء بها كِتابُه، وأخبَرَ بها نبيُّه ﷺ أمَّتَه، وأنَّ له قَدَمًا، بقولِ النَّبيِّ ﷺ: «حتَّى يضَعَ الرَّبُّ فيها قَدَمَه» يعني جهنَّمَ». [5]

قال التِّرمذيُّ: «رُوِيَ عنِ النَّبيِّ ﷺ رواياتٌ كثيرةٌ، مِثلُ: هذا ما يُذكَرُ فيه أمرُ الرُّؤيةِ؛ أنَّ النَّاسَ يرَوْنَ ربَّهم، وذِكرُ القدَمِ، وما أشبَهَ هذه الأشياءَ، والمذهبُ في هذا عند أهلِ العِلمِ مِن الأئمَّةِ - مِثلِ سُفيانَ الثَّوريِّ، ومالكِ بنِ أنسٍ، وابنِ المُبارَكِ، وابنِ عُيَينةَ، ووكيعٍ، وغيرِهم - أنَّهم روَوْا هذه الأشياءَ، ثمَّ قالوا: تُروَى هذه الأحاديثُ،

1 -البخاري (7439).
2 - البخاري (4848) ومسلم(37 - (2848).
3 - أخرجه عبدالرزاق في التفسير (3030)، وأبو الشيخ في العظمة (2/582)، والخطيب في تاريخ بغداد (9/251). صححه الألباني في مختصر العلو (45)، ووثق رواته الذهبي في العلو (76)، وذكر ثبوته ابن تيمية في تلبيس الجهمية (8/364).
4 - أخرجه الطبري في التفسير (5789)، وابن مَنْدَهْ في الرد على الجهمية (9)، والبيهقي في الأسماء والصفات (859). صححه الألباني في مختصر العلو (75)، وصحَّح إسنادَه ابنُ حَجَر في فتح الباري (8/47).
5 - طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (1/282).

ونؤمِنُ بها، ولا يُقالُ: كيفَ؟ وهذا الَّذي اختاره أهلُ الحديثِ؛ أنْ تُروى هذه الأشياءُ كما جاءَتْ، ويُؤمَنُ بها، ولا تُفَسَّرُ، ولا تُتَوَهَّمُ، ولا يُقالُ: كيفَ؟ وهذا أمرُ أهلِ العِلمِ الَّذي اختاروه وذهَبوا إليه». [1]

40 - ....يَسَعْ

41 - بِفَضْلِهِ الخَلْقَ، يَدَاهُ بِالْعَــطَا مَبْسُوطَتَانِ، كيفَ شَاءَ بَسَطَا

(يسع بفضله الخلق) أثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة السعة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:73]، فإنه يسع الخلق بفضله ورحمته قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:156].

ومن ذلك حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقضَى يومَ القيامة عَليهِ... ورجلٌ وسَّع اللهُ عليه وأعْطاهُ مِن أصنافِ المالِ» [2].

ويسع من الوسع وفي «أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (الواسع) هو الذي وسع غناه كلّ فقير، ورحمته كلّ شيء، يقال: وسعه الشّيء يسعه سعة، فهو واسع، ووسع بالضّمّ وساعة فهو وسيع، والوسع الوسع، والسّعَة: الجِدَةُ والطَّاقَة»[3].

وقال الأزهريُّ: «الواسِعُ من صِفاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: الذي وَسِعَ رِزقُه جميعَ خَلْقِه، ووَسِعَت رحمتُه كُلَّ شيءٍ... قال ابنُ الأنباريِّ: الواسِعُ مِن أسماءِ اللهِ: الكثيرُ العطايا الذي يَسَعُ لِما يُسألُ. وهذا قَولُ أبي عُبَيدةَ. ويقالُ الواسِعُ: المحيطُ بكُلِّ شَيءٍ؛ مِن قَولِهم: وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا، أي: أحاط»[4].

وقال الخطَّابيُّ: «الواسِعُ هو الغنيُّ الذي وَسِعَ غِناه مَفاقِرَ عِبادِه، ووَسِعَ رِزقُه جميعَ خَلْقِه؛ والسَّعةُ في كلامِ العَرَبِ: الغِنى. ويقالُ: اللهُ يعطي عن سَعةٍ، أي: عن غِنًى»[5].

---

1 - سنن الترمذي (4/691).
2 - أخرجه مسلم (1905).
3 - غريب الحديث لابن الأثير (9/4410) (مادة وسع). ط/ الأوقاف القطرية.
4 - تهذيب اللغة للأزهري (3/ 61).
5 - شأن الدعاء للخطابي (ص: 72).

(الفضل) العطاء الزائد، وأفضل: زاد أو أكثر أو أحسن[1].

41 - .....، يَدَاهُ بِالْعَـطَا مَبْسُوطَتَانِ، كيفَ شَاءَ بَسَطَا

(يداه) أثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة اليدين وهي صفة ذاتية، كما أثبت له صفة البسط وهي صفة فعلية ثابتة للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (مبسوطتان).

وكلتاهما صفتان مباركتان ثابتتان بالكتاب والسنة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة: 64].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾[ص: 75].

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ اللهَ تعالى يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ؛ ليتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبسُط يدَه بالنَّهارِ؛ ليتوبَ مسيءُ اللَّيلِ، حتى تَطلُعَ الشمسُ مِن مغرِبِها»[2].

وعن أبي هُريْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفيه: «فيأتونَه فيَقولُون: يا آدَمُ، أنتَ أبو البَشَرِ، خلقَكَ اللهُ بيَدِه، ونفَخ فيكَ مِن رُوحِه»[3].

وعن أبي هُريْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يدُ اللهِ ملأى لا يَغيضُها نفقةٌ، وبيَدِه الأخرى الميزانُ يَخفِضُ ويَرفَعُ» [4].

قال الشافعيُّ: «لِلهِ تبارَك وتعالى أسماءٌ وصِفاتٌ جاءَ بها كِتابُه، وأخبَر بها نبيُّه ﷺ أُمَّتَه أنَّه سميعٌ، وأنَّ له يَدينِ بقَولِه: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، وأنَّ له يمينًا بقَولِه: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾[الزمر:67]» [5].

---

1 -المعجم المفسر لكلمات احاديث الكتب التسعة لطارق بن عوض الله (مادة فضل)(447).
2 - أخرجه مسلم (2759).
3 - أخرجه البخاري (3340) واللفظ له، ومسلم (194).
4 - أخرجه البخاري (7411). وأخرجه مسلم (993) بلفظ: ((يمين الله))
5 - يُنظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (1/282).

وقال أحمدُ بنُ حَنبَل: «قَلبُ العَبدِ بين أُصبُعَين»[1]، «وخَلَق آدَمَ بيَدِه» [2]، وكلَّما جاء الحديثُ مِثلُ هذا قُلْنَا به»[3].

وقال ابنُ جرير: القَولُ فيما أُدرِكَ عِلمُه مِن صِفاتِ الصَّانِعِ خَبرًا لا استدلالًا، وذلك نحوُ إخبارِ اللهِ تعالى ذِكْرُه إيَّانا أنَّه سميعٌ بصيرٌ، وأنَّ له يَدَينِ بقَولِه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المَائِدَة: 64][4].

وقال أبو الحسنِ الأشعريُّ: «أجمَعوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يَسمَعُ ويرى، وأنَّ له تعالى يَدينِ مَبسوطتَين»[5].

وقال أيضًا: «قد سُئِلْنا: أتقولون إنَّ للهِ يَدَينِ؟ قيل: نقولُ ذلك بلا كيفٍ، وقد دَلَّ عليه قَولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقَولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وجاء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «كلتا يَدَيه يمينٌ»، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾[الحَاقَّة:45]» [6].

وقال ابنُ أبي زيد القَيرواني: «ممَّا أجمَعَت عليه الأئمَّةُ مِن أُمورِ الدِّيانةِ، ومِنَ السُّنَنِ التي خِلافُها بِدعةٌ وضَلالةٌ، أنَّ يَدَيه مَبسوطتانِ، والأرضُ جميعًا قَبْضَتُه يومَ القيامةِ والسَّمواتُ مَطويَّاتٌ بيَمينِه، وكُلُّ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاس في الفِقهِ والحديثِ، على ما بَيَّنَّاه، وكُلُّه قَولُ مالكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه مَعلومٌ مِن مَذهَبِه»[7].

وقوله (بالعطا) تفسير للبسط.

فثبت في مامضى من الآيات والأحاديث وأقوال أهل السنة صفتان مباركتان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهما: اليدان وصفة البسط.

---

1 - أخرجه مسلم (2654) باختلاف يسير مطولاً من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

2 - أخرجه البخاري (3340)، ومسلم (194) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: (يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده).

3 -إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص: 45).

4 -التبصير في معالم الدين (ص: 132).

5 -رسالة إلى أهل الثغر (ص: 225).

6 -الإبانة عن أصول الديانة (ص: 125).

7 -الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ(ص: 117-107).

42- كِلتَاهُمَا فِي يُمْنِهَا يَمِينُ فَهْو بِذَا مِنْ خَلْقِهِ يَبِينُ

(كلتاهما) أي كلتا يدي ربّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (في يمنها) أي في بركتها وخيرها وعطائها (يمين) أي توصفان بذلك، وهذه الصّفة المباركة ثابتة لله عز وجل كما أخبر عنه الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لمَّا خلقَ اللَّهُ آدمَ ونفخَ فيهِ الرُّوحَ عَطسَ فقالَ: الحمدُ للَّهِ، فحمِدَ اللَّهَ بإذنِهِ، فقالَ لَهُ ربُّهُ يرحَمُكَ اللَّهُ يا آدمُ، اذهب إلى أولئِكَ الملائِكَةِ، إلى ملأ منهُم جلوسٍ فقل: السَّلامُ عليكُم قالوا: وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ، ثمَّ رجعَ إلى ربِّهِ، قالَ: إنَّ هذِهِ تحيَّتُكَ وتحيَّةُ بَنيكَ، بينَهُم، فقالَ اللَّهُ لَهُ ويداهُ مَقبوضتانِ: اختَر أيَّهما شئتَ، قالَ: اخترتُ يمينَ ربِّي، وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ مباركَةٌ، ثمَّ بسطَها فإذا فيها آدمُ وذرِّيَّتُهُ، فقالَ: أي ربِّ، ما هؤلاءِ؟ فقالَ: هؤلاءِ ذرِّيَّتُكَ، فإذا كلُّ إنسانٍ مَكْتوبٌ عُمرُهُ بينَ عينيهِ، فإذا فيهم رجلٌ أضوَؤُهُم أو من أضوئِهِم قالَ: يا ربِّ مَن هذا؟ قالَ: هذا ابنُكَ داودُ قد كتبتُ لَهُ عُمُرَ أربعينَ سنةً، قالَ: يا ربِّ زِدهُ في عمرِهِ. قالَ: ذاكَ الَّذي كتبَ لَهُ. قالَ: أي ربِّ، فإنِّي قَد جعَلتُ لَهُ من عُمُري ستِّينَ سنةً. قالَ: أنتَ وذاكَ. قالَ: ثمَّ أُسْكِنَ الجنَّةَ ما شاءَ اللَّهُ، ثمَّ أُهْبِطَ منها، فكانَ آدمُ يعدُّ لنَفسِهِ، قالَ: فأتاهُ ملَكُ الموتِ، فقالَ لَهُ آدمُ: قد عجَّلتَ، قَد كتبَ لي ألفُ سنةٍ. قالَ: بلَى ولَكِنَّكَ جعَلتَ لابنِكَ داودَ ستِّينَ سَنةً، فجَحدَ فجَحدَتْ ذرِّيَّتُهُ، ونسيَ فنَسيَتْ ذرِّيَّتُهُ. قالَ: فمِن يومئذٍ أُمِرَ بالكتابِ والشُّهودِ»[1].

قال النبي ﷺ: «فقال الله له- ويداه مقبوضتان، اختر أيَّهما شئت»، أي: اختر واحدة من القبضتين، فقال آدم عليه السلام: «اخترت يمين ربي»، أي: القبضة اليمين، قال النبي ﷺ: «وكلتا يدي ربي يمين مباركة»، وقيل: يحتمل أن الذي قال هذا آدم عليه السلام، والمعنى: أن كلتا يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهما صفة الكمال؛ فكلاهما يمين؛ وذلك لأنّ الشّمال في حقّ الخلق تنقص عن اليمين، وأمّا في حقّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فليس كذلك؛ فإنّ الله عزّ وجلّ ليس كمثله شيء، وصفاته كلّها صفات كمال لا نقص

1- أخرجه الترمذي (3368) واللفظ له، وقال: حسن صحيح، والبزار (8478)، وابن خزيمة في (التوحيد) (1/160)

فيها بوجه من الوجوه، قال: «ثم بسطها»، أي: فتح قبضته عزّ وجلّ، «فإذا فيها آدم وذريته»؛ قيل: يعني رأى آدم مثاله ومثال بنيه في عالم الغيب.

قال الإمام الناقد الجهبذ ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالُوا: حَدِيثٌ فِي التَّشْبِيهِ- كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ «أَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[1]، وَهَذَا يَسْتَحِيلُ إِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ بِالْيَدَيْنِ الْعُضْوَيْنِ، وَكَيْفَ تَعْقِلُ يَدَانِ كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ؟».

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: «وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ وَلَيْسَ هُوَ مُسْتَحِيلاً، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ مَعْنَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَمَيَاسِرُهُ تَنْقُصُ عَنْ مَيَامِنِهِ فِي الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَالتَّمَامِ. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُحِبُّ التَّيَامُنَ، وَتَكْرَهُ التَّيَاسُرَ، لِمَا فِي الْيَمِينِ مِنَ التَّمَامِ، وَفِي الْيَسَارِ مِنَ النَّقْصِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: «الْيُمْنُ وَالشُّؤْمُ».

فَالْيُمْنُ مِنَ الْيَدِ: الْيُمْنَى، وَالشُّؤْمُ مِنَ الْيَدِ: الشُّؤْمَى، وَهِيَ الْيَدُ الْيُسْرَى، وَهَذَا وَجْهٌ بَيِّنٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: الْعَطَاءَ بِالْيَدَيْنِ جَمِيعًا، لِأَنَّ الْيُمْنَى هِيَ الْمُعْطِيَةُ، فَإِذَا كَانَتِ الْيَدَانِ يَمِينَيْنِ، كَانَ الْعَطَاءُ بِهِمَا.

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ سَحَّاءُ لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». أَيْ تَصُبُّ الْعَطَاءَ وَلَا يَنْقُصُهَا ذَلِكَ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْمِرَّارُ حِينَ قَالَ:

وَإِنَّ عَلَى الْأَوَانَةِ مِنْ عَقِيلٍ فَتًى كِلْتَا الْيَدَيْنِ لَهُ يَمِينُ[2].

وأما ماورد من لفظ «بشماله» في صحيح مسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[3].

فقد ذهب أئمة الحديث إلى أنها لفظة شاذّة وليست بصحيحة ردّها البيهقي[4]

---

1 - أخرجه مُسلم: فِي بَاب الْإِمَارَة حَدِيث (18 - (1827)

2 - تأويل مختلف الحديث (1/304) للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)/ الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق/ الطبعة: الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة 1419هـ - 1999م.

3 -رواه مسلم (24 - (2788).

4 -الأسماء والصفات للبيهقي (2/55).

وابن حجر[1] وقبلها ابن خزيمة كما في كلامه في كتابه « التوحيد » وما ثبت في الروايات الصّحيحة عن رجال ابن عمر (عدم ذكر الشمال) وفي حديث (عبد الله بن عمرو بن العاص -وكلتا يديه يمين -).

(فهو) سبحانه(بذا) الوصف أي بهذه الصفة المباركة وهي كلتا يديه يمين مباركة (من خلقه يبين) يباين خلقه لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كما قال.

وهذا من أبْيَن الأدلّة على مخالفته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للحوادث وعدم مشابهتهم له.

43 - يَرَى وَلا يَرَاهُ مِنَّا ذُو بَصَرْ حَتَّى يَمُوتَ، مِثلَ مَا جَا فِي الخَبَرْ

(يرى) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما قال مخبرا عن نفسه ﴿إِنِّي معكما أسمع وأرى﴾، وقَولُه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[ٱلْعَلَقِ: 14]. قال ابنُ جريرٍ في تفسيرِ قَولِه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[ٱلْبَقَرَةِ: 265]: « يَقولُ: إنَّ اللهَ يرى ما تَعمَلونَ مِن خيرٍ وشَرٍّ »[2].

والرؤية صفة من صفاته الفعلية، ورؤيته لخلقه دائمة مستمرة، فلايعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وبينهما، لاتحجب عنه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولابحر مافي قعره، ولاجبل مافي وعره.

والرُّؤيةُ المضافةُ إلى اللهِ لها معنيانِ، المعنى الأوَّلُ: العِلمُ، من ذلك قَولُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن القيامةِ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[المَعَارِجِ: 6 - 7]، فالرُّؤيةُ هنا رؤيةُ العِلمِ؛ لأنَّ اليومَ ليس جِسمًا يُرى، وأيضًا هو لم يكُنْ بَعْدُ، فمعنى: وَنَرَاهُ قَرِيبًا، أي: نعلَمُهُ قريبًا.

المعنى الثَّاني: رُؤيةُ المبصَراتِ، يعني: إدراكَها بالبصَرِ،﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [ٱلْعَلَقِ:14] فهي صالِحةٌ لأن تكونَ بمعنى العِلمِ، وبمعنى الرُّؤيةِ البَصَريَّةِ، وإذا كانت صالحةً لهما، ولا منافاةَ بينهما، وجَبَ أن تُحمَلَ عليهما جميعًا، فيقالَ: إنَّ اللهَ يَرى، أي: يَعلَمُ ما يَفعَلُه هذا الرَّجُلُ وما يَقولُه، ويراه أيضًا.

1 -انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (13/396).
2 -تفسير ابن جرير (6/ 181).

وفي حديث جبريلَ المشهورُ، لما سأل النبي ﷺ عن الإحسان: «فقال: ما الإحسانُ؟ قال: أن تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإن لم تكُنْ تراه فإنَّه يَراكَ»[1].

قال أبو القاسم الأصبهاني: «قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[هُوْدٍ: 37]، وقال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[القَمَرِ: 14]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[طٰهٰ: 39]،وقال:﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطُّوْرِ: 48]؛ فواجب على كلّ مؤمن أن يثبت من صفات الله عزّ وجلّ ما أثبته الله لنفسه، وليس بمؤمن من ينفي عن الله ما أثبته الله لنفسه في كتابه؛ فرؤية الخالق لا تكون كرؤية المخلوق، وسمع الخالق لا يكون كسمع المخلوق؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التَّوْبَةِ: 105]، وليس رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعمال بني آدم كرؤية رسول الله ﷺ والمؤمنين، وإن كان اسم الرّؤية يقع على الجميع، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مَرْيَمَ: 42]، جلّ وتعالى عن أن يشبه صفة شيء من خلقه صفته، أو فعل أحد من خلقه فعله؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرى ما تحت الثرى، وما تحت الأرض السّابعة السفلى، وما في السموات العلا، لا يغيب عن بصره شيء من ذلك ولا يخفى؛ يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى ما في السموات، وبنو آدم يرون ما قرب من أبصارهم، ولا تدرك أبصارهم ما يبعد منهم، لايدرك بصر أحد من الآدمّيين ما يكون بينه وبينه حجاب، وقد تتفق الأسامي وتختلف المعاني»[2].

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وفي الجنة

(ولايراه منّا) معشر الإنس والجن (ذوبصر) ولو كان أعمى لأنّ المؤمن يرى ربّه يوم القيامة حتّى ولو كان أعمى في هذه الحياة، فإنه يكون على أكمل وأجمل صورة في الجنّة، فذكر الشيخ الغالب، (حتّى يموت) ويبعث، ويدخل الجنة (كما جا)ء في

1 -أخرجه البخاري (50)، ومسلم (9)، من حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلمٌ أيضًا من حديثِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2 -الحجة في بيان المحجة (1/181).

صحيح (الخبر) الصادق عن الرّبّ، وعن سيد البشر ﷺ، وتستحيل رؤية الله في الدنيا، وذلك ما جاء في الخبر فعن سَالِمٍ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: «فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: « إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ، أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»، وَقَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»[1].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القِيَامَة: 22-23]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يُونُس: 26].

قال ابن كثير: روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس[قال البغوي: وأبو موسى وعبادة بن الصامت]وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف[2].

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، عن رسول الله ﷺ، فعن جَرِيرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال: «إنَّكم سترَوْنَ ربَّكم عِيانًا، كما ترَوْنَ القمرَ ليلةَ البَدْرِ، لا تُضامُّونَ أي: لا تُزاحمون في رؤيتِه» [3].

وعن صُهَيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إذا دخَل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يَقولُ اللهُ تبارَك وتعالى: تُريدونَ شيئًا أَزيدُكم؟ فيَقولُونَ: ألَمْ تُبيِّضْ وجوهَنا؟ ألَمْ تُدخِلْنا الجنَّةَ وتُنَجِّنا مِن النَّارِ؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ، فما أُعطُوا شيئًا أحَبَّ إليهم مِن النَّظَرِ إلى ربِّهم عزَّ

1 – رواه مسلم (169).

2 – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 262) ط/ المحقق: سامي بن محمد سلامة/ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع/الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.

3 –أخرجه البخاري (554)، ومسلم (633).

وجلَّ، ثمَّ تلا هذه الآيةَ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» [يُونُسَ: 26][1].

قال أشهَبُ بنُ عبد العزيز: «قال رجلٌ لمالكٍ: يا أبا عبدِ اللهِ، هل يرى المؤمِنون رَبَّهم يومَ القيامةِ؟ قال: لو لم يَرَ المؤمِنون رَبَّهم يومَ القيامةِ لم يُعَيِّرِ اللهُ الكُفَّارَ بالحِجابِ، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[المطففين: 15]،وفي روايةٍ: فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ، فإنَّ قومًا يَزعُمون أنَّ اللهَ لا يُرى؟ قال مالِكٌ: «السَّيفَ السَّيفَ» [2].

و عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[يس: 58]، قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ»[3].

وقال ابنُ وَهبٍ: «سمعتُ مالِكَ بنَ أنسٍ يقولُ: النَّاظِرون يَنظُرون إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ يومَ القيامةِ بأعيُنِهم»[4].

وقال ابنُ أبي زيد القيروانيُّ: «ممَّا أجمعَت عليه الأئمَّةُ مِن أمورِ الدِّيانةِ، ومِنَ السُّنَنِ التي خلافُها بدعةٌ وضَلالةٌ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يراه أولياؤُه في المعادِ بأبصارِ وُجوهِهم لا يُضامُّونَ في رؤيتِه، كما قال عزَّ وجَلَّ في كتابِه وعلى لسانِ نبيِّه، وكُلُّ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بَيَّنَّاه، وكُلُّه قَولُ مالكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه» [5].

والخبر يطلق على المأثور سواء كان مرفوعاً إلى النّبيّ ﷺ، أو موقوفاً على أحد من أصحابه، أو مقطوعاً عن أحد من التّابعين.

---

1 -أخرجه مسلم (181).

2 -شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (3/ 518).

3 -رواه ابن ماجة (184) وقال السيوطي في مصباح الزجاجة والذي رأيته أنا في كتاب العقيلي ما نصه عبد الله بن عبيد الله أبو عاصم العباداني منكر الحديث. وكان الفضل يرى القدر. كاد أن يغلب على حديثه الوهم»، وضعفه الألباني.

4 -شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (3/ 555).

5 -الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص: 117-107).

وقالت طائفة من أهل العلم: هو مرادف للأثر، لكن جرى الاصطلاح عند المحدثين: أن يطلقوا الأثر على الموقوف والمقطوع، وأن يطلقوا الخبر على المرفوع، فالخبر أكثر إطلاقه على المرفوع إلى النبي ﷺ، والأثر أكثر إطلاقه على الموقوفات والمقطوعات.

44- يَسْمَعُ، يُبْصِرُ، يُحِبُّ، يَعْجَبُ يَضْحَكُ، يَرْضَى، يَسْتَجِيبُ، يَغْضَبُ

(يسمع) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأثبت له صفة السّمع وهي صفة فعلية، وقد تقدمت الآيات والآثار في ذلك في اسمي السميع والبصير، ونزيد هنا نورا من مشكاة النور، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: (181)، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: 1].

ومن ذلك حديثُ عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قِصَّةِ المجادَلَة، وقولُها: «الحمدُ لله الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصواتَ»[1].

وحَدِيثُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها قالتْ للنبيِّ ﷺ: «هل أتَى عليكَ يومٌ كان أشَدَّ مِن يوم أُحُدٍ؟ فقال: لقد لَقِيتُ مِن قَومِكِ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومُ العَقَبةِ» وفي الحديثِ: «فناداني مَلَكُ الجبالِ، وسَلَّمَ عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّدُ، إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِكَ، وأنا مَلَكُ الجبالِ»[2].

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يَقولُون: إنَّ اللهَ سميعٌ بسَمْعٍ يليقُ بجَلالِه وعَظَمتِه، كما أنَّه بصيرٌ ببَصَرٍ يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: 11].

---

1 - أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (7386)، وأخرجه موصولاً النسائي (3460)، وابن ماجه (188)، وأحمد (24195) صححه ابن عساكر في (معجم الشيوخ) (1/163)، وابن حجر في (تغليق التعليق) (5/339)، والألباني في (صحيح سنن النسائي) (3460)، والوادعي على شرط مسلم في (الصحيح المسند) (1583).

2 - أخرجه البخاري (3231)، ومسلم (1795) واللفظ له.

(يبصر) قد مر شيء من الكلام على اسم البصير، وكذلك عند الرّؤية، مافيه بيان لكلّ مسلم موحّد، وهنا ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة البصر وهي من صفة فعل، وسنضيف هنا حديث أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يا أيُّها النَّاسُ، ارْبَعُوا على أنفُسِكم؛ إنَّكم لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائبًا، ولكن تَدْعونَ سميعًا بَصيرًا، إنَّ الَّذي تدْعُون أقرَبُ إلى أحَدِكم مِن عُنُقِ راحلتِه» [1].

وعن قتادة رحمه الله في تفسير قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مَرْيَمَ:38]: «أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ فلا أحَدَ أبصَرُ مِنَ اللهِ ولا أسمَعَ، تبارك وتعالى» [2].

قال الزَّجَّاجُ: «أجمَعَت العُلَماءُ أنَّ معناه: ما أسمَعَه وأبصَرَه! أي: هو عالمٌ بقصَّةِ أصحابِ الكَهفِ وغَيرِهم» [3].

وقال الباقِلاَّنِيُّ: «يجِبُ أن يُعلَمَ: أنَّه سميعٌ لجميعِ المسموعاتِ، بصيرٌ لجميعِ المبصَراتِ... فإنَّه لو لم يُوصَفْ بالسَّمعِ والبَصَرِ، لوَجَبَ أن يُوصَفَ بضِدِّ ذلك من الصَّمَمِ والعَمَى، واللهُ يتعالى عن ذلك عُلوًّا كبيرًا» [4].

(يحبُّ) من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفعلية المحبّة فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحبّ ماشاء من خلقه، ويحب من شاء من عباده وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة المثبتة لهذه الصفة المباركة، فمن ذلك:

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[ٱلْبَقَرَةِ: 195].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[ٱلْبَقَرَةِ:222].

وقوله جل جلاه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[آلِ عِمْرَانَ: 76].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ

---

1 – أخرجه البخاري (6384).
2 – خرجه ابن جرير في تفسيره (15/ 233).
3 –معاني القرآن (3/280).
4 – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص: 35).

وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: 134].

وورد نفي المحبة في آيات كثيرة: منها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة: 276].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: 32].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[آل عمران:57].

ومن ذلك قوله جل في علاه ونسأله محبته: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: 54].

ومن أحاديث المعصوم ﷺ حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»[1].
وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «إنَّ الله يحبّ العبدَ التّقيَ، الغنيّ، الخفيَّ»[2].

فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الحبّ والمحبّة لله عز وجل، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب، كما يقول المؤوّلة، وكذلك يثبت أهل السنة لازم المحبّة وأثرها، وهو إرادة الثواب، وإكرام من يحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال ابن الوزير: «أهل السنة يصفون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما وصف به نفسه من محبة الطاعات وأهلها، دون سائر الفرق؛ لما مر تقريره في الصفات. فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[البقرة: 205] لا يلائم مذهب المعتزلة، إن مفهومه أن صفة المحبة جائزة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما لم يعلق بالفساد لقبحه، ومفهومه أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحب الصلاح والصالحين كما صرح به القرآن، لكن المعتزلة لا تجيز صفة المحبة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقولون: إنها صفة نقص، وإنه يجب تأويلها بالإرادة. وكذلك قوله

1 - أخرجه البخاري (3009)، ومسلم (2405).
2 - أخرجه مسلم (2965).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[الزُّمَر: 7]متى كان الرضا بمعنى المحبة، وأما قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[الإِسْرَاء: 38] فإنّ المعتزلة وافقت أهل السنّة على تقرير الكراهة على ظاهرها، وهذا يلزمهم الموافقة على تقرير المحبة من غير تأويل، وهم ظنّوا أنّ المحبة تستلزم الشّهوة، وأنّ الكراهة لا تستلزم النفرة، وهذا كلّه تحكم؛ فإنهم إن رجعوا إلى قياس الخالق على المخلوقين، لزمهم منع الكراهة؛ لأنها في المخلوقين تستلزم النفرة»[1].

(يعجب) العَجَبُ صفة من الصفات الفعلية للربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثابتة في الكتاب والسنة، فمن ذلك قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[الصَّافَّات: 12].

قال ابنُ جَرير: قَولُه: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ اختلفتِ القرَّاءُ في قِراءة ذلك، فقرأتْه عامَّةُ قرَّاءِ الكوفةِ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾، بضمِّ التاءِ مِن عَجِبْتَ، بمعنى: بل عَظُمَ عندي وكَبُر اتِّخاذُهم لي شريكًا، وتكذيبُهم تَنْزيلي، وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامَّةُ قرَّاءِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ قرَّاء الكوفةِ عَجِبْتَ، بفتح التاء، بمعنى: بل عجبتَ أنت -يا محمَّد- ويَسخَرون من هذا القُرآنِ.

والصوابُ من القول في ذلك: أن يُقالَ: إنَّهما قِراءتانِ مشهورتانِ في قرَّاءِ الأمصارِ، فبأيِّتهما قرأ القارئُ فمُصِيبٌ.

فإنْ قال قائلٌ: وكيف يكون مُصيبًا القارئُ بهما مع اختلافِ معنَييهما؟! قيل: إنَّهما وإنْ اختلف معنياهما، فكلُّ واحدٍ من مَعنييهِ صحيحٌ؛ قد عجِبَ محمَّدٌ ممَّا أعطاه اللهُ من الفَضلِ، وسخِرَ منه أهلُ الشِّركِ باللهِ، وقد عَجِب ربُّنا من عَظيمِ ما قاله المشرِكون في اللهِ، وسَخِر المشركونَ ممَّا قالوه»[2].

وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[الرَّعْد: 5].

نقَل ابنُ جريرٍ في تَفسيرِه لهذه الآيةِ بإسنادِه عن قَتادةَ: قَولُه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ

1 - العواصم والقواصم لابن الوزير (5/ 401).
2 -تفسير ابن جرير(18/65).

فَعَجَبُ﴾: إن عجِبتَ يا محمَّدُ ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: عجِبَ الرحمنُ تبارك وتعالى مِن تكذيبِهم بالبعثِ بعدَ الموتِ»[1].

وقال الشِّنقيطيُّ: «هذه الآيةُ الكريمةُ على قراءةِ حَمزةَ والكِسائيِّ فيها إثباتُ العَجَبِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهي إذَنْ مِن آياتِ الصِّفاتِ على هذه القِراءةِ»[2].

وعن أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لقد عَجِبَ اللهُ عزَّ وجلَّ «أو: ضَحِكَ» مِن فُلانٍ وفُلانة»[3].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «عَجِبَ اللهُ مِن قومٍ يدخلونَ الجَنَّةَ في السَّلاسلِ»[4].

قال ابنُ بطَّةَ: «بابُ الإيمانِ بالتعَجُّبِ، وقالت الجَهميَّةُ: إنَّ اللهَ لا يَعجَبُ، قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾، هكذا قرأها ابنُ مسعودٍ، وقيل لإبراهيمَ: إنَّ شُرَيحًا قرَأَها: ﴿عَجِبْتَ﴾ فقال: كان شُرَيحٌ مُعجَبًا برأيه، عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ أعلَمُ من شُرَيحٍ، والتعَجُّبُ على وجهين؛ أحَدُهما: المحبَّةُ بتعظيمِ قَدْرِ الطَّاعةِ، والسُّخطُ بتعظيمِ قَدْرِ الذَّنبِ، ومن ذلك قَولُ النَّبيِّ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّك من شابٍّ ليس له صَبْوةٌ»[5]، أي: أنَّ اللهَ مُحِبٌّ له، راضٍ عنه، عظيمٌ قَدْرُه عنده.

والثَّاني: التعَجُّبُ على معنى الاستِنكارِ للشَّيءِ، وتعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا؛ لأنَّ المتعَجِّبَ مِنَ الشَّيءِ على معنى الاستِنكارِ هو الجاهِلُ به الذي لم يكُنْ يَعرِفُه، فلمَّا عَرَفه ورآه استنكَرَه، وعَجِبَ منه، وجَلَّ اللهُ أن يُوصَفَ بذلك! وقد جاءت السُّنَّةُ عن النَّبيِّ ﷺ بما دَلَّ على التعَجُّبِ الأوَّلِ»[6].

(يضحك) الضحك صفة من الصفات الفعلية للرّبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، و﴿لَيْسَ

---

1 -تفسير ابن جرير (13/432).

2 -يُنظر: ((أضواء البيان)) (6/ 308).

3 -أخرجه البخاري (4889) واللفظ له، ومسلم (2054) بلفظ: (قد عَجِب اللهُ من صَنيعِكما بضَيفِكما الليلةَ).

4 - أخرجه البخاري (3010).

5 - أخرجه أحمد (17371)، وأبو يعلى (1749)، والطبراني (17/309) (853) باختلافٍ يسيرٍ من حديث عُقبةَ بنِ عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

6 - (الإبانة الكبرى لابن بطة (7/ 131).

كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ وقد ثبتت هذه الصفة المباركة في نصوص السنة، فمن ذلك حَدِيث أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «يَضحكُ اللهُ إلى رَجُلينِ يَقتُلُ أحدُهما الآخَرَ، كِلاهما يدخُلُ الجَنَّةَ»[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا في آخِرِ أهلِ النَّارِ خُروجًا منها، وآخِرِ أهلِ الجَنَّةِ دُخولًا فيها، وفيه: أنَّه قال مخاطبًا اللهَ عزَّ وجلَّ: «أتسخَرُ بي؟ أو أتَضحَكُ بي وأنت الملكُ؟»[2].

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يُثْبِتُون هذه الصِّفةَ وغيرَها من صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ الثَّابتةِ له بالكِتابِ أو السُّنَّة الصَّحيحةِ؛ من غَيرِ تمثيلٍ ولا تكييفٍ، ويُسَلِّمون بذلك، ويَقولُون: كُلٌّ منِ عندِ ربِّنا.

قال الشَّافعيُّ: «للهِ تبارك وتعالى أسماءٌ وصِفاتٌ جاءَ بها كِتابُه، وأخبَرَ بها نبيُّه ﷺ أمَّتَه... وأنَّه يَضحَكُ من عبدِه المؤمِنِ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ للذي قُتِلَ في سبيلِ اللهِ: «إنَّه لقِيَ اللهَ وهو يَضحَكُ إليه[3]»[4].

وقال الآجُرِّيُّ: «بابُ الإيمانِ بأنَّ الله عزَّ وجلَّ يَضحكُ: اعلموا -وفَّقنا اللهُ وإيَّاكم للرَّشادِ من القولِ والعمل- أنَّ أهلَ الحقِّ يَصِفون اللهَ عزَّ وجلَّ بما وصَفَ به نفْسَه عزَّ وجلَّ، وبما وصَفَه به رسولُه ﷺ، وبما وَصَفَه به الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وهذا مذهبُ العُلَماءِ مِمَّن اتَّبع ولم يبتدِعْ، ولا يُقال فيه: كيف؟ بل التَّسليمُ له، والإيمانُ به؛ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يَضحَكُ، كذا رُوِيَ عنِ النَّبيِّ ﷺ وعن صَحابتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فلا يُنْكِرُ هذا إلَّا مَن لا يُحْمَدُ حالُه عندَ أهلِ الحقِّ»[5].

وقال ابنُ بطَّةَ: «سألتُ أبا عُمَرَ محمَّدَ بنَ عبدِ الواحِدِ صاحِبَ اللُّغةِ عن قَولِ

1 - أخرجه مطولاً البخاري (2826)، ومسلم (1890) واللفظ له.

2 - أخرجه البخاري (6571)، ومسلم (186) واللفظ له.

3 - أخرج نحوه البخاري (2826)، ومسلم (1890) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولفظ البخاري: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد)

4 - طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (1/282).

5 - الشريعة للإمام الآجري (ص: 277).

النَّبيِّ ﷺ:«ضَحِكَ ربُّنا مِن قُنوطِ عِبادِه، وقُرْبِ غِيَرِه»[1]، فقال: الحديثُ معروفٌ، وروايتُه سُنَّةٌ، والاعتراضُ بالطَّعنِ عليه بِدعةٌ، وتفسيرُ الضَّحِكِ تكَلُّفٌ وإلحادٌ» [2].

(يرضى) من صفات الكريم جَلَّجَلَالُهُ الرضا وهي من الصفات الفعلية، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرضى الشكر لعبده، ولا يرضى له الكفر، ونصوص الوحيين متواترة في ذلك، ومنها: قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[التوبة: 100].

وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: 3].

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا:«اللَّهمَّ أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبمُعافاتِكَ مِن عقوبتِكَ» [3]، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ اللَّه يَرْضىَ لكم ثلاثًا، ويكرَهُ لكم ثلاثًا»[4].

قال ابنُ أبي زيدٍ القيروانيُّ: «ممَّا أجمعت عليه الأئِمَّةُ مِن أُمورِ الدِّيانةِ، ومن السُّنَنِ

---

1 – (أحمد في المسند(16187) قال شيخنا شعيب الأرناؤوط رحمه الله: إسناده ضعيف كسابقه، وأخرجه ابن ماجه (181) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.
وأخرجه الطيالسي (1092)، وابن أبي عاصم في «السنة» (554)، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» (264)، والطبراني في «الكبير» 19/ (469)، والآجري في «الشريعة» ص 279– 280، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص 473 من طرق عن حماد بن سلمة، به.
وسيأتي برقم (16201).
قال السندي: قوله: «من قنوط عباده»: القنوط هو اليأس، ولعل المراد هاهنا هو الحاجة والفقر، أي يرضى عليهم، ويُقْبِلُ عليهم بالإحسان إذا نظر إلى فقرهم وفاقتهم وذُلِّهم، وإلا فالقنوط من رحمته تعالى يوجب الغضب لا الرضا، قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:53]، وقال: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:87].
2 –الإبانة الكبرى لابن بطة (7/ 112).
3 – أخرجه مسلم (486).
4 – أخرجه مسلم (1715).

التي خلافُها بدعةٌ وضلالةٌ... أنَّه يرضى عن الطَّائعين ويحِبُّ التَّوَّابين، ويَسخَطُ على من كَفَر به ويغضَبُ فلا يقومُ شيءٌ لغَضَبِه... وكُلُّ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بَيَّنَّاه، وكُلُّه قولُ مالِكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه».[1]

(يَسْتَجِيبُ) أي بمعنى يجيب، وهنا إثبات لصفة أخرى من صفات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستجيب دعاء من دعاه، ويغيث من استغاث به، ويلبي حاجات من صمد إليه ولجأ إلى جنابه الكريم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾[آل عمران: 195]. وَقَولُه: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61]. وقَولُه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾[البقرة: 186].

قال ابنُ جَرير: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود: 61] يَقولُ: إنَّ رَبِّي قريبٌ ممَّن أخلَصَ له العبادةَ ورَغِبَ إليه في التَّوبةِ، مجيبٌ له إذا دعاه»[2].

وقال السَّعْديُّ: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود: 61] أي: قريبٌ ممَّن دعاه دعاءَ مسألةٍ، أو دُعاءَ عِبادةٍ، يُجيبُه بإعطائِه سُؤلَه، وقَبولِ عِبادتِه، وإثابتِه عليها أجَلَّ الثَّوابِ، واعلَمْ أنَّ قُربَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوعانِ: عامٌّ وخاصٌّ؛ فالقُربُ العامُّ: قُربُه بعِلْمِه من جميعِ الخَلْقِ، وهو المذكورُ في قَولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] والقُربُ الخاصُّ: قُربُه من عابِديه وسائِليه ومُحِبِّيه، وهو المذكورُ في قَولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق: 19]. وفي هذه الآيةِ، وفي قَولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾[البقرة: 186] وهذا النَّوعُ قُربٌ يقتضي إلطافَه تعالى، وإجابتَه لدعواتِهم، وتحقيقَه لمُراداتِهم؛ ولهذا يُقرَنُ باسمِه (القريبِ) اسمُه (المجيبُ)[3].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ -ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قَطيعةِ رحِمٍ- ما لم يَستعجِلْ، قيل: يا رسولَ اللهِ، ما الاستِعجالُ؟ قال: يَقولُ:

1 - الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن ابي زيد القيرواني (ص: 117-107).
2 - تفسير ابن جرير (12/ 454).
3 - تفسير السعدي (ص: 384).

قد دعَوْتُ وقد دعَوْتُ، فلم أرَ يَستجيبُ لي، فيستحسِرُ عند ذلك، ويَدَعُ الدُّعاءَ» [1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «ألَا وإنِّي نُهيتُ أن أقرَأَ القُرآنَ راكعًا أو ساجدًا؛ فأمَّا الرُّكوعُ فعَظِّموا فيه الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، وأمَّا السُّجودُ فاجتَهِدوا في الدُّعاءِ؛ فَقَمِنٌ أن يُستجابَ لكم» [2].

قال ابنُ القيِّمِ:

وَهُوَ المُجِيبُ يَقُولُ: مَن يَدْعُو أُجِبْ ... هُ أَنَا المُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي

وَهُوَ المُجِيبُ لِدَعْوَةِ المُضْطَـــرِّ إذْ ... يَدْعُوهُ في سِرٍّ وَفِي إعْلاَنِ. [3]

(يغضب) أثبت لله صفة من صفاته الجليلة التي تليق بجلاله وهي الغضب، وهي صفة فعل، نعوذ بالله من غضبه وسخطه، فإنه يغضب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويشتدّ غضبه على أعدائه، ومن تعدّ حدوده، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[النُّور: 9].

وقَولُه عز وجل: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[طه: 81] .

وقَولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: 13].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ رَحْمَتِي غلَبَتْ غَضَبِي» [4].

وفي حديث الشَّفاعةِ الطَّويل عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وفيه: «إنَّ ربِّي قدْ غضِبَ اليومَ غَضبًا لم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه، ولنْ يَغضبَ بَعدَه مِثلَه» [5].

---

1 – أخرجه البخاري (6340) بنحوه مُختصَرًا، ومسلم (2735) واللَّفظُ له.
2 – أخرجه مسلم (479).
3 – الكافية الشافية (ص: 720).
4 – أخرجه مطولاً البخاري (3194) واللفظ له، ومسلم (2751).
5 – أخرجه البخاري (4712)، ومسلم (194).

فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يُثبِتونَ صِفةَ الغَضبِ للهِ عزَّ وجلَّ على الوَجهِ الَّذي يَليقُ بجَلالِه وعَظمتِه؛ لا يُكيِّفونَ ولا يُشبِّهونَ ولا يُحرِّفونَ ولا يُؤوِّلون؛ كمَن يَقولُ: الغضبُ إرادةُ العِقابِ، ولا يُعطِّلون، بل يَقولُونَ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشُّورَىٰ: 11].

قال ابنُ أبي زيد القيرواني: «ممَّا أجمعت عليه الأئمَّةُ من أمورِ الدِّيانةِ، ومن السُّنَنِ التي خلافُها بِدعةٌ وضلالةٌ أنَّه يرضى عن الطَّائعين ويحِبُّ التَّوَّابين ويَسخَطُ على من كَفَر به ويَغضَبُ، فلا يقومُ شيءٌ لغَضَبه، وكُلُّ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بَيَّنَّاه، وكُلُّه قَولُ مالكٍ؛ فمنه منصوصٌ من قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه» [1].

وقال محمود الألوسي: «أنا أقولُ كما قال سَلَفُ الأُمَّةِ: وهو أي: الغَضَبُ صفةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لائقةٌ بجلالِ ذاتِه، لا أعلَمُ حقيقتَها،ولا كيف هي، والعَجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكٌ، والكلامُ فيه كالكلامِ في الرَّحمةِ حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ»[2].

وقال الشِّنقيطيُّ: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾[مُحَمَّدٍ: 28] أي: أغضَبَه؛ مِنَ الكُفرِ به، وطاعةِ الكُفَّارِ الكارهينَ لِما نَزَّله، والإسخاطُ: استِجلابُ السَّخَطِ، وهو الغَضَبُ هنا» [3].

---

1 -الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: 117-107).
2 - تفسير الألوسي (1/ 98).
3 -أضواء البيان (7/ 382).

تنبيه مهم، وإعلام أهم:

فسّر بعض العلماء أنّ السّخط هو الغضب، وأنّ الغضب في جانب العبد هو غليان الدم وذلك محالٌ على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والمراد به هنا هو العقاب.

فلماذا يقول هؤلاء المؤوّلون في العلم الذي أثبتوه صفة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد أحاط به جميع المخلوقات، فلهم أيضا أن يقولوا إنّ اسم العليم يحتاج صاحبه إلى نظر واستدلال، وذلك من شأن العبد فيجب عليهم أن ينزّهوه عن العلم أويؤوّلوه، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قدير، ولا يحتاج إلى مزاج وعلاج يحصل له القوة، وهو بصير ولا يحتاج إلى شحمة، وهو متكلّم ولايحتاج إلى لسان وشفتين، فكذلك غضبه لايفتقر إلى ما يفتقر إليه غضبنا، فإن قال قائل: لا أعرف الغضب إلا هكذا.

قيل له: فتأَوَّل الإرادة، فإنّ الإرادة فينا هي: ميل القلب إلى جلب ماينفعه، أودفع مايضرّه، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لايوصف بذلك.

فإن قال: إرادته ليست كإرادتنا.

قيل له: فقل في الغضب كذلك، فغضبه ليس كغضبنا، وهكذا في سائر الصفات.

والحقيقة لو أنّهم أقنعوا أنفسهم بأنّ الله له صفات تليق بجلاله، وأنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشُّورَىٰ: 11]، وأن اشتراك الألفاظ ليس بالضّرورة دالّ على التشبيه والمماثلة، لاستراحوا، أرأيت أنّك تقول: رأس الديك، ورأس الوادي، ورأس الجمل، ورأس الجبل، وتقول لسان اللّهب، ولسان القلم، ولسان الحيوان، فلماذا لايقع التشبيه في أذهاننا لأنها في عالم الشهادة الذي نعرفه فاشتركت عندنا في ألفاظها، واختلفت معانيها، فهلاّ أجرينا هذا الباب مع عدم المماثلة فنستريح ونريح.

45 - يُبْغِضُ، يَطْمِسُ الوُجوهَ،يَطْبَعُ يَقْبِضُ، يَبْسُطُ، وَيُعْطِي، يَمْنَعُ

(يبغض) فيه إثبات صفة فعلية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهي صفة البغض، في مقابلة

صفة الحبّ (يحبّ) والتي تقدّمت، فالله يبغض ماشاء من الأعيان من خلقه، وما شاء من الأفعال، فمن الأفعال التي يبغضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما ثبت عن حبيبه الصادق المخبر عنه بصفاته فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ تعالى إذا أحَبَّ عبدًا... وإذا أبغَضَ عبدًا، دعا جبريلَ، فيَقولُ: إنِّي أُبغِضُ فلانًا، فأَبغِضْه، فيُبغِضُه جبريلُ، ثمَّ يُنادي في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُبغِضُ فلانًا، فأَبغِضُوه، فيُبغِضُه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ تُوضَعُ له البَغضاءُ في الأرضِ» [1].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أحَبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجِدُها، وأبغَضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها» [2].

قال الأزهَريُّ: قال اللَّيثُ: البُغْضُ: نقيضُ الحُبِّ»[3].

قال الشِّنقيطيُّ في تفسيرِ قَولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[الأنفال: 58]: «كُلُّ شَيءٍ لا يُحِبُّه اللهُ دَلَّ على أنَّ صاحِبَه مُرتَكِبٌ جريمةً وذنبًا عظيمًا... فاللهُ جَلَّ وعلا يُبغِضُ الخائِنينَ» [4].

(يطمس الوجوه) هذه صفة من الصفات الفعلية وهي طمس الوجوه وتغييرها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[النساء: 47].

قال القرطبي: «الطمس استئصال أثر الشيء، ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[التكوير: 8] ونطمس بكسر الميم وضمّها في المستقبل لغتان، يقال: طمس الأثر وطسم أي امحّى، كلّه لغات، ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[يونس: 88]، أي أهلكها، عن ابن عرفة.

---

1 -أخرجه مسلم (2637).
2 -أخرجه مسلم (671).
3 -تهذيب اللغة (8/ 57).
4 -العذب النمير للعلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي (5/ 144).

ويقال: طمسته فطمس لازم ومتعدّ، وطمس الله بصره، وهو مطموس البصر إذا ذهب أثر العين، ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[يس: 66]، يقول أعميناهم».

قال ابن الجوزي: «في طمس الوجوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إعماء العيون، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أنه طمس ما فيها من عين، وأنف، وحاجب، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، واختيار ابن قتيبة. والثالث: أنه ردّها عن طريق الهدى، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي.

وقال مقاتل: من قبل أن نطمس وجوهاً، أي:

نحوّل الملّة عن الهدى والبصيرة. فعلى هذا القول يكون ذكر الوجه مجازاً، والمراد: البصيرة والقلوب، وعلى القولين قبله يكون المراد بالوجه: العضو المعروف» [1].

قال ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طمسها أن تزال العيون منها، وترد في القفا، فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحوّاس[2]».

«روي أنّ عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يأتي أهله، ويده على وجهه، وأسلم وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي، وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا رب آمنت، يا رب أسلمت، مخافة أن يصيبه وعيد هذه الآية»[3].

(يطبع) هذه من الصفات الفعلية للرّبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي الطّبع، أي أنه يطبع على القلوب فلاتهتدي،أي يختم عليها بحيث لا تدرك الحقّ ولا تسمعه ولا تبصره،

1 – زاد المسير لابن الجوزي (1/417).
2 –التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي (1/195).
3 – تفسير البغوي (2/231).

نعوذ بالله من الخذلان، وقد تبين لنا في كتابه أنه طبع على قلوب اليهود، وطبع على قلوب المنافقين الزنادقة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر والعداوة لدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النِّسَاء: 155].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[النَّحل: 108].

وقال في المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[مُحَمَّد:16].

وعن أبي هُرَيْرَةَ وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» [1]، والختم الطّبع.

وعن أبي الجعد يعني الضمري، وكانت له صحبة فيما زعم محمد بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه»[2].

قال الحافظ ابن عبدالبرّ رحمه الله :«والختم على القلوب مثل الطبع عليها، وهذا وعيد شديد، لأنّ من طبع على قلبه وختم عليه لم يعرف معروفا ولم ينكر منكرا»[3].

وقال النووي رحمه الله: «ومعنى الختم الطبع والتغطية، قالوا في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البَقَرَة:7] أي طبع، ومثله الرّين، فقيل: الرَّيْن اليسير من الطبع، والطّبع اليسير من الأقفال، والأقفال أشدّها.

---

1 –رواه مسلم (40 – (865).

2 – الترمذي (500) وقال الألباني حسن صحيح.

3 – الاستذكار لابن عبدالبر (2/55).

قال القاضي اختلف المتكلّمون في هذا اختلافا كثيرا، فقيل: هو إعدام اللّطف وأسباب الخير، وقيل: هو خلق الكفر في صدورهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، قال غيرهم: هو الشّهادة عليهم، وقيل: هو علامة جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلوبهم لتعرف بها الملائكة من يُمدح ومن يُذم»[1].

(يقبض، يبسط) صفتان فعليتان من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهما: القبض، والبسط، ومنهما اشتق الاسمان الكريمان له جَلَّ جَلَالُهُ: القابض،الباسط، وهما من الصفات المتقابلة، فلايذكر أحدهما إلا مع ذكر الآخر ولهما نظائر في أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المقابلة.

والبسط: هو إكثار الرزق، وإعطاء البركات.

والقبض: إقلال الرزق، وإمساكه.

قال الزجاجي: «أصل القبض: ضم الشيء المنبسط من أطرافه، فيقبضه القابض إليه أوَّلًا أوَّلًا حتى يحوزه ويجمعه.

والبسط: نشر الشّيء المجتمع أو المنضمّ أو المطوي؛ فمن قبض رزقه فقد ضيق عليه، ومن بسط رزقه فقد فسح له فيه ووسع عليه»[2].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البَقَرَة: 245]، والقبض والبسط هو معنى ماذكر في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[فَاطِر: 2].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ اللهَ هو المُسَعِّرُ القابِضُ الباسِطُ الرَّازِقُ، إنِّي لأرجو أن ألقى رَبِّي وليس أَحَدٌ يَطْلُبُني بمَظْلَمةٍ في دَمٍ ولا مالٍ» [3].

قال الزَّجَّاجُ: «القابِضُ الباسِطُ: الأدَبُ في هذينِ الاسمينِ أن يُذكَرَا معًا؛ لأنَّ

---

1 –شرح مسلم للإمام النووي (6/153).

2 – اشتقاق أسماء الله (ص: 97)

3 – أخرجه أبو داود (3451)، والترمذي (1314)، وابن ماجه (2200) واللفظ له. صححه الترمذي، وابن حبان في (صحيحه) (4935)، وابن دقيق العيد في (الاقتراح) (ص113).

تمامَ القُدرةِ بذِكْرِهما معًا؛ ألا ترى أنَّك إذا قُلْتَ إلى فُلانٍ: قَبَض أمري وبَسَطَه، دَلَّا بمجموعِهما أنَّكَ تريدُ أنَّ جميعَ أمرِك إليه، وتقولُ: ليس إليك من أمري بَسطٌ ولا قَبضٌ، ولا حَلٌّ ولا عَقدٌ؛ أراد: ليس إليك منه شَيءٌ»[1].

وقال الخطابي: «القابض الباسط: قد يحسن في مثل هذين الاسمين أن يقرن أحدهما في الذكر بالآخر، وأن يوصل به فيكون ذلك أنبأ عن القدرة، وأدل على الحكمة، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة: 245]، وإذا ذكرت القابض مفردا عن الباسط كنت كأنّك قد قصرت بالصفة على المنع والحرمان.

وإذا أوصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصّفتين منبئا عن وجه الحكمة فيهما؛ فالقابض الباسط: هو الذي يوسع الرّزق ويقتره، ويبسطه بجوده ورحمته، ويقبضه بحكمته على النظر لعبده، كقوله: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾[الشورى: 27]، فإذا زاده لم يزده سرفا وخرقا، وإذا نقصه لم ينقصه عدما ولا بخلا. وقيل: القابض هو الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد»[2].

ومن عرف الله أنه القابض والباسط، رأى القبض عدلا منه فيصبر، والبسط فضلا منه فيشكر عليه.

(ويعطي يمنع) وهاتان صفتان فعليتان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من الصفات الفعلية المتقابلة، ومنهما اشتق الاسمان الكريمان، المعطي[3]، المانع.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: 1].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: 50].

ومن حديثُ معاويةَ بنِ أبي سُفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في

---

1 -تفسير أسماء الله الحسنى (ص: 40).

2 - شأن الدعاء (ص: 57).

3 - ممن أثبت اسم المعطي: وممَّن أَثبَتَ اسمَ (المُعْطِي) للهِ عزَّ وجلَّ: ابنُ حَزم في (المحلى) (6/282)، والبيهقيُّ في الأسماء والصفات (1/190). والقرطبيُّ في الأسنى في شرح أسماء اللهِ الحسنى (1/355). وابنُ القيِّمِ في الكافية الشافية (3/741)، والسَّعْديُّ في تفسيره (5/303).

الدِّينِ، وإنَّما أنا قاسِمٌ، ويُعطِي اللهُ» [1]، وفي روايةٍ عند البخاريِّ: «والله المُعطِي وأنا القاسِمُ» [2].

وعن المُغِيرةَ بنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرفوعًا: «اللَّهُمَّ لا مانعَ لِمَا أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» [3].

قال الحليميُّ: «ومنها المُعطي والمانِعُ، فالمُعطي: هو المَمَكِّنُ مِن نِعَمِه، والمانِعُ: هو الحائِلُ دونَ نِعَمِه، ولا يُدعى اللهُ باسمِ المانِعِ حتى يُقالَ عنه المُعطي، كما قُلتُ في: الضَّارِّ والنَّافِع» [4].

وقال ابنُ منظورٍ: «المانعُ: من صِفاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له مَعنيانِ:

أحدُهما: ما رُوِيَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اللهُمَّ لا مانعَ لِمَا أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لِمَا منعْتَ»، فكان عزَّ وجلَّ يُعطِي مَنِ استحقَّ العطاءَ، ويمنعُ مَن لم يستحِقَّ إِلَّا المنعَ، ويُعطي مَن يشاءُ، ويمنع مَن يَشاءُ، وهو العادلُ في جميعِ ذلك.

والمعنَى الثَّاني: أنَّه تبارَكَ وتَعالَى يمنعُ أهلَ دِينِهِ، أي: يَحُوطُهم ويَنصُرُهم، وقيل: يمنعُ مَن يُريدُ مِنْ خَلْقِهِ ما يُريدُ، ويُعطيه ما يُريدُ. ومِنْ هذا يُقال: فلانٌ في مَنَعَةٍ، أي: في قوم يمنعونَه ويَحْمُونَه، وهذا المعنَى في صِفةِ اللهِ جَلَّجَلَالُهُ بالغٌ؛ إذ لا مَنَعَةَ لِمَن لم يَمنعْه اللهُ، ولا يَمتنعُ مَن لم يكنِ اللهُ له مانعًا» [5].

46 - يخفض، يرفع، يُعِزُّ، ويُذِلُّ يَكْرَهُ، يَمْقُتُ، وَيَهْدِي، وَيُضِلُّ

(يخفض يرفع) وهاتان صفتان فعليتان من صفات الباري واشتقّ منهما اسمان عظيمان وهما: (الخافض، الرافع) «فهو الذي يخفض القسط، ويرفعه، أو يخفض الكفار بالخِزيّ، والصَّغار، ويرفع المؤمنين بالنّصر، والإعزار، أو يخفض أعداءه بالإبعاد،

1 - أخرجه البخاري (7312) مطولاً، ومسلم (1037).
2 - رواها البخاري (3116) مطولاً.
3 - أخرجه البخاري (844)، ومسلم (593).
4 - المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن الحليمي أبو عبد الله (1/ 206).
5 - لسان العرب لابن منظور (6/4276).

ويرفع أولياءه بالتقريب، والإسعاد، أو يخفض أهل الشقاء بالطبع، والإضلال، ويرفع ذوي السَّعادة بالتوفيق، والإرشاد»[1].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يُوسُفَ: 76]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[آلِ عِمْرَانَ: 26].

فإعطاؤه عبده الملك، رفع له، ونزعه الملك ممن يشاء خفض له.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «إنّ يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاءَ اللّيل والنّهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السّماوات والأرض، فإنّه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض، يرفع ويخفض»[2].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى العَضْبَاءَ، لاَ تُسْبَقُ – قَالَ حُمَيْدٌ: أَوْ لاَ تَكَادُ تُسْبَقُ – فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»[3].

وعن سَعِيد بْنِ الْمُسَيِّب، يَقُولُ: «إِنَّ الْقَصْوَاءَ نَاقَةَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تَسْبِقُ كُلَّمَا وَقَعَتْ فِي سِبَاقٍ، فَوَقَعَتْ يَوْمًا فِي إِبِلٍ، فَسُبِقَتْ، فَكَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَآبَةٌ أَنْ سُبِقَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَفَعُوا شَيْئًا، أَوْ أَرَادُوا رَفْعَ شَيْءٍ وَضَعَه اللَّهُ»[4]، (وضعه) خفضه وأذله.

(يُعِزُّ، ويُذِلُّ) هاتان صفتان من الصفات العلية المتقابلة، ثابتة بالكتاب والسنة، و«العزيز» و«الأعز» من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعنى العزة: المنعة والغلبة بيده يعز من يشاء، والذلة بيده يذل من يشاء

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آلِ عِمْرَانَ: 26].

---

1 – كتاب قوت المغتذي على جامع الترمذي (1/904) الجلال السيوطي.
2 – أخرجه البخاري (7419)، ومسلم في (الصحيح) كتاب (الزكاة) ص (37).
3 – البخاري (2872).
4 – مالك في الموطأ (861).

قال البغويّ: «قال عطاء تعز من تشاء: المهاجرين والأنصار وتذلّ من تشاء: فارس والروم، وقيل تعزّ من تشاء محمدا ﷺ وأصحابه حتى دخلوا مكّة في عشرة آلاف ظاهرين عليها، وتذلّ من تشاء: أبا جهل وأصحابه حتى حزت رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل تعز من تشاء بالإيمان والهداية، وتذل من تشاء بالكفر والضلالة، وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية، وقيل تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر، وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر، وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع» [1].

وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البَقَرَة: 129]، وقَولُه: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النِّسَاء: 139]،وقوله جل في علاه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المُنَافِقُون: 8].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «العزّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته» [2].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بعِزَّتك» [3].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لا تزالُ جهنَّمُ تقولُ: هل مِنْ مزيدٍ؟ حتى يَضعَ ربُّ العِزَّةِ فيها قَدَمَه، فتقول: قَطْ قَطْ وعِزَّتِكَ، ويُزْوَى بعضُها إلى بعضٍ» [4].

قال الخَطَّابيُّ: «العزيزُ: هو المنيعُ الذي لا يُغلَبُ. والعِزُّ في كلامِ العَرَبِ على ثلاثةِ أوجُهٍ:

أحَدُها: بمعنى الغَلَبةِ، ومنه قَولُهم: «من عَزَّ بَزَّ» أي: من غَلَب سَلَب، يُقالُ منه: عَزَّ يَعُزُّ -بضَمِّ العينِ مِن يَعُزُّ-، ومنه قَولُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: 24].

والثَّاني: بمعنى الشِّدَّةِ والقُوَّةِ، يقالُ منه: عَزَّ يَعَزُّ -بفتح العين من يَعَزُّ- كقَولِ الهُذَلِيِّ يَصِفُ العُقابَ:

---

1 -تفسير البغوي (2/24).
2 - أخرجه مسلم (2620).
3 - أخرجه مطولاً البخاري (7383)، ومسلم (2717) واللفظ له.
4 - أخرجه البخاري (6661) واللفظ له، ومسلم (2848).

حتى انتَهَيتُ إلى فِراشِ عَزيزةٍ سوداءَ رَوثةُ أنْفِها كالمِخصَفِ

جعَلَها عزيزةً؛ لأنَّها مِن أقوى جوارحِ الطَّيرِ.

والوَجهُ الثَّالثُ: أن يكونَ بمعنى نَفاسةِ القَدْرِ. يُقالُ منه: عَزَّ الشَّيءُ يَعِزُّ -بكَسرِ العَينِ مِن يَعِزُّ- فيُتأوَّلُ معنى العزيزِ على هذا أنَّه الذي لا يُعادِلُه شيءٌ، وأنَّه لا مِثلَ له، ولا نظيرَ. واللهُ أعلَمُ»[1].

(يكره، يمقت) من الصفات الفعلية أنّ الله يكره، والكراهة أشدّها المقت، فالمقت درجة من درجات الكراهة، والكراهة ضد الحب، وقد ثبتت في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن ذم خصالا يكرهها قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[الإسراء: 38]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[التوبة: 46]، قال ابن كثير: «﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: أبغض أن يخرجوا معك قدرا، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: أخرهم، ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ أي: قدرا»[2].

وكل ما لايحبّه الله فإنّه يكرهه، وقد جاء كثيرا في القرءان، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة 190].

وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: 32].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء: 36].

ومن الأحاديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ

1 - شأن الدعاء للخطابي (ص: 47).

2 - تفسير ابن كثير (4/159).

سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

وعن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أن مُعَاوِيَة كتب إليه: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ».[2]

وأما المقت وهو شدة الكراهية، قال ابن الأثير: «المقت في الأصل: أشد البغض»[3].

وقال الأزهري: «مقت: قال الله جل وعز: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[غَافِر: 10]».

قال قتادة: يقول: لمقت الله إياكم حين دعيتم إلى الإيمان فلم تؤمنوا أكبر من مقتكم أنفسكم حين رأيتم العذاب.

وقال اللّيث: المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت، وقد مقت إلى الناس مقاتة، ومقته الناس مقتا فهو ممقوت.

وقال الزّجاج في قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[النِّسَاء: 22].

قال: المقت أشدّ البغض. والمعنى: أنّهم علموا أنّ ذلك في الجاهلية كان يقال له: مقت، وكان المولود عليه يقال له: المقتي، فأعلموا أن هذا الذي حرم عليهم من نكاح امرأة الأب لم يزل منكرا في قلوبهم، ممقوتا عندهم»[4].

(ويهدي ويضل) الهداية والإضلال صفتان من الصفات المتقبلة، والهداية هدايتان: هداية توفيق وهي المقصودة هنا والتي لايقدر عليها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

1 – البخاري (6502).
2 – البخاري (1477).
3 – غريب الحديث لابن الأثير (4/ 346).
4 –تهذيب اللغة للأزهري (9/709).

ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[القصص: 56]، وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: 6]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام: 125].

وأما الثانية: وهي هداية دلالة وإرشاد وهي التي يمكن أن تصدر عن المخلوق، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: 52]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[فصلت: 17].

وفي الحديث القُدسيّ المشهور؛ حديثُ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عز وجل: «يا عِبادِي، كلُّكم ضالٌّ إلَّا مَن هَديتُه؛ فاستَهْدُوني أَهْدِكُم»[1].

وعن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ:«اللهمَّ اغفِرْ لي، وارْحَمْني، واهْدِني،وارْزُقْني»[2].

قال الزَّجَّاجُ: «الهادي هو الذي هدى خَلْقَه إلى مَعرِفتِه ورُبوبيَّتِه، وهو الذي هدى عِبادَه إلى صراطِه المستقيم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: 142]»[3].

(ويضلّ) من الضّلال وهو البعد عن الصراط المستقيم، قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[النساء: 88].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[النساء: 143].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ

1 – أخرجه مسلم (2577).
2 – أخرجه مسلم (2696).
3 – تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: 64).

ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الأنعام: 39].

قال ابنُ جرير: «الهدايةُ والإضلالُ بيَدِ اللهِ، والمهتدي وهو السَّالِكُ سَبيلَ الحَقِّ الرَّاكِبُ قَصْدَ المحجَّةِ في دينه مَن هداه اللهُ لذلك، فوفَّقه لإصابتِه، والضَّالُّ من خذله اللهُ فلم يوفِّقْه لطاعتِه، ومن فعل اللهُ ذلك به فهو الخاسِرُ: يعني الهالِكَ»[1].

وقال ابنُ القَيِّم: «قد اتَّفقت رسُلُ اللهِ، من أوَّلِهم إلى آخِرِهم، وكُتُبُه المنَزَّلةُ عليهم، على أنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُضِلُّ من يشاءُ، ويهدي من يشاءُ، وأنَّه من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادِيَ له، وأنَّ الهدى والإضلالَ بيَدِه لا بيَدِ العَبدِ، وأنَّ العبدَ هو الضَّالُّ أو المهتدي؛ فالهدايةُ والإضلالُ فِعْلُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقَدَرُه، والاهتداءُ والضَّلالُ فِعلُ العَبدِ وكَسْبُه»[2].

ومن الملحوظ اقتران الضلال باتباع الهوى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾[الجاثية:23]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾[القصص: 50].

ولذا: فمن أعظم مطالب المؤمنين الهداية إلى صراط الذين أنعم الله عليهم، والنّجاة من طريق المغضوب عليهم المتّبعين لأهوائهم والضّالّين عن الحقّ.

سئل أحد الحكماء عن الهوى، فقال: هوانٌ سُرقت نونه، فأخذ ذلك شاعر فصاغه بقوله:

نون الهَوَانِ من الهوى مَسْرُوقة فإذا هَوَيْتَ فقد لقيت هَوَانا

ويقول سهل بن عبد الله التستري: «هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك».

وقال وهب: «إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما، فانظر أبعدهما من هواك فأته».

47 - يُقْبِلُ، يُعْرِضُ، يَتُوبُ، يَرْحَمُ يأخذُ منَّا الصَّدَقَاتِ يُطْعِمُ

1 - تفسير ابن جرير (10/ 590).
2 - شفاء العليل لابن القيم (ص: 179).

48 - وَلَيْسَ يُطْعَمُ، ولـــنْ ينَالَهْ لحُـوُمُ أو دِمَاءُ مَايُهْدَى لَهْ

(يقبل، يعرض) هاتان من الصفات الفعلية المتقابلة، والإقبال: (أقبل) عليه بوجهه و(المقابلة) المواجهة (مختار الصحاح).

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «لا يَزالُ اللهُ عزَّ وجلَّ مُقبِلاً على العبدِ في صَلاتِه ما لم يَلتفِتْ، فإذا صَرَفَ وجهَه انصَرَفَ» [1].

وفي حديث الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ:... وفيه.... وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا»[2].

وقوله ﷺ: «إنّ الله قِبَلَ وجهه إذا صلّى»[3]، قال ابن رجب: «ومن فهم من شيءٍ من هذه النصوص تشبيهاً أو حُلولاً أو اتِّحاداً، فإنّما أُتِيَ من جهله، وسُوء فهمه عن الله ورسوله - ﷺ -، والله ورسولُه بريئانِ من ذلك كلِّه، فسبحانَ مَنْ ليسَ كمثله شيءٌ، وهو السَّميعُ البصيرُ»[4].

قوله: «وإنّ الله أمركم بالصلاة» أي: فرضها عليكم،«فإذا صلّيتم فلا تلتفتوا» أي: فلا تتحولّوا بوجوهكم عن جهة القبلة أثناء الصّلاة، «فإنّ الله يَنْصِبُ وجهه لوجه

1 - أخرجه أبوداود(909) وسكت عنه، قال شيخنا شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار(1428) صحيح.

2 - أحمد في المسند (17170)، والحديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل موسى بن خلف- وهو العَمِّي- فهو صدوق حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (3427)، وابن الأثير في «أسد الغابة» 1/383 من طريقين عن موسى بن خلف، بهذا الإسناد. وأخرجه مطولاً ومختصراً الطيالسي (1161) و (1162)، وابن سعد 4/359، والترمذي (2863) و (2864)، وأبو يعلى (1571)، وابن خزيمة في «صحيحه» (1895)، وفي «التوحيد» ص 15، وابن حبان (6233)

3 - أخرجه: مالك في « الموطأ » (522) برواية يحيى الليثي، وأحمد 2/66، والبخاري 1/112 (406)، ومسلم 2/75 (547) (50)، وأبو داود (479) والنسائي 2/51، وأبو عوانة 1/336 و337، والبيهقي 2/293، والبغوي (494) من حديث عبد الله بن عمر، به.

4 - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم(1/134)لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)/تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور/الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع/الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م.

عبده في صلاته» أي: يقابل بوجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفة الوجه ثابتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرَّحْمَٰن: 27]، وهي صفة كمال كما يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس كمثله شيء، والواجب هو الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة دون تكييف أو تمثيل، أوتحريف أو تعطيل.

«ما لم يلتفت»، أي: يقبل الله على عبده المصلّي ما دام العبد خاشعا، فإذا التفت زال الخشوع وأعرض الله عنه؛ لأن الوقوف بين يدي الملك يقتضي المداومة على التّبجيل والتّقديس.

ينصب وجهه أي: يتوجّه إلى عبده، كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(يعرض) كما في حديث الثلاثة، فعن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ بيْنَما هو جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ معهُ إذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فأَقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وذَهَبَ واحِدٌ، قالَ: فَوَقَفَا علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فأمَّا أحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأَمَّا الثَّالِثُ: فأدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ قالَ: ألَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ فأوَى إلى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ منه، وأَمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللَّهُ عنْه»[1].

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «فإنه والله أعلم أراد أعرض عن عمل البِرِّ فأعرض الله عنه بالثواب»[2].

قال ابن بطال رحمه الله: «في الحديث أنّ من قصد العلم ومجالسه، ثمّ أعرض عنها، فإنّ الله يعرض عنه، ومن أعرض الله عنه فقد تعرض لسخطه، ألا ترى قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[الأَعْرَاف: 175]، وهذا انسلخ من إيواء الله بإعراضه عنه»[3].

قال شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي: وإقبال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عبده إنما يكون بحسب اقتراب العبد منه, ولذلك قال: «فإن أتاني يمشي أتيته

1 – البخاري(66).
2 –التمهيد (1/316).
3 – شرح ابن بطال على البخاري (1/148).

هرولة»[1] هذا هو الإقبال، ويكون أيضا بحسب إتقانه لعمله الصالح الذي يعمله، كما صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت أعرض عنه، وقال: يا ابن آدم! إلى من تلتفت وأنا خير مما التفت إليه» فالإقبال هنا يقابله الإعراض، وإقباله مقتض لرحمته وعنايته وحفظه ورعايته، وإعراضه مقتض لتعرض الإنسان لسخطه ومقته، ولذلك فإنّ نظره هو من جنس إقباله، فنظره بعين الرّحمة يحصل به كلّ مقتضيات الرحمة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أنّ من لا يرتضيهم لا ينظر إليهم، وقد أخبر عن كثير من الناس يوم القيامة أنه لا ينظر إليهم ولا يزكيهم كما في قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[آل عمران: 77].

والمقصود هنا: لا ينظر إليهم بهذه النّظرة، أي: نظرة الإقبال التي تقتضي الرّحمة.

أما النظر الذي يقصد به العلم والإحاطة والبصر، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مبصر لكل الكائنات، لا تخفي منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا يمكن أن يحتجب عنه أي شي، فهو يرى كل شي، لكن النظر بعين رحمته هو الذي يختص به أهل الإيمان والمحبة، والنظر بعين السخط -نسأل الله السلامة والعافية- هو لأهل الكفر والشقاوة. اهـ[2].

وهاتان الصفتان (يقبل ويعرض) لم يرد اشتقاق اسم منهما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(يتوب) قال اللّيث: تاب الرّجل إلى الله يتوب توبة ومتابا، والله التواب يتوب على عبده، والعبد تائب إلى الله، وقال الله جل وعز:﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غَافِر: 3]، أراد التوبة، قلت: أصل تاب عاد إلى الله ورجع وأناب وتاب الله عليه، أي عاد عليه بالمغفرة،»[3].

إن من صفات الباري جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، وعلت صفاته- الفعلية التوبة على عباده، وقد اشتق منها اسمه الكريم: التوّاب، فتوبته على العبد هو تيسير التوبة له، ثم توبته عليه بعد رجوع العبد وقبولها منه، فتكون بذلك ثلاث توبات أوسطها

---

1 - أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675) من حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
2 - وسيلة الزلفى في شرح منظومة مجمل الاعتقاد(80).
3 - تهذيب اللغة للأزهري (14/236 مادة: تاب).

للعبد، وطرفاها للتواب الرحيم، ولذلك قال الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: 117]. فالتوبة توبتان من عند الله، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[الشورى: 25]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: 27].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تابَ قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبها، تاب اللهُ عليه»[1].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «لو أنَّ لابن آدَمَ واديًا من ذَهَبٍ أحَبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاهُ إلَّا التُّرابُ، ويتوب الله على مَنْ تاب»[2].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «إن الله عز وجل يبسُط يدَه بالليل؛ ليتُوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يدَهُ بالنهار؛ ليتُوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبها»[3].

(يرحم) من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرحمة، وقد اشتق منها اسمان كريمان وهما: الرحمن الرحيم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرحم الراحمين، فقد سبقت رحمته غضبه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54]، وقال: ورحمتي وسعت كل شيء، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[الكهف: 58].

قال الزَّجَّاجُ: «الرَّحمنُ والرَّحيمُ اسمانِ رقيقانِ وأحَدُهما أرَقُّ من الآخَرِ، الرَّحمنُ يختَصُّ باللهِ تعالى، ولا يجوزُ إطلاقُه في غيرِه، وقال بعضُ أهلِ التفسيرِ: الرَّحمنُ الذي رَحِمَ كافَّةَ خَلْقِه بأن خَلَقَهم، وأوسَعَ عليهم في رِزْقِهم، والرَّحيمُ خاصٌّ في رحمتِه لعبادِه المؤمِنينَ بأن هداهم إلى الإيمانِ، وهو يثيبُهم في الآخِرةِ الثَّوابَ الدَّائِمَ الذي لا ينقَطِعُ»[4].

---

1 – رواه مسلم (2703).
2 – رواه البخاري (6439).
3 – رواه مسلم (2759).
4 – تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: 28).

وإن من أعظم الأحاديث، الحديث المسلسل بالرّحمة، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله» [1].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خلَقَ اللهُ الخَلْقَ، كتَب في كِتابٍ، فهو عندَه فوقَ العرشِ: إنَّ رَحْمَتي تغلِبُ أو: غلَبَتْ غضَبي» [2].

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» [3].

فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذو الرَّحمةِ التي لم يَزَلْ مُتَّصِفًا بها، وهي لازمةٌ لذَاتِه، وهو ذو رحمةٍ يَرحَمُ بها مَن يَشاءُ؛ فالأُولى هِي الصِّفةُ الذَّاتيَّة، والثَّانيةُ هي الصِّفةُ الفِعليَّةُ، وكِلاهما قائمٌ بذاتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(يأخذ منا الصّدقات): من كرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يعطينا ويأخذ منا ويجزينا، ما أكرمه! ما أعظمه! ما أحلمه! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كريم، يحبب لنا البر، ويبغِّضنا في الفسوق والعصيان، فاللهم لك الحمد على ما أعطيت ولك الحمد على ما أوليت لانحصي ثناء لك، أنت كما أثنيت على نفسك.

الصدقات: جمع صدقة وهي مايتصدق به المسلم في وجوه الخير.

فأخْذُ الله الصدقات منَّا، صفة فعلية من صفات الكريم الجواد، أي قبولها من العباد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة: 104]. قال السمعاني في تفسيره: «﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ مَعْنَاهُ: يقبل الصَّدقَات. وَقَالَ بعض أهل الْمَعَانِي قَوْله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ هُوَ بِمَعْنى الْأَمر؛ كَأَنَّهُ قَالَ: اعلموا أَنّ الله هُوَ يقبل التَّوْبَة عَن عباده» [4].

---

1 – رواه الترمذي (1924) وقال:: هذا حديث حسن صحيح.
2 – أخرجه البخاري (3194)، ومسلم (2751).
3 – البخاري (600) ومسلم (2752).
4 – تفسير السمعاني (2/346).

وقال البيضاويّ: «وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله»[1].

و عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»[2]، والفَلُوُّ، ولد الفرس؛ والفصيل: ولد النّاقة.

وفيه أنَّ الله عزّ وجلّ إنّما يقبل من الصّدقات ما طاب كسبه، وأريد به وجهه، والكسب الطيب هو: الحلال المحض[3].

وتنميتها تكثير حسناتها ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام: 160].

(يُطْعِمُ، وليس يُطْعَمُ) هذه الصفة وردت بوجه الإيجاب تارة، وبوجه السّلب أخرى، وهي من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾[الأنعام: 14]، فبالإيجاب أنّه يطعم الخلائق جميعا، ويرزقهم كافّة، مؤمنهم وكافرهم، إنسيهم وجنيهم، وكل دابة تدبّ إلا وهو ضامن لها رزقها، لأنهم محتاجون لذلك، وبالسلب لأنه الأوّل الغني فلايُطعم، لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لايحتاج إلى مايحتاج إليه الحادث الفقير الذي لاتقوم حياته إلا بالطعام والشراب والنفس، قال القشيري رحمه الله: «له نعت الكرم فلذلك يُطْعِم، وله حقّ القدم فلذلك لا يُطعم»[4].

وقال البغوي في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾ أي: وهو يرزق ولا يرزق، كما قال: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: 57].

قال الشنقيطي: «وهو جلّ وعلا لا يأكل،لأنه لايحتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوق من الغذاء، لأنه جلّ وعلا الغنيّ لذاته، الغنى المطلق، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علوا كبيرا»[5].

1 – تفسير البيضاوي (3/96).
2 –رواه البخاري (1410). مسلم (63 – (1014)
3 –التمهيد لابن عبدالبر (23/173).
4 –تفسير القشيري (1/463).
5 – أضواء البيان (1/474).

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هُوْدٍ: 6].

وفي الحديث القدسي المتقدم «ياعبادي كلكم جائع إلاّ من أطعمته فاستطعموني أُطْعِمْكُم» [1].

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «(كلّكم جائع) إلى آخره يعني أنه خلق الخلق كلّهم ذوي فقر إلى الطّعام، فكل طاعم كان جائعا حتّى يطعمه الله بسوق الرّزق إليه، وتصحيح الآلات التي هيأها له، فلا يظن ذو الثروة أنّ الرّزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إيّاه أحد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه أيضاً أدب للفقراء كأنه قال: لاتطلبوا الطّعام من غيري فإنّ هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم (فاستطعموني أطعمكم) وكذلك ما بعده» [2].

(ولن يناله لحوم أو دماء مايهدى) هذه من الصّفات السلبية المنفية عن جلال الله وعظمته وغناه، ولذلك لاينبغي للعبد المتقرّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادات، وأنواع الهدايا، والطاعات أن يعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سينتفع به، حاشاه هو الغني عن كل خلقه وقد قال في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي» [3]، فلايعود نفع هذه العبادات إلا على العبد الضعيف الفقير إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي كلام الشيخ رحمه الله إشارة إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الْحَجِّ: 37]. وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، ويعقوب: ﴿لَن تَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ بالتاء ﴿وَلَٰكِن تَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بالتاء أيضاً.

---

1 – أخرجه مسلم (2577).

2 – شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية(89) للإمام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: 702هـ)/الناشر: مؤسسة الريان/الطبعة: السادسة 1424 هـ – 2003 م

3 – رواه مسلم (55 – (2577).

قال ابن جزيّ الغرناطيّ رحمه الله: «لن تصلوا إلى رضا الله باللّحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى أي بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: ينال مبالغة وتأكيدا، لأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما تصل بالتقوى منكم، فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب، وقيل: كان أهل الجاهلية يضرّجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية كَذَلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ كرر للتأكيد لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ قيل: يعني قول الذابح: بسم الله والله أكبر، واللفظ أعم من ذلك» [1].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «لن تُرفع إلى الله لحومُها ولا دماؤها، وإنما يُرفع إليه التقوى وهو ما أُريدَ به وجهُه منكم، فمن قرأ ﴿تَنَالُهُ﴾ بالتاء فإنه أنث للفظ التقوى ومن قرأ ﴿يَنَالُهُ﴾ بالياء، فلأن التقوى والتُّقى واحد؛ والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللّحوم والدِّماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يتقبل ما يتّقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عَرِيَتْ عن نيَّةٍ صحيحة»[2].

49 - لا تُدْرِكُ الأبْصَارُ مِنهُ الكُنْهَا وَهْوَ الذِي يُدْرِكُ ذاكَ مِنهَا

(لاتدرك الأبصار) أي لاتدرك أبصار عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (منه الكنها) أي حقيقته، والكنه: الحقيقة، صفة الإدراك جاءت بالسّلب في حقّ العبيد، وبالإيجاب في حقّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام: 103].

قال ابن الوزير اليماني: «وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قال أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأنّ المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، وإلا لكان المعدوم ممدوحا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علما، فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحا وصفة كمال.

1 - التسهيل لابن جزي (2/-41-40) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي/الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت/الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
2 - زاد المسير لابن الجوزي (2/239).

وإذا تأملت وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه؛ فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلها محمودا، بل ولا موجودا، وكذلك من شاركهم في بعض ذلك، كالذين قالوا: إنه لا يتكلم ولا يُرى، أو ليس فوق العالم، أو لم يستو على العرش، ويقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين للعالم ولا محايث له؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست هي مستلزمة صفة ثبوت؛ ولهذا قيل لمن ادعى ذلك في الخالق: ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته، وبين المعدوم»[1].

قال في التحرير والتنوير: «جملة ابتدائية لإفادة عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسعة علمه، فلعظمته جل عن أن يحيط به شيء من أبصار المخلوقين، وذلك تعريض بانتفاء الإلهية عن الأصنام التي هي أجسام محدودة محصورة متحيزة، فكونها مدركة بالأبصار من سمات المحدثات لا يليق بالإلهية ولو كانت آلهة لكانت محتجبة عن الأبصار.

والإدراك حقيقته الوصول إلى المطلوب، فإن عدم إحاطة الأبصار بالشيء يكون من عظمته فلا تطيقه الأبصار، فعموم النكرة في سياق النفي يدل على انتفاء أن يدركه شيء من أبصار المبصرين في الدنيا كما هو السياق.

ولا دلالة في هذه الآية على انتفاء أن يكون الله يُرَى في الآخرة، كما تمسك به نفاة الرؤية، وهم المعتزلة لأن لأمور الآخرة أحوالا لا تجري على متعارفنا، وأحرى أن لا دلالة فيها على جواز رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآخرة. ومن حاول ذلك فقد تكلف ما لا يتم كما صنع الفخر في (تفسيره)»[2].

فمعنى البيت: أن أبصار المخلوقين لاتحيط رؤيتها بالله جَلَّ جَلَالُهُ يوم القيامة فهو الكبير المتعال، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدرك أي يحيط بجميع المبصرات، لايخفى عليه شيء منها، وهو اللطيف الخبير.

وتعبير القرءان بهذا الاسم (اللطيف) له معنيان عظيمان:

الأول: أن الله يعلم دقائق الأمور وخفاياها، وما في الضمائر والصدور.

---

1 – العواصم والقواصم لابن الوزير (4/ 134).

2 – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للعلامة الطاهر بن عاشور (405–404/7)/ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس/ سنة النشر: 1984 هـ.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي شارحاً معنى هذا الاسم: «الذي لَطُفَ علمه حتى أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور»[1].

المعنى الثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحسن إلى عباده من حيث لا يحتسبون.

قال الزجاج: «وَهُوَ فِي وصف الله يُفِيد أَنه المحسن إِلَى عباده فِي خَفَاء وَستر من حَيْثُ لَا يعلمُونَ، ويسبب لَهُم أَسبَاب معيشتهم من حَيْثُ لَا يحتسبون»[2].

فإذا يسر الله لعبده طريق الخير وأعانه عليه: فقد لطف به، وإذا دفع عنه السوء والمكروه: فقد لطف به.

وإذا هداه من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي، إلى نور العلم والإيمان والطاعة: فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد: فقد لطف به.

فمن لطفه: أن يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر العبد بها، ويسوق إليه من الرّزق ما لا يدريه، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدّرجات، وأرفع المنازل.

50 - يَغَارُ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدٌ أَوْ أَمَهْ لهُ، وَيسْتَحْيِي - عَلاَ -، مَا أَكْرَمهْ!

(يغار) فيه إثبات صفة الغيرة لله على مايليق بجلاله، وهذه الصفة من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله»[3].

وعن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ انه قال: «أتعجبون من غيرة سعد؟! فوالله لأنا أغير، والله أغير منّي؛ من أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله» [4].

---

1 - «تفسير أسماء الله الحسنى» للسعدي (ص: 225).
2 - «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج (ص: 44).
3 - أخرجه البخاري (5223) واللفظ له، ومسلم (2761).
4 - أخرجه البخاري (7416)، ومسلم (1499) واللفظ له.

قال أبو يعلى الفراء -بعد ذكر الحديثين السابقين-: «اعلم أنّ الكلام في هذا الخبر في فصلين:

أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثاني: في إطلاق الشخص.

أما الغيرة فغير ممتنع إطلاقها عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأن الغيرة هي الكراهيّة للشيء،وذلك جائز في صفاته؛قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾[التوبة: 46]».

وغيرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ممّا تتجلى فيه هو أن يتعدّى عبده المؤمن أو أمته المسلمة حدوده كتحريم الزنا فيقع المسلم في ذلك،كما في لفظ عند مسلم «وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ»[1]، فيغار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (أن يزني عبد) من عبيده (أو أمة له) من إيمائه ففي الصّحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «يا أمة محمد، والله ما أحدٌ أغيرُ من الله أن يزني عبدُه أو تزني أمتُه»[2].

قال البخاري رحمه الله: (باب قول النبي ﷺ: «لا شخصَ أغيرُ من الله»[3].

قال ابن القيم رحمه الله: « إن الغيرة تتضمن البغض والكراهة، فأخبر أنه لا أحد أغير منه، وأن من غيرته حرم الفواحش، ولا أحد أحبّ إليه المدحة منه، والغيرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية؛ كالحياء والفرح، والغضب والسخط، والمقت والكراهية؛ فيستحيل وصفه عندهم بذلك، ومعلوم أنّ هذه الصّفات من صفات الكمال المحمودة عقلا وشرعا، وعرفا وفطرة، وأضدادها مذمومة عقلا وشرعا، وعرفا وفطرة؛ فإنّ الذي لا يغار بل تستوي عنده الفاحشة وتركها: مذموم غاية الذّمّ، مستحقّ للذّمّ القبيح»[4].

---

1 - رواه مسلم (36 - (2761) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2 - أخرجه مطولا البخاري (1044) واللفظ له، ومسلم (901)

3 - البخاري كتاب التوحيد، باب 20.

4 - الصواعق المرسلة لابن القيم (4/1497). وينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/119)، (4/181)؛ حيث نقل كلام شيخ الحرمين الكرجي في إثبات جملة من صفات الله عزّ وجلّ، منها صفة (الغيرة).

قال علي ملا القاري رحمه الله: «والغيرة في الأصل كراهة شركة الغير في حقه، وغيرة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كراهة مخالفة أمره ونهيه. (أن يزني): متعلق بأغير أي: على أن يزني. (عبده أو تزني أمته) أي: على زنا عبده أو أمته، فإن غيرته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكراهيته ذلك أشد من غيرتكم وكراهيتكم على زنا عبدكم وأمتكم» [1].

العبد: تقدم بيانه في المقدمة.

الأَمَةُ: في اللغة: المرأة المملوكة وذات العبودية وهي خلاف الحرّة؛ ولكن المقصود بها في الحديث: كلّ امرأة سواء كانت حرّة أو خادمًا مستعبدَة.

(ويستحيي -علا- ما أكرمه) فيه إثبات صفة الاستحياء لله جَلَّجَلَالُهُ، والاستحياء صفة من صفات الكمال التي تليق بجلاله، وهي من الصّفات التي جاءت بالإيجاب والسّلب، فمن الإيجاب حديث الثلاثة وقد تقدم في (يعرض)، وفيه قوله ﷺ: «قالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فأوَى إلى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ منه، وأَمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ، فأعْرَضَ اللَّهُ عنْه»[2]، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يوصف بالاستحياء والإعراض -كما في النّصوص الشرعيّة- على وجه لا نقصَ فيه، بل على الوجه اللاّئق بجلاله، من غير تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل.

(علا) بمعنى تعالى وتقدّس، (ما أكرمَه) فعل تعجب يدلّ على أنّ هذه الصفات من صفات الكمال والجلال والجمال، وأنّ العبد ينبغي أن يتعجب من هذه الصّفات العظيمة من خالق قويّ قاهر قادر لايعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، ومع ذلك فهو كريم حييّ لطيف رؤوف رّحيم،فما أكرمه من إله !، وما أجلّه من عظيم!

51 - وَلَيسَ يَستَحْيي مِنَ الحقِّ وَلاَ مِن ضَرْبِهِ مَا كَالبَعُوضِ مَثَلا

(وليس يستحيي من الحقّ) وهذه من صفات السّلب وذلك كما في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ

1 - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(3/ 1095) للعلامة علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) /الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان/.
2 - البخاري(66).

مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾[الأحزاب:53]. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ يعني جلوسهم للحديث، أودخولهم بغير إذن، فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ تقديره: يستحيي من إخراجكم، بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾: أي أن إخراجكم حقّ لا يتركه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(ولا من ضربه ما كالبعوض مثلا) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾[البقرة: 26].

قال البغوي: «قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾[الحج: 73] وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾[العنكبوت: 41].

قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلها يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إنّ الله لا يستحيي﴾ أي لا يترك ولا يمنعه الحياء ﴿أن يضرب مثلا﴾ يذكر شبها، {ما بعوضة} ما: صلة، أي مثلا بالبعوضة، وبعوضة نصب بدل عن المثل، والبعوض صغار البق سميت بعوضة كأنّها بعض البقّ {فما فوقها} يعني الذّباب والعنكبوت.[1]»

فضرب الله الأمثال فآمن بها أهل الإيمان، وكفر بها أهل الكفر والنّفاق والطّغيان.

قال الألوسيُّ رحمه الله: «الآيةُ تُشعِرُ بصِحَّةِ نِسبةِ الحَياءِ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنَّه في العُرفِ لا يُسلَبُ الحياءُ إلَّا عَمَّن هو شأنُه، على أنَّ النَّفيَ داخِلٌ على كلامٍ فيه قَيدٌ، فيَرجِعُ إلى القيدِ، فيُفيدُ ثبوتَ أصلِ الفِعلِ أو إمكانَه لا أقَلَّ، وأمَّا في الأحاديثِ فقد صَرَّحَ بالنِّسبةِ، وللنَّاسِ في ذلك مَذهبانِ؛ فبَعضٌ يَقولُ بالتَّأويلِ؛ إذ الانقِباضُ النَّفسانيُّ ممَّا لا يحومُ حولَ حظائرِ قُدْسِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمرادُ بالحياءِ عِندَه التَّركُ اللَّازِمُ للانقِباضِ، وجُوِّزَ جَعْلُ ما هنا بخصوصِه من بابِ المقابَلةِ لِما وَقَعَ في كلامِ الكَفَرةِ، بناءً على ما رُوِيَ أنَّهم قالوا: ما يَسْتَحي ربُّ محمَّدٍ أن يَضرِبَ الأمثالَ بالذُّبابِ والعَنكَبوتِ! وبعضٌ -وأنا والحَمدُ للهِ منهم- لا يَقولُ بالتَّأويلِ، بل يُمِرُّ هذا وأمثالَه ممَّا جاء عنه

1 - تفسير البغوي (1/76-77).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآياتِ والأحاديثِ على ما جاءت، ويَكِلُ عِلْمَها بعد التَّنزيهِ عَمَّا في الشَّاهِدِ إلى عالمِ الغَيبِ والشَّهادةِ»[1].

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله:

وَهُو الحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ ... عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالعِصْيَانِ

لَكِنَّهُ يُلقِي عَلَيْهِ سَتْرَهُ ... فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الغُفْرَانِ[2]

قال محمد خليل هرَّاس في شرحِ البيْتَيْن: «حياؤُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفٌ يَليقُ به، ليس كحياءِ المخلوقينَ الَّذي هو تغيُّرٌ وانكِسارٌ يعتري الشَّخصَ عند خوفِ ما يُعابُ أويُذَمُّ، بل هو تركُ ما ليس يتناسَبُ مع سَعةِ رحمتِه، وكمالِ جُودِه وكرَمِه، وعظيمِ عَفوِه وحِلمِه؛ فالعبدُ يُجاهِرُه بالمعصيةِ مع أنَّه أفقرُ شيءٍ إليه وأضعَفُه لديه، ويستعينُ بنِعمِه على معصيتِه، ولكنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع كمالِ غِناهُ وتمامِ قدرتِه عليه يستحي مِن هَتْكِ سِترِه وفضيحتِه، فيستُرُه بما يُهيِّئُه له مِن أسبابِ السَّترِ، ثمَّ بعد ذلك يعفو عنه ويغفِرُ»[3].

وقال الأزهريُّ: «قال اللَّيثُ: الحياءُ مِن الاستحياءِ، ممدودٌ، قلتُ: وللعربِ في هذا الحرفِ لغتانِ: يُقال: استحَى فلانٌ يَستحِي، بياءٍ واحدةٍ، واستَحْيَا فلانٌ يستَحْيِي، بياءَيْنِ، والقُرآنُ نزَل باللُّغةِ التَّامَّةِ، يعني الثَّانيةَ»[4].

ومنه قول أمّ سليم كما في حديثها أنّها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتِ المَاءَ» فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا» [5].

وأما الصفة في الإيجاب كمثل ماورد عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «إن الله حييّ كريم يسْتَحِيّي إذا رفع الرّجل إليه يديه أن يردّهما صفرا خائبتين»[6].

---

1 – تفسير الألوسي (1/ 208).

2 – الكافية الشافية (3/716).

3 – شرح القصيدة النونية (2/80).

4 – تهذيب اللغة (5/288).

5 – البخاري (130).

6 – رواه الترمذي (3556) وقال هذا حديث حسن غريب، وأبوداود(1488) وصححه الألباني، وأخرجه ابن أبي شيبة (34677) والبزار (2511).

52 - وليسَ يَأْذَنُ لِشَيْءٍ أَذَنَهْ إلى تلاوةِ نَبِيٍّ حَسَنَــة

(وليس يأذن لشيء أذنه) الأَذَنُ (بمعنى الاستِماعِ)، ومنه قول الشاعر:

إن يسمعوا سُبَّةً طارُوا بها فرحا عني وما سمعوا من صالح دفنوا

صمٌّ إذا سمعوا خيرا ذكرتُ بـه وإن ذكرت بسوء عندهم أَذِنُــوا

والأَذَنُ أيضا من صفات الإيجاب والسّلب، وهي الأَذَن بفتح الهمزة والذّال المعجمة، وذلك لما صحّ عن نبيّنا الفصيح، المخبر عن ربّه بكل وصف صحيح، فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال: «ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ كأَذَنِه لنبيٍّ يتغنَّى بالقُرآنِ يجهَرُ به»[1].

قال أبو عُبَيدٍ القاسمُ بنُ سلاَّم: «قولُه: (كأَذَنِه) يعني: ما استَمَع اللهُ لشيءٍ كاستماعِه لنبيٍّ يتغنَّى بالقُرآنِ، حدَّثناه حجَّاجٌ عنِ ابنِ جُرَيجٍ عن مجاهدٍ في قولِه تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[الانشقاق: 2]، قال: استَمَعَت أو سَمِعَت -شكَّ أبو عُبَيدٍ- يُقالُ: أذِنْتُ للشَّيءِ آذَنُ له أَذَنًا: إذا استمَعْتُ أو سَمِعتُ له»[2].

وقالَ البَغَويُّ: قولُه: (ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ كأَذَنِه) يعني: ما استمَعَ اللهُ لشيءٍ كاستماعِه، واللهُ لا يَشغَلُه سَمْعٌ عن سَمْعٍ، يُقالُ: أذِنْتُ للشَّيءِ آذَنُ أَذَنًا، بفتحِ الذَّالِ: إذا سمِعْتُ له»[3].

وقال ابن كثير: معناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويحسنها؛ وذلك أنّه يجتمع في قراءة الأنبياء طيّب الصوت؛ لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع أصوات العباد كلّهم؛ برّهم وفاجرهم؛ كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات»[4]،

1 - أخرجه البخاري (7482)، ومسلم (792)، واللَّفظُ له.

2 - غريب الحديث لأبي عبيدة (1/ 346).

3 - شرح السنة للبغوي (4/484).

4 - أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث (7386)، وأخرجه موصولا النسائي (3460) واللفظ له،

ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى:﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونُسَ: 61] ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دلَّ عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأَذَن هاهنا بالأمر، والأوّل أولى؛ لقوله: «ما أَذِنَ الله لشيء كأَذَنِهِ لِنَبِيّ يتغنّى بالقرآن» أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السّياق عليه [1].

ففي الإيجاب يأذن الله لتلاوة الأنبياء فهو صوت محبوب له سبحانه لأنّهم يتغنّون بوحيه، وفي السّلب لايأذن مثل أَذَنِهِ للتَّالي الحَسَنِ التِّلاوَةِ، وهذا لاينفي سمعه لجميع الأصوات والحركات وسائر المسموعات، ولذلك قال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النِّسَاءِ: 148].

ونقول: كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: 11]، إنَّ الله يأذن أذنا، أي: يستمع استماعا بلا كيف، فنؤمن بذلك ولانكيّفه أونحرفه أونعطله.

واختلف العلماء في معنى يتغنّى بالقرآن على أربعة أقوال:

أحدها: أنّه تحسين الصّوت به، روى أبو داود في (سننه) عن ابن أبي مليكة أنه سئل عن هذا الحديث، فقيل له: أرأيت إن لم يكن حَسَنَ الصّوت؟ فقال: «يُحَسِّنُهُ ما استطاع» [2].

والثاني: أن المعنى: يستغني به، رواه أبو داود أيضا عن وكيع وابن عيينة، وقد روى أنهم دخلوا على سعد وعنده متاعٌ رَثٌّ، فقال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن» [3] فهذا دليل على أنّه الاستغناء.

وابن ماجه (188)، وأحمد (24195) بلفظ: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات) صححه ابن عساكر في معجم الشيوخ (1/163)، وابن حجر في (تغليق التعليق) (5/339)، والألباني في (صحيح سنن النسائي) (3460).

1 - فضائل القرآن لابن كثير (ص: 181-179).

2 - أبوداود (1471) صحيح.

3 - تقدم تخريجه.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من قرأ آل عمران فهو غني. وقال أبو عبيد: ولو كان المراد به ترجيع القراءة لكان من لم يفعل ذلك فليس من النّبيّ، قال: ومع هذا فإنه جائز في كلام العرب أن يقولوا: تغنيت تغنيا، وتغانيت تغانيا: بمعنى استغنيت، قال الأعشى:

وكنت امرأ زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التّغنّ

يريد الاستغناء.

وقال المغيرة بن حبناء يعاتب أخاه:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فعلى هذا يكون المعنى: من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا؛ لأنه ينبّهه على ترك الفضول ويحثّه على طلب الآخرة.

والثالث: أنّ المعنى يتحزّن به ويترنّم، قاله الشافعي، وكذلك قال أبو عبيد: هو عندنا تحزين القراءة.

والرّابع: أنّه التّشاغل به عن مكان التّغنيّ، قال ابن الأعرابيّ: كانت العرب تتغنّى بالرّكبان إذا ركبت الإبل، وإذا جلست في الأفنيَة، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحبّ النّبيّ ﷺ أن يكون القرآن هجيراهم مكان التّغنّي بالرّكبان.

ويوضح هذا الوجه ما أنبأنا به علي بن أبي عمر قال: أخبرنا علي بن الحسين بن أيّوب قال: أنبأنا أبو علي بن شاذان قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد القطان قال: حدثنا أحمد بن محمد البرتي قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا عبد الرحمن المليكي عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن السائب عن سعد هو ابن أبي وقاص قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «تغنوا بالقرآن، ليس من لم يتغن بالقرآن» يعني منا» [1].

(إلى تلاوةِ نَبِيٍّ حَسَنَــة) التّلاوة: القراءة المجوّدة، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقرءونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلّون حلاله ويحرّمون حرامه [2].

---

1 - كشف المشكل من حديث الصحيحين(3/363) للإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)/المحقق: علي حسين البواب/الناشر: دار الوطن - الرياض.

2 - تفسير البغوي (1/144).

53 - وَلَخُلُوفُ فَمِ ذِي الصَّومِ الزَّكِي أَطْيَبُ عندَهُ منَ المِسْكَ الذَّكِي

الخلوف: بضم الخاء، «التَّغَيُّر وَالنَّتن»، وَمن فتح الْخَاء فقد أَخطَأ، إِنَّمَا هُوَ بِالضَّمِّ مصدر خَلَفَ يَخْلُفُ خُلُوفاً، خلف فمه يخلف يعني تغيّر رائحته فى آخر النهار، لأن الفم يتغير بترك الطعام، قال أبو عبيد: خلف اللبن وغيره: تغير ريحه وطعمه[1].

قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضبط الحافظ في الفتح الخلوف بالضم والفتح فإن ثبت الفتح فذاك، وإلا فالقياس في مصدر فعل اللازم الضم»[2].

الصوم: في اللغة: الإمساك، وفي الاصطلاح: الصوم الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

الزّكيّ: (الزكي) الكثير الخير(المخصّص)، وقيل: الزكي، وهو الذي نما صلاحه، وكيف لا والصوم مزكى من الله الذي جعله من العبادات العظيمة.

المسك: بكسر الميم وسكون السّين، طِيبٌ ذكيّ الرّائحة وأصله دم، قال المتنبي:

فإن تفق الأنامَ وأنت منهم فإنّ المِسْكَ بعْضُ دَمِ الغَزَالِ

ويستخرج من أنواع من الغزلان بناحية التُّبَّت يصيدها الصياد فيعصب صرّتها بعصاب شديد، وسرّتها مدلاة فيجتمع في دمها، ثم تذبح فإذا سكنت قوّر السّرّة المعصَّرة ثم دفنها في الشّعير حتّى يستحيل الدم الجامد مسكا ذكيًّا، وقال البناني: نقلا عن ابن حجر: «المسك دم يجتمع في سرّة الغزال إلى أن يسقط منه» [3]، هذا مسك الدنيا أما مسك الآخرة فحقيقته في الجنان لاحرَمَنا منه الرّحمان، آمين.

الذَّكيّ: الطّيّب، وفي أساس البلاغة: وذكا المسك ذكاء، ومسك ذكيٌّ: أذفر، وفي التاج: (ومسك أذفر، وذفر): ذكي الريح (جيد إلى الغاية).

(ولخلوف فم ذي الصوم الزكي) أي إن رائحة فم الصائم المتغيرة بأثر خلو المعدة،

1 - غريب الحديث لأبي عبيدة(خلف).
2 - التسهيل (1/11)
3 - حاشية البناني على هامش الزرقاني (1/27).

والمتجددة في الفم (أطيب عند الله من ريح المسك) كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»[1]، يريد أزكى عند الله الواحد.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يريد أزكى عند الله وأقرب إليه من ريح المسك عندكم، يحضهم عليه ويرغبهم فيه وهذا في فضل الصيام وثواب الصائم»[2].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «(أطيب عند الله من ريح المسك) اختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، مع أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزّه عن استطابة الرّوائح، إذ ذاك من صفات الحيوان ومع أنه يعلم الشيء على ما هو عليه على أوجه، قال المازري: هو مجاز لأنه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة منّا فاستعير ذلك للصوم لتقريبه من الله، فالمعنى: أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أي يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم وإلى ذلك أشار ابن عبد البر»[3].

وقيل معنى قوله: (عند الله) يريد فى الآخرة، أي يجازيه يوم القيامة بتطييب نكهته الكريهة فى الدنيا حتى تكون كريح المسك، و المسك أطيب الطيب، وقد روى ذلك عن النبى ﷺ من حديث أبى سعيد الخدرى [4].

قال شيخنا العلامة محمد الحسن الددو حفظه الله: «والاستطابة هنا تقتضي الرضا بذلك فإنّ الله إذا استطاب شيئا معناه أنّه طيّب قطعا، وهذا فيه إثبات لصفة الاستطابة للرائحة، كما أنّ الأول فيه: إثبات لصفة الأذَن للصّوت، فالأصوات المرضيّة عند الله

---

1 – البخاري (بَابُ فَضْلِ الصَّوْمِ) بعد الحديث رقم: 1894)، ورواه مسلم (باب فضل الصيام) (1151).
2 – الاستذكار (3/ 375).
3 – فتح الباري لابن حجر (4/106).
4 – رواه مسلم (2252) وفيه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا» وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ.

يأذن لها، والروائح المرضية عنده يستطيبها، وهما صفتان من الصفات الفعلية» [1].

54 - يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لا يُسْتَكْرَهُ وَهُوَ بَالِغ - تَعَالَى- أَمْرَه

(يفعل مايشاء) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا رادّ لقضائه، ولامعقب لحكمه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 27] وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البُرُوجِ:16] وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُودٍ:107] أي يفعل مايشاء فكل ماشاءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الأفعال فعله ولايشاء إلا الحسن، والأفعال القبيحة لايحسن أن تُنسب لجلاله أدبا مع الله جَلَّ جَلَالُهُ، قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشُّعَرَاءِ: 78 - 82]، فانظر كيف نسب الأفعال كلّها إلى الله فلما جاء إلى المرض نسبه إلى نفسه تأدبا مع خالقه.

قال القرطبي: «تأدّب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند إلى نفسه المرض؛ إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 26] واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع؛ إذ هو على كل شيء قدير، وهو بكل شيء خبير» [2].

وانظر إلى الخضر عليه السلام كيف استعمل الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإنه أضاف عيب السّفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكَهْفِ: 79]، وأما الخير فأضافه إلى الله تعالى لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكَهْفِ: 82] وانظر إلى أدب مؤمني الجنّ كيف نسبوا الشرّ إلى الفعل الذي لم يسم فاعله، ونسبوا الرّشد إلى الله ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجِنِّ: 10]، مع أنَّ الكل بقضاء الله وقدره.

---

1 - من شرحه لمجمل اعتقاد السلف والمسمى وسيلة الزلفى (87).

2 - المفهم للقرطبي (2/ 401).

قال ابن كثير في تفسير قول الجنّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: 10]: «أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السّماء، لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربّهم رشدا؟ وهذا من أدبهم في العبارة؛ حيث أسندوا الشّرّ إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، وقد ورد في الصحيح: «والشّرّ ليس إليك» [1]»[2].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[آل عمران:40]، جاءت عقب إكرام الله تعالى لنبيّه زكريا بولد اسمه، يحي عليهما وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسّلام.

ومن الأمثلة أيضا: الآلام والأمراض، فهي وإن كانت شرورا من جهة، فهي خير كثير من جهات أخرى متعددة.

قال ابن القيم: «فالخير والشّرّ من جنس اللّذّة والألم والنّفع والضّرر، وذلك في المقضي المقدّر لا في نفس صفة الرّبّ وفعله القائم به؛ فإن قطع يد السّارق شرّ مؤلم ضارّ له، وأمّا قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدلٌ وخير وحكمة ومصلحة... فإن قيل: فما الفرق بين كون القدر خيرا وشرًّا وكونه حلوا ومرّا؟ قيل: الحلاوة والمرارة تعود إلى مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشّرّ يرجع إلى حسن العاقبة وسوئها، فهو حلو ومرّ في مبدئه وأوّله، وخير وشرّ في منتهاه وعاقبته.

وقد أجرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سنته وعادته أنّ حلاوة الأسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل، ومرارتها تعقب الحلاوة؛ فحلو الدّنيا مرّ الآخرة، ومرّ الدّنيا حلو الآخرة.

وقد اقتضت حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن جعل اللّذّات تثمر الآلام، والآلام تثمر اللذات، والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاما لا يخرج عنه شيء البتة»[3].

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «والخير كلّه في يديك، والشّرّ ليس إليك» [4].

---

1 - أخرجه مسلم (771) مطولا من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2 - تفسير ابن كثير (8/ 240).

3 - شفاء العليل لابن القيم (ص: 663).

4 - أخرجه مسلم (771) مطولا من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو العباس القرطبي: قوله: «والشرّ ليس إليك» أي: لا يضاف إليك مخاطبة ونسبة؛ تأدبا، مع أنه بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه واختراعه؛ كالخير، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء: 78]، وكما قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنعام: 17].

وقال النووي: أما قوله: «والشرّ ليس إليك» فمما يجب تأويله؛ لأن مذهب أهل الحقّ أنّ كلّ المحدثات فعل الله تعالى وخلقه، سواء خيرها وشرّها، وحينئذ يجب تأويله، وفيه خمسة أقوال:

أحدها: معناه: لا يتقرّب به إليك، قاله الخليل بن أحمد، والنّضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري، وغيرهم.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني، وقاله غيره أيضا، معناه: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: ياخالق القردة والخنازير، ويا ربَّ الشّرِّ، ونحو هذا، وإن كان الله خالق كلّ شيء، وربّ كلّ شيء، وحينئذ يدخل الشّرّ في العموم.

والثالث: معناه: والشّرّ لا يصعد إليك، إنّما يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح.

والرابع: معناه: والشّرّ ليس شرّا بالنسبة إليك؛ فإنّك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

والخامس: حكاه الخطابي؛ أنه كقولك: فلان إلى بني فلان، إذا كان عداده فيهم، أو صفوه إليهم»[1].

(لايُسْتَكْرَهُ) وهذا فيه تأكيد للمشيئة، فإنّ الله جلّت قدرته، وعظُم سلطانه، وعمّ الخلائق فضله، يفعل مايشاء لامُكره له، ولذلك نبهنا المصطفى ﷺ إذا دعونا أن نجزم المسألة ولانرد ذلك إلى المشيئة، فكثيرا مانقول: (ربّي يحفظك إن شاء الله، ويسترك إن شاء الله، ويغفر لك إن شاء الله)؛ والحقيقة التي تجب علينا أن نجزم في المسألة فإنّ الله لامُكْرِهَ له، فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا يَقُلْ أحَدُكم: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي إن شِئتَ، ارحمني إن شِئتَ، ارزقني إن شِئتَ، ولْيَعْزِمْ مسألتَه؛

1 - شرح مسلم للنووي (6/ 59).

إنَّه يفعَلُ ما يشاءُ لا مُكرِهَ له»[1].

قال النّوويُّ: «معنى الحديثِ: استحبابُ الجَزمِ في الطَّلَبِ، وكراهةُ التعليقِ على المشيئةِ، قال العُلَماءُ: سَبَبُ كراهتِه أنَّه لا يتحقَّقُ استعمالُ المشيئةِ إلَّا في حَقِّ من يتوجَّهُ عليه الإكراهُ، واللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك، وهو معنى قَولِه ﷺ في آخِرِ الحديثِ: فإنَّه لا مُستكرِهَ له. وقيل: سَبَبُ الكراهةِ أنَّ في هذا اللَّفظِ صُورةَ الاستغناءِ عن المطلوبِ والمطلوبِ منه»[2].

وقال ابنُ حَجَر: «المرادُ: أنَّ الذي يحتاجُ إلى التّعليقِ بالمشيئةِ ما إذا كان المطلوبُ منه يتأتّى إكراهُه على الشَّيءِ، فيُخفَّفُ الأمرُ عليه ويُعلَمُ بأنَّه لا يُطلَبُ منه ذلك الشَّيءُ إلَّا برضاه، وأمَّا اللهُ سُبحانَه فهو مُنَزَّهٌ عن ذلك؛ فليس للتعليقِ فائدةٌ.

وقيل: المعنى أنَّ فيه صورةَ الاستغناءِ عن المطلوبِ والمطلوبِ منه؛ والأوَّلُ أَولى»[3].

(وهو تعالى بالغٌ أَمْرَه) فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أراد شيئا فلامرد له، وهذا من تمام الإرادة والقدرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾[الطلاق:3]، وفي قراءة الكوفيين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرُهُۥ﴾ أي ما أمر به، وما أراده كائن لامحالة فإنّه لامستكره له، قال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا سبق له شيء من التّقدير فلا محالة يكون، وبتوكّله لايتغيّر المقدور ولا يستأخر، ولكنّ التوكّل بنيانه على أن يكون العبد مروّح القلب غير كاره، وهذا من أجلّ النّعم»[4].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأ طلحة بن مصرّف وحفص عن عاصم بالغ أمره بالإضافة، وقرأ الآخرون بالغ بالتنوين أمره نصب، أي منفذ أمره ممض في خلقه قضاءه، قد جعل الله لكل شيء قدرا، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه. قال مسروق: في هذه الآية إن الله بالغ أمره، توكل عليه أو لم يتوكل، غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا» [5].

---

1 – رواه البخاري (7477) واللَّفظُ له، ومسلم (2679).
2 – شرح مسلم للنووي (17/ 7).
3 – فتح الباري للحافظ ابن حجر (11/ 140).
4 – تفسير القشيري (3/600).
5 – تفسير البغوي (5/110).

ثم شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك فقال:

55 - فَمَا يَشأْ فِينَا يَكُنْ لَو لمَ نَشَا وَلا يَكُونُ مَا نَشَا مَا لَمْ يَشَا

(فما يشا)ء الله (فينا)فعله (يكن) ولارادّ له، و(لو لم نشا)ء نحن، فالأمر أمرُه، والخلق خلقه وهو الفعّال لما يريد (ولايكون ما نشا) ومانريد (مالم يشإ) المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه المسألة من مسائل القدر التي أشرنا إلى طرف منها وسيأتي بحول الله بقية بيانها.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان: 30].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه:«﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ردَّ مشيئتَهم إلى مشيئتِه، والمعنى: لا يريدونَ إلَّا بإرادةِ اللهِ، وهو موافِقٌ لعقائِدِ أهلِ السُّنَّةِ، أنَّه لا يفعَلُ أحدٌ شيئًا ولا يختارُه ولا يشاؤُه إلَّا بمشيئةِ اللهِ» [1].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[آل عمران: 26].

وعن أنس بنِ مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «وكَّلَ اللهُ بالرَّحِمِ مَلَكًا، ...فإذا أراد اللهُ أن يقضيَ خَلْقَها، قال...» الحديث [2].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «إذا أراد اللهُ بقومٍ عذابًا، أصاب العذابُ مَن كان فيهم، ثم بُعِثُوا على أعمالِهم»[3].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: «إنَّكِ الجنَّةُ رَحْمتي، أرحَمُ بكِ مَن أشاءُ، وإنَّكِ النَّارُ عذابي، أُعذِّبُ بكِ مَن أشاءُ»[4].

---

1 - تفسير السمعاني (6/ 124).
2 - أخرجه البخاري (6595)، ومسلم (2646).
3 - أخرجه مسلم (2879).
4 - أخرجه مسلم (2846).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة شرعية دينية تتضمن محبته ورضاه، وإرادة كونية قدرية تتضمن خلقه وتقديره»[1].

وقال أيضا: «أئمة أصحاب مالك والشافعي وأحمد وعامة أصحاب أبي حنيفة يقولون بما اتفق عليه السلف من أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ويثبتون الفرق بين مشيئته وبين محبّته ورضاه، فيقولون: إنّ الكفر والفسوق والعصيان، وإن وقع بمشيئته؛ فهو لا يحبّه ولا يرضاه، بل يسخطه ويبغضه، ويقولون: إرادة الله في كتابه نوعان: نوع بمعنى المشيئة لما خلق، كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: 125] ونوع بمعنى محبّته ورضاه لما أمر به وإن لم يخلقه، كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: 185] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة:6] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النساء: 26] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: 27 - 28]».[2]

ذكر القاضي أنّ أهل النّقل أوردوا أثرا عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه جاءه رجل فقال: أنت تزعم أن الله أراد أن يُعصى؟ قال: نعم، فقال:ما أراد أن يُعصى، فقال ابن عباس: ويحك فما أراد الله؟ قال: أراد أن يطاع ولا يعصى،قال ابن عباس: ويحك فمن حال بين الله وبين ما أراد؟ فكأنّما ألقمه حجرا.

قال: ومثله قول غيلان لربيعة:«أترى الله يريد أن يعصى؟ فقال «ربيعة: أترى الله يعصى قسرا؟ فكأنّما ألقمه حجرا» [3].

وقال ابن مسعود،وعمر بن عبد العزيز: «لو شاء الله أن لايعصى؛ ماخلق إبليس»[4].

---

1 - منهاج السنة النبوية (7/ 72).

2 - مجموع الفتاوى (8/ 476) بتصرف يسير.

3 - القدر للفريا بي (1/278). وانظر شرح القاضي عبد الوهاب للرسالة.

4 - شرح القاضي عبد الوهاب للرسالة (226 - 227).

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلا قال له ياأمير المؤمنين: أيحبّ ربّنا أن يعصى؟ قال: أفيعصى قهرا؟،قال: أرأيت إن منعني الهدى، ومنحني الردّى، أأحسن إلي أم أساء؟ قال: إن منعك حقَّك فقد أساء، وإن منعك فضله، فهو فضله يؤتيه من يشاء،ثم تلا الآية ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء: 23]»[1].

وقال عون بن معمر سمعت سعيد ابن أبي عروبة وكان يترهب بمذهب أهل القدر يقول: ما في القرآن آية أشدّ عليّ من قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾[الأعراف: 155]، قال: فقلت القرآن يشقّ عليك؟ والله لا أكلمك أبدا فما كلمته حتى مات».

وقد أورد شيخ مشايخنا العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في سورة الشمس حكايتَين توضِّحان فسادَ مذهب المعتزلة في باب القضاء والقدر، فقال: «ولَمَّا تناظر أبو إسحاق الإسفرائيني مع عبد الجبار المعتزلي، قال عبد الجبار: سبحان مَن تنزَّه عن الفحشاء، وقصْدُه أنَّ المعاصي كالسرقة والزنى بمشيئة العبد دون مشيئة الله؛ لأنَّ الله أعلَى وأجَلُّ من أن يشاء القبائح في زعمهم، فقال أبو إسحاق: كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل، ثم قال: سبحان مَن لا يقع في ملكه إلاَّ ما يشاء، فقال عبد الجبار: أتراه يخلقه ويُعاقبُني عليه؟ فقال أبو إسحاق: أتراك تفعله جبراً عليه؟ أأنتَ الرَّبّ وهو العبد؟! فقال عبد الجبار: أرأيتَ إن دعانِي إلى الهُدى، وقضى عليَّ بالرَدَى، أتراه أحسن إليَّ أم أساء؟ فقال أبو إسحاق: إن كان الذي منعك منه مُلكاً لك فقد أساء، وإن كان له: فإن أعطاك ففضل، وإن منعك فعدل، فبُهت عبد الجبار، وقال الحاضرون: والله! ما لهذا جواب!

وجاء أعرابيٌّ إلى عمرو بن عُبيد وقال: ادعُ اللهَ لي أن يرُدَّ عليَّ حمارةً سُرقت منِّي، فقال: اللَّهمَّ إنَّ حمارتَه سُرقت ولَم تُرِدْ سرقتَها فاردُدْها عليه، فقال الأعرابيُّ: يا هذا! كُفَّ عنِّي دُعاءَك الخبيث؛ إن كانت سُرِقَت ولَم يُرِدْ سرقتَها، فقد يريد رَدَّها ولا تُرَدُّ»[2].

1 - الجامع لأحكام القرءان للقرطبي (11/279).
2 - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (480-479).

يقول الإمام الشافعي عليه رحمة الله[1]:

مَا شِئتَ كانَ وَإِن لَمْ أَشَأْ ... وما شِئْتَ إنْ لمْ تَشَأْ لم يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنّ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ ... وهذَا أَعَنْتَ وذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُم غَنِيٌّ ومنهُم فَقِيرْ ... ومِنْهُمْ قَبِيحٌ ومنهُم حَسَنْ
ومِنْهُم شَقِيّ ومنهُم سَعِيدْ ... وَكلٌّ بِأَعْمَالِهِمْ مُرْتَهَنْ

56 - ولايَضِلُّ جَلّ أويَنْسَى وَلَا ... تَأْخُذُهُ سِنَةٌ أوْ نَوْمٌ عَلاَ

هذه الصّفات من النّفي المجمل وهي من الصّفات المنفيّة عن الله تعالى، ولذلك قال: (ولايضلّ) الضلال له معان كثيرة[2]، ولكن المقصود هنا كما قال البغوي: ﴿لاَّ

1 - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين(1/95) للإمام طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: 471هـ)/ المحقق: كمال يوسف الحوت/ الناشر: عالم الكتب - لبنان/ الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م

2 - قال الشيخ العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (2/ 204):قوله تعالى:﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي. ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب.
فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾[يوسف: 95]، وقوله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[الضحى: 7]، أي لست عالما بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم، ومنه بهذا المعنى قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها... بدلا أراها في الضلال تهيم

يعني أنّها غير عالمة بالحقيقة في ظنّها أنّه يبغي بها بدلا وهو لا يبغي بها بدلا.
وليس مراد أولاد يعقوب الضّلال في الدين ؛ إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به، حيث آثر اثنين على عشرة، مع أن العشرة أكثر نفعا له، وأقدر على القيام بشؤونه وتدبير أموره.
واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين:
أحدهما الضّلال في الدّين، أي الذهاب عن طريق الحقّ التي جاءت بها الرّسل صلوات الله عليهم وسلامه، وهذا أشهر معانيه في القرآن، ومنه بهذا المعنى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: 7]وقوله:

يَضِلُّ رَبِّي﴾أي: لا يخطئ. وقيل: لا يضلّ عنه شيء ولا يغيب عن شيء»[1] ويأتي بمعنى: التّحيّر والله لايخطئ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولايتحيّر، ولايكون شيء في الكون إلاّ على وفق مراده.

قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[طٰهٰ: 52] وقرأ عبد الله بن عمرو، وعاصم الجحدري، وقتادة، وابن محيصن: «لايُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، أي: لا يضيِّعه ؛ وقرأ أبو المتوكل، وابن السميفع: «لا يُضَلُّ» بضم الياء وفتح الضاد؛ وفي هذه الآية توكيد للجزاء على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربّي(ولا ينسى) ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم، وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنّه يضلّ ويُنسى» [2].

قال الزجاج: «قال أبو إسحاق من قرأ بالفتح فمعناه لا يَضَل أيْ لا يَضَل عن رَبِّي؛ وإذا ضممت الياء فمعناه لا يوجد ربي ضَالًّا عنها»[3].

(جلَّ): الشيء يجِلُّ بالكسر عَظُم، وجلال الله عظمته.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الصافات: 71]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾[يس: 62]، إلى غير ذلك من الآيات.

الثاني إطلاق الضلال بمعنى الهلاك، والغيبة، من قول العرب: ضلّ السّمن في الطّعام، إذا غاب فيه وهلك فيه، ولذلك تسمّي العرب الدّفن إضلالا ؛ لأنّه تغييب في الأرض يئول إلى استهلاك عظام الميت فيها ؛ لأنّها تصير رميما وتمتزج بالأرض، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[السجدة: 10].

ومن إطلاق الضلال على الغيبة قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[هود:21]، أي: غاب واضمحل.

ومن إطلاق الضّلال على الدفن قول نابغة ذبيان:

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

فقوله: مضلّوه، يعني دافنيه، وقوله: بعين جلية، أي: بخبر يقين، والجولان: جبل دفن عنده المذكور.

ومن الضّلال بمعنى الغيبة والاضمحلال قول الأخطل:

كنت القذى في موج أكدر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالا

وقول الآخر: ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا

1 – تفسير البغوي (5/277).

2 – زاد المسير لابن الجوزي (3/162).

3 – معاني القرءان للزجاج(3/359).

(أوينسى): النّسيان هنا بمعنى الترك، أي فيترك فِعْلَ مَا فِعْلُهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ، فعَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[طٰهٰ: 52]قَالَ: «هُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ» [1]. ومنه قوله تعالى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[التَّوبَة: 67]أي تركوا أوامره ولم يجتنبوا نواهيه ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ «فتركهم من لطفه وفضله» [2]. فلايعرو ربّنا نسيان لأنّه نقص، والنّقص عليه محال.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القدسيّ: «قال: فيَقولُ: أفَظنَنتَ أنَّك مُلاقِيَّ؟ فيَقولُ: لا، فيَقولُ: فإنِّي أنساكَ كما نَسيتَني» وسيأتي بتمامه بحول الله.

(ولا تأخذه سنة او نوم -علا -): نزه الله نفسه عن السِّنَة والنّوم؛ لأن ذلك يتضمن كمال حياته وقيوميته، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفُرقَان: 58]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حيّ لا يموت، قيّوم لا ينام.

سنة: النّعاس، تقول «وسِنَ» «يوسَنُ» «سِنة» و«وَسَناً» [3].

نوم: معلوم، وهو الِاسْتِثْقَالُ وفقد الوعي.

ومعنىَ: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ) أي لا يأخذه نعاس، (وَلَا نَوْمٌ)، وتأويله أنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق [4]، فنفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نفسه الأصغر وهي السِّنَة ونفى الأكبر وهو النوم.

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ بأربَعِ كَلِماتٍ فقال: «إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ» [5].

قال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنه أحد لا ترهقه غفلة، وصمد لا تمسّه علة، وعزيز

---

1 - تفسير ابن جرير الطبري (18/319)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/248) للعلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور/مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي/الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م.

2 - تفسير البيضاوي (3/88).

3 - معاني القرءان للأخفش (1/195).

4 - معاني القرءان للزجاج(1/336).

5 - أخرجه مسلم (179).

لا تقاربه قلة، وجبار لا تميزه عزلة، وفرد لا تضمّه جثة، ووتر لا تحدّه جهة، وقديم لا تلحقه آفة، وعظيم لا تدركه مسافة، تقدّس من جماله جلاله، وجلاله جماله، وسناؤه بهاؤه، وبهاؤه سناؤه، وأزله أبده، وأبده سرمده، وسرمده قدمه، وقدمه وجوده قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[البقرة: 255] ملكا وإبداعا، وخلقا واختراعا»[1].

وروى ابن أبي حاتم: بسنده عن عكرمة، مولى ابن عباس، في قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة: 255]«أن موسى عليه السلام سأل الملائكة: هل ينام الله؟ فأوحى الله إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرّقوه ثلاثا، فلا يتركوه ينام، ففعلوا، ثم أعطوه قارورتين فأمسكها، ثمّ تركوه وحذّروه أن يكسرهما. قال: فجعل ينعس وهم في يديه، في كلّ يد واحدة فجعل ينعس وينتبه، وينعس وينتبه، حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى، فكسرهما. قال معمر: إنّما هو مثلٌ ضربه الله، يقول الله: فكذلك السّماوات والأرض في يديه»[2].

(علا): علا علوّا تجبّر وتكبّر، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له الجبروت والكبرياء، وعلا أيضا بمعنى ارتفع من العلو، فالعلوّ عند السّلف الصالح ثلاثة معانٍ: علوّ الذّات، وعلوّ الشّأن والقدر، وعلوّ القهر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«فإنّ من لوازم اسم العليّ العلوّ المطلق بكلّ اعتبار فله العلوّ المطلق من جميع الوجوه، علوّ القدر، وعلو القهر، وعلوّ الذات، فمن جحد علوّ الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي» [3].

فأمّا علوّ الفوقية أو علوّ الذات الذي دلّ عليه اسمه العلي ثابت على الحقيقة بالكتاب والسنّة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم،وليس فوقه شيء كما في الصّحيح عن النّبيّ ﷺ:«وأنت الظّاهر فليس فوقك شيء»[4].

---

1 – تفسير القشيري (1/197).
2 – تفسير ابن أبي حاتم (2/488).
3 –مدارج السالكين(1/31)
4 – تقدم تخريجه.

57 - لا يَظْلِمُ العِبَادَ ذَرَّةً، وَلا يُحْصُونَ مَا لَهُ عَليهِم مِن إِلَى

(لايظلم): من الظُّلم اسم من ظلمه ظلما من باب ضرب، ومظلمة بفتح الميم وكسر اللام، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه؛ وفي المثل» من استرعى الذّئب فقد ظلم» (مصباح).

(ذرّة): والذّرّ صغار النّمل، وبه كني، ومنه أبو ذر وأمّ ذر وأبو ذر الغفاريّ اسمه جندب بن جنادة، والواحدة ذرة (مصباح)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:7] وفي مشارق الأنوار: «وَذكر بعض نقلة الْأَخْبَار أَن الذَّر الهباء الَّذِي يطير فِي شُعَاع الشَّمْس مثل رُؤُوس الإبروروي، عَن ابْن عَبَّاس إِذا وضعت كفّك على التُّرَاب ثمَّ نفضتها فَمَا سقط من التُّرَاب فَهُوَ ذرّة، وَحكي أَن الذّرة جُزْء من خردلة وَإِن أَربع ذرّات خردلة، وَقيل الذّرة جُزْء من ألف وَأَرْبَعَة وَعشْرين جُزْءا من شعيرَة»[1].

والعلم الحديث يعرِّف الذرة: بأنها هي أصغر حجرِ بناءٍ أو أصغر جزء من العنصر الكيميائي يمكن الوصول إليه والذي يحتفظ بالخصائص الكيميائية لذلك العنصر، ويرجع أصل الكلمة الإنجليزية (بالإنجليزية: Atom) إلى الكلمة الإغريقية أتوموس، والتي تعني غير القابل للانقسام؛ إذ كان يعتقد أنه ليس ثمة ما هو أصغر من الذرة.

(لايظلم العبادَ ذرَّة) ولكن أنفسهم يظلمون، أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حرم على نفسه الظلم، وهو تعالى منزّه عن الظلم، وكلّ سَلْب منفيٌّ عنه، ومتصف بالعدل، فلا يظلم أحدا مثقال ذرّة، وكلّ أفعاله عدل ورحمة، وموافقة للحكمة.

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق: 29].

وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:49].

وقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء:40].

---

1 - مشارق الأنوار (1/269)

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء:47].

وفي الحديث القدسي من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «يا عبادي إنّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعَلْتُه بينكم محرَّمًا؛ فلا تَظالَموا» [1].

قال ابن رجب: «يعني: أنه منع نفسه من الظلم لعباده كما قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[طه: 112]، والهضم: أن ينقص من جزاء حسناته، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، ومثل هذا كثير في القرآن.

وكونه خلق أفعال العباد وفيها الظلم، لا يقتضي وصفه بالظلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أنه لا يوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد، وهي خلقه وتقديره، فإنّه لا يوصف إلاّ بأفعاله لا يوصف بأفعال عباده؛ فإنّ أفعال عباده مخلوقاته ومفعولاته، وهو لا يوصف بشيء منها، إنّما يوصف بما قام به من صفاته وأفعاله. والله أعلم» [2].

قال أبو الحسن الأشعري: «أجمعوا على أنّه عادل في جميع أفعاله وأحكامه، ساءنا ذلك أم سرّنا، نفعنا أو ضرّنا»[3].

(ولا يحصُون ماله عليهم من إلًى):

(ولا يحصون):من أحصيت الشّيء بالألف علمته، وأحصيته عددته (مصباح).

(إلًى): النّعم، والآلاء واحدها أَلًى وَإِلْيٌ، ومنه قول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: 13]؛ أي: «فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها منعم»[4].

---

1 – رواه مسلم (2577) مطولا.

2 – جامع العلوم والحكم (2/ 36-34).

3 –رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب الأشعري (ص: 139).

4 – معاني القرءان للزجاج (5/98) /المحقق: عبد الجليل عبده شلبي/عالم الكتب – بيروت/الطبعة: الأولى 1408 هـ – /1988 م.

قال ابن مالك في مثلثه:

وِعظَـــمُ الأَلْيةِ قُل فِيـــهِ أَلَى والنِّعم الآلاء إحداهـا إِلَى

وكالّذين اجعل وكَالَئِ الأُلَى كقولك ائذن للأُلى بالباب

قال السَّمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:قوله: ﴿آلآءَ الله﴾ أي نِعَمه، وهو جمعٌ مفردُه «إِلْيٌ» بكسر الهمزة وسكونِ اللام كحِمْل وأحمال، أو «أُلْي» بضم الهمزة وسكون اللام كقُفل وأقفال، أو«إِلَى» بكسرِ الهمزة وفتح اللام كضِلَع وأضلاع وعِنب وأعناب، أو«أَلَى» بفتحها كقفا وأقفاء، قال الأعشى:

أبيضُ لا يَرْهَبُ الهُزالُ ولا يَقْطَعُ رَحْمي ولا يَخُونُ إِلَّى

يُنشد بكسر الهمزة وهو المشهور وبفتحها؛ ومثله«الآناء» جمع إِنْي أو أُنْي أو إِنَى أو أَنَى. وقال الأخفش: «إِنْوٌ». والآناء: الأوقات كقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾[طٰهٰ: 130]. اهـ.[1]

والمعنى: أن العباد لو حاولوا إحصاء ماعليهم من نعم الله لعجزوا، لأن نعم الله لايحصيها عد، ولايحيطها حد، ولايسعها إلا علم الواحد الصمد، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[إِبْرَاهِيمَ: 34]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النَّحْلِ: 53].

«فإذا علم العبد أنّه يتقلّب في نعم الله ظاهرا وباطنا ليلا ونهارا، ويقظة ومناما، سرّا وعلانية، لا تنفد عطاياه، ولا تنقطع آلاؤه، ولا تنتهي نعماؤه، وأنّه لو اجتهد في إحصاء أنواع النّعم لما قدر، وأنّه لو عمل من الصّالحات ما عمل فإن نعم الله عليه أكثر؛ فأدنى نعمة من نعم الله تستغرق جميع أعماله- أورثه ذلك أن يكون عبدا شكورا، يشكر الله على وافر نعمه، وجميل إحسانه، ويبالغ في الشكر بالقلب واللسان، والعمل بالجوارح.

فمن الشكر بالقلب: الاعتراف بالنعم الباطنة والظاهرة للمنعم، وأنها منه

1 - الدر المصون للحلبي (5/360) /المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط/الناشر: دار القلم، دمشق.

وبفضله، وأنها وصلت إليه من غير ثمن بذله فيها، ولا وسيلة منه توسل بها إليه، ولا استحقاق منه لها، وأنها لله في الحقيقة لا للعبد»[1].

فعلى العبد أن يشكر نعم الله الظاهرة والباطنة التي من الله بها عليه ولا يجحدها، ولا يستهتر بها، فإننا مسؤولون عنها ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:8] فنسأل الله أن يلهمنا الشكر والصواب في الجواب.

فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رَسولَ اللهِ، هَل نَرى رَبَّنا يَومَ القيامةِ؟ قال: «هَل تُضارُّونَ[2] في رُؤيةِ الشَّمسِ في الظَّهيرةِ، ليست في سَحابةٍ؟»، قالوا: لا، قال: «فهَلْ تُضارُّونَ في رُؤيةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، ليس في سَحابةٍ؟» قالوا: لا، قال: «فوالذي نَفسي بيدِه لا تُضارُّونَ في رُؤيةِ رَبِّكم، إلَّا كما تُضارُّونَ في رُؤيةِ أحَدِهما، قال: فيَلقى العَبدَ، فيَقولُ: أيْ فُلُ ألَمْ أُكرِمْك، وأُسَوِّدْك، وأزَوِّجْك، وأسخِّرْ لَك الخَيلَ والإبلَ، وأذَرْك تَرْأَسُ وتَرْبعُ؟ فيَقولُ: بَلى، قال: فيَقولُ: أفَظَننتَ أنَّك مُلاقِيَّ؟ فيَقولُ: لا، فيَقولُ: فإنِّي أنساكَ كما نَسيتَني، ثُمَّ يَلقى الثَّانيَ فيَقولُ: أيْ فُلُ ألَمْ أُكرِمْك، وأُسَوِّدْك، وأزَوِّجْك، وأسخِّرْ لَك الخَيلَ والإبلَ، وأذَرْك تَرْأَسُ وتَرْبعُ؟ فيَقولُ: بَلى أيْ رَبِّ، فيَقولُ: أفَظَننتَ أنَّك مُلاقِيَّ؟ فيَقولُ: لا، فيَقولُ: فإنِّي أنساكَ كما نَسيتَني، ثُمَّ يَلقى الثَّالِثَ، فيَقولُ له مِثلَ ذلك، فيَقولُ: يا رَبِّ آمَنتُ بك وبكِتابِك وبِرُسُلِك، وصَلَّيتُ وصُمتُ وتَصَدَّقتُ، ويُثني بخَيرٍ ما استَطاعَ، فيَقولُ: هاهنا إذًا، قال: ثُمَّ يُقالُ له: الآنَ نَبعَثُ شاهِدَنا عليك، ويَتَفَكَّرُ في نَفسِه: من ذا الذي يَشهَدُ عليَّ؟ فيُختَمُ على فيه، ويُقالُ لفَخِذِه ولَحمِه وعِظامِه: انطِقي، فتَنطِقُ فَخِذُه ولَحمُه وعِظامُه بعَمَلِه، وذلك ليُعذِرَ من نَفسِه، وذلك المُنافِقُ، وذلك الذي يَسخَطُ اللهُ عليه!»[3].

58 - يُفتِي، وَيَشْهَدُ، وَيقْضِي، يَحكُمُ بالحقِّ، يَسْتَفْهِمُ - وهْوَ أعْلَمُ -

---

1 - الفوائد لابن القيم (ص: 183).

2 - «يروى بالتخفيف: أي لا يصيبكم ضير، ويضارُّون مشددة من الضرار: أي لا يضار بعضكم بعضًا بأن تتنازعوا، فتختلفوا فيه، فيقع بينكم الضرار» النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

3 - أخرجه مسلم (2968).

يفتي: «يقال: أفتى الفقيه في المسألة، إذا بيّن حكمها، واستفتيت، إذا سألت عن الحكم، قال الله - تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[النِّسَاء: 176][1]. ويقال منه فتوى وفتيا» (مقاييس اللغة).

وفي المصباح:«الفتوى بالواو بفتح الفاء وبالياء فتضم، وهي اسم من أفتى العالم إذا بيَّن الحكم، واستفتيته سألته أن يفتي، ويقال أصله من الفتي وهو الشّابّ القويّ، والجمع الفتاوي بكسر الواو على الأصل، وقيل يجوز الفتح للتّخفيف» اهـ.

والإفتاء هو: الإخبار عن حكم شرعي من غير إلزام من المفتي، بخلاف القضاء فإنه ملزم.

والمعنى أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبيّن لعباده الأحكام الشرعيّة التّي يطلبون معرفة حكمها كما في قوله تعالى:﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾[النِّسَاء: 127] «أي يستخبرونك فِي النِّساءِ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ يخبركم فِيهِنَّ»[2] ويجيب على سؤالكم «ومضمون ما أفتى به هذا الذي يتلى علينا في الكتاب هو تحريم هضم حقوق اليتيمات، فمن خاف أن لا يقسط في اليتيمة التي في حجره فيتركها ولينكح ما طاب له سواها»[3]؛ وسبحان الله! المُسْتَفتَى أي من طُلبت منه الفتوى هو رسول الله ﷺ، والذي أفتى هو الله جلّ في علاه.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

1 - الكلالة من (كَلَّ) بمعنى تعب، والإنسان الذي ليس له أصل ولا فرع كأنه قد تعب من الحياة فانقطع وحده، ويقال: كلَّ الفرس إذا جرى حتى انقطع، وكلَّ السّيف إذا لم يقطع، وكلّ الإنسان بمعنى: تعب من سيره، فمن هنا جاء اشتقاق الكلالة، وهي من لا والد له ولا ولد.

2 -تفسير الثعلبي (3/394).

3 - أضواء البيان للشنقيطي (1/313).

ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾[النِّسَاء: 176].

«وذلك أنّ الصّحابة أهمّهم بيان شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول قتادة»[1].

وإسناد الإفتاء بصيغة الفعل المقيّد إلى الله تعالى في القرآن، لا يستلزم تسمية الله عزّ وجلّ باسم المفتي؛ فإن باب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

(ويشهد) «(شهد) الشّين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه»[2].

وشهدت الشّيء اطّلعت عليه وعاينته فأنا شاهد، و(الشّهادة) خبر قاطع، وأصلها الإخبار بما شاهده وشهده.«قال أهل العلم: شهد معناه أعلم الله عزّ وجل، بيَّن الله، كما يقال: شهد فلان عند القاضي، إذا بيّن وأعلم لمن الحق وعلى من هو»[3].

قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[المُنَافِقُون: 11]، وقال عزّ وجلّ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المُنَافِقُون: 1]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النِّسَاء: 166].

وفي أسماء الله تعالى «الشهيد» هو الذي لا يغيب عنه شيء.

وفي حديث حجّة الوداع، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، وفيه: «اللّهمّ اشهد، فليبلغ الشّاهد الغائب»[4].

وقال السّعديّ: «الشّهيد، أي: المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات؛ خفيّها وجليّها، وأبصر جميع الموجودات؛ دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه»[5].

---

1 – زاد المسير لابن الجوزي (1/504).
2 – مقاييس اللغة (3/221) لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ).
3 – مقاييس اللغة (مادة شهد).
4 –أخرجه البخاري (7078) واللفظ له، ومسلم (1679)
5 –تفسير السعدي (5/303).

(ويقضي) القضاء: الحكم، والقضاء: الحتم وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: 23]: أي أمر وحتم، وقضى عليه عهدا: أوصاه وانفذه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الإسراء: 3]: أي عهدنا.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ [غافر: 20].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: 23].

ومنه قوله ﷺ لما تخلف عن تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا هذا فقد صدق، فقُمْ حتى يقضيَ الله فيك، فقمتُ»[1] أي ينزل حكمه فيك.

(يحكم بالحقّ): «(حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم؛ والحَكَمُ والحَاكِمُ بمعنى واحد، إلا أنّ الحكم أبلغ من الحاكم، وسميت حَكَمَة الدّابة لأنّها تمنعها، يقال حكمت الّدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السّفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه. قال جرير:

أبني حنيفة أَحْكِمُوا سفهاءَكم إنّي أخافُ عليكمُ أن أغضبا»[2]

(ويحكم) تفسير ليقضي، والحكم مأخوذ من حكمة الشيء إذا عقلته ولم تتركه ينفلت، ولذلك فإن الأحكام الشرعية أي ان الله يقضي أي يحكم بين عباده، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾[الأنعام: 114].

قال ابن جرير: «أي: قل: فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزه؛ لأنه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه».[3]

وأنه تعالى منفرد في حكمه: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26] فحكمه كعبادته، العبادة له وحده، والحكم له وحده جل وعلا؛ لأنّ الله هو الذي له الحكم.

---

1 - خرجه البخاري (4418)، ومسلم (2769).
2 - مقاييس اللغة (حكم).
3 - تفسير ابن جرير (9/ 506).

و قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]. وفي الحديث «إنّ الله هو الحكم، وإليه الحكم»[1] فلايعلم حقيقة العباد ومايصلحهم إلاّ الحكم الخبير، وما أظلم الإنسان حينما يتولّى تشريعات مارقة تتخبّط فيها البشريّة يمنة ويسرة ألا ذلك من الحكم بغير ما أنزل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فما أبعدهم عن العدل، وما أقربهم للظلم والحيف، فتراهم يقرّرون اليوم حكما وينقضونه في غد، حسب مصالحهم الآنية، وشهواتهم الفانية، لأنهم إذا شرعوا لايمكنهم أن يدركوا مآلات الأمور وعواقبها.

فحكمه حق لأنه الحق، وقوله صدق لأنه القائل: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: 122]، وقد اجتمع لفظ الحكم في آيتين متشابهتي اللفظ في سورة يوسف ففي الآية الأولى حكى الله تعالى عن يعقوب أنه قال لأولاده: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[يوسف: 67]. والمقصود بالحكم هنا الحكم القضائي القدري.

وفي قول يوسف لصاحبي السجن قال: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف: 40]. والمقصود هنا الحكم التّشريعيّ.

وقال الشّنقيطيّ: «يفهم من هذه الآيات، كقوله: ولا يشرك في حكمه أحدا أن متبعي أحكام المشرعين غيرماشرعه الله؛ أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم جاء مبينا في آيات أخر، كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾[الأنعام: 121]، فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم، وهذا الإشراك في الطاعة، واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى: هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن

1 – أخرجه أبو داود (4955)، والنسائي (5387) من حديث هانئ بن يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. صححه ابن حبان في صحيحه(504)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (4955)، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (1197)، وجود إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان (504).

لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس: 60، 61]، وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: 44]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾ [النساء: 117]، أي: ما يعبدون إلا شيطانا، أي: وذلك باتباع تشريعه، ولذا سمى الله تعالى الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ [الأنعام: 137]»[1].

(يستفهم وهو أعلم): الاستفهام: «(استفهمه) سَأَلَهُ أَن يفهمهُ، وَيُقَال استفهم من فلاَن عَن الْأَمر طلب مِنْهُ أَن يكْشف عَنهُ»[2].

أي أنّ الله تبارك وتعالى يستفهم وهو أعلم بما يستفهم عنه، لأنه قد أحاط بكل شيء علما، فلم يكن قط استفهامه عن جهل ولا لطلب الاستخبار بل هو أعلم بكلّ الأمور صغيرها، وكبيرها، خفيّها، ومعلنها، فمن ذلك الاستفهام، قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [التوبة: 65-66]، فهذا الاستفهام للإنكار والتعجب، فينكر عليهم أن يستهزئوا بهذه الأمور العظيمة، ويتعجب كيف يكون أحقّ الحقّ محلاً للسخرية؟.

وقد يكون الاستفهام للتنبيه كقوله تعالى لكليمه موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 17]، لينتبه لها الآن على أنّها عصا وسوف يقْلِبُها الله بقدرته إلى حيّة تسعَى ليقيمَ الحجَّة على السّحرة الكفرة وفرعونهم المارق عن عبوديّة سيّده.

وقد يكون الاستفهام للتّقرير كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: 1].

وقد يكون الاستفهام لحكمة يعلمها الحكيم الخبير، ومنه حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم مَلائِكةٌ باللَّيلِ ومَلائِكةٌ بالنَّهارِ، ويجتَمِعون في صلاةِ الفَجرِ وَصلاةِ العَصرِ، ثم يعرُجُ الذين باتوا فيكم، فيسألُهم وهو أعلَمُ بهم:

1 - أضواء البيان للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (3/ 259).
2 - المعجم الوسيط (2/704).

كيف تركتُم عبادي؟ فيقولون: تَرَكْناهم وهم يُصَلُّون، وأتيناهم وهم يُصَلُّون» [1].

قال النووي: «فهذا السؤال على ظاهره، وهو تعبد منه لملائكته كما أمرهم بكتب الأعمال، وهو أعلم بالجميع»[2].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله:(فيسألهم) قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:30]أي وقد وُجد فيهم من يُسَبِّح ويقدِّس مثلكم بنصّ شهادتكم، وقال عياض:» هذا السؤال على سبيل التعبد للملائكة كما أمروا أن يكتبوا أعمال بني آدم وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم من الجميع بالجميع»[3].

فهذه أنواع الاستفهامات الرّبانيّة لعباده:

أ- استفهام تنبيهي.

ب- استفهام إنكاري.

ج- استفهام تقريري.

وليس ثمت استفهام استخباري لأنه أعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

59 - وَمَالَـهُ مُعِينٌ اَوْظَهِيرُ وَمَالَـهُ نِـدٌّ ولانَظِـيرُ

المعين: والظهير بمعنى.

الظّهير: المعين على الأمر.

الند: بالكسر المثل، والنديد مثله، ولا يكون الند إلا مخالفا، والجمع أنداد مثل حمل وأحمال(مصباح).

النظير: تقدم شرحه.

---

1 - رواه البخاري (555) واللَّفظُ له، ومسلم (632).

2 -شرح النووي على مسلم (5/133).

3 -فتح الباري لابن حجر (2/36-37).

(ومالـه) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (معين) يعينه على خلقه لأنه الغني الغنى المطلق، لايستغني عنه أحد، ولايحتاج أحدا، (أوظهير) أيضا المساعد والمعين فلايحتاج إليه، قال تعالى ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[الكهف: 51].

(وما له ند ولانظير) ليس لله مقابل ولامماثل، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص]، وقال الله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:22]، وقال: ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾[المؤمنون:91] «و هذا هو الذي يسمّيه أهل الكلام في إثبات الوحدانية لله:بدليل التمانع، فإنهم يقولون: لو أمكن تعدد الآلهة فإنّ الإلهين إمّا أن يتّفقا، وإمّا أن يختلفا، فإن اختلفا فلابدّ أن يغلب أحدهما الآخر أو لا يغلبه، فإن لم يستطع أحد منهما التّغلب على الآخر فهما عاجزان لايتصفان بالألوهيّة، وإن غلب أحدهما الآخر فالمغلوب غير إله؛ لأنّه غُلِب، والغالب غير إله؛ لأنه كان يمكن أن يُغلب، وما جاز على المثل جاز على مماثله، وإن اتفقا فسيصنعان شيئا، والعالم كله لابدّ أن يكون مصنوعا للإله، فجواهر الأفراد وهي الذرات التي لا يمكن أن يشترك في صناعتها اثنان، وإذا صنعها واحد فقد استغنت عن الآخر، وكلّ جوهر فرد إذا صنعه أحدهما فقد استغنى عن الآخر، والمستغنى عنه غير إله، والآخر مثله؛ لأنّ ما جاز على المثل جاز على مماثله، فانتفى التّعدد بالكليّة، وأخذوا هذا الدّليل من هذه الآية: ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾[المؤمنون:91]» [1].

60 - وَلَمْ يَكُنْ يَؤُودُهُ حِفْظُ السَّمَا وَالأَرْضِ أو يُعجِزُهُ مَنْ فِيهِمَا

(يَؤُودُه): يثقله، آده يئوده أودا أثقله فانآد وزان انفعل أي ثقل به، وبلغ منه المجهود.

قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقامت تُرَائِيكَ مُغْدَوْدِنًا إِذَا مَا تَنُـــوءُ بِهِ آدَهَا

1 - وسيلة الزلفى في شرح مجمل اعتقاد السلف لشيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي.

أي أنّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لايثقله ولايكرثه حفظ السّماء والأرض،قال تعالى: ﴿وسع كرسيه السّموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[البقرة:255].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[فاطر:41].

(أويعجزه من فيهما): (عجز) العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، ولن يعجز الله – تعالى – شيء، أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء. قال تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾[الجن: 12]، وقال تعالى:﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[العنكبوت: 22]. ويقولون: عجز بفتح الجيم (مقاييس اللغة).

وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[النور: 57].

ومعنى البيت: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخالق،المحيطِ قدرتُه بخلائقه لايثقله حفظ السموات والأرض ومن فيهما، ولايعجزه أحد من خلقه فالكل في ملكوته وفي قبضته.

61 - لَمْ يَعْيَ بِالخَلْقِ ابْتِدَاءً مِنْ عَدَمْ كَذَاكَ لا يَعْيَى بِإحيَاءِ الرِّمَمْ

الإعياء: التّعب والكلل.

الرِّمَم: جمع رمة وهي العظام البالية.

(لم يعي) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من (ابتداء) الخلق وإنشائهم (من عدم)، بل أوجدهم بقدرته، ولم يكن ذلك شاقا ولامتعبا له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أدنى تعب فأمره كن للمخلوقات فتكون، قال الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾[الأحقاف: 33] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق: 38] وقال: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ﴾[ق: 15] «والمعنى:أعَجَزْنا عن ابتداء الخَلْق، وهو الخَلْق الأوَّل، فنعيا بالبعث وهو الخلق الثاني؟! وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخالق وأنكروا البعث بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ أي

في شَكٍّ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو البعث»[1].

وقال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ توقيف للكفار وتوبيخ وإقامة للحجّة الواضحة عليهم، وذلك أنّ جوابهم على هذا التوقيف هو لم يقع عي، ثمّ هم مع ذلك في لبس من الإعادة، وهذا تناقض، ويقال عيى يعيى إذا عجز عن الأمر ويلح به، ويدغم هذا الفعل الماضي من هذا الفعل ولا يدغم المستقبل منه فيقال عي، ومنه قول الشاعر عبيد بن الأبرص:

عيوا بأمرهم كـــما عيّت ببيضتها الحمامه

و «الخلق الأول» إنشاء الإنسان من نطفة على التدريج المعلوم، وقال الحسن: «الخلق الأول» آدم عليه السلام، حكاه الرماني، واللبس: الشك والريب واختلاط النظر. والخلق الجديد: البعث في القبور»[2].

(كذاك لايعي بإحياء الرِّمَم): فكما أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يعي بابتداء بخلق الخلق وإيجادهم من عدم، فمن باب أولى ألا يعيا بإعادة الخلق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الرُّوم: 27].

قال العلماء: أَهْوَنُ عَلَيْهِ، أفعل التفضيل هنا ليس على بابه لأن أهون هنا بمعنى «هيِّن إذ المخلوقات كلها ممكنات، والممكنات كلّها متماثلات من حيث هي ممكنة لتعلق الجميع بقدرة واحدة فوجب أن يستوي الجميع في نسبة الإمكان، والقول بترجيح بعضها بلا مرجح ممتنع فلا يكون شيء أكثر سهولة من شيء».

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ألفيته:

وتلـــوُ ألْ طِبْـقٌ ومَا لِمَعْرفَـــهْ أضيف ذو وجهين عن ذي مَعْرِفَه

هذا إذا نويت معنى (من) وإن لم تنـــو فهو طِبْقُ مَـــــــا بِهِ قُرِن

1 – زاد المسير لابن الجوزي (4/158).

2 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(5/159) لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)/ المحقق: عبد السلام عبد الشافي/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما قالوا في قول معن بن أوس:

لعمرك ما أدري وإني لأوجَـل على أيّنا تغدو المنـيَّـــةُ أوَّل

إذ «أوجل» هنا صفة مشبهة وليست أفعل تفضيل.

ومثله قول الشنفرى:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

أي لم أكن بعَجِلِهم.

قال السَّمِين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾: في «أَهْوَن» قولان، أحدهما: أنها للتّفضيل على بابِها، وعلى هذا يُقال: كيف يُتَصَوَّرُ التفضيلُ، والإِعادةُ والبُداءة بالنسبةِ إلى اللَّهِ تعالى على حدٍّ سواء؟ في ذلك أجوبة.

أحدها: أنَّ ذلك بالنسبةِ إلى اعتقاد البشرِ باعتبارِ المشاهَدَة: مِنْ أنَّ إعادَة الشيءِ أهونُ من اختراعِه لاحتياج الابتداءِ إلى إعمالِ فكر غالباً، وإن كان هذا منتفياً عن الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فخوطَبوا بحسَبِ ما أَلِفوه.

الثّاني: أنَّ الضميرَ في «عليه» ليس عائداً على الله تعالى، إنما يعودُ على الخَلْقِ أي: والعَوْدُ أهونُ على الخَلْقِ أي أسرعُ؛ لأن البُداءةَ فيها تدريجٌ مِنْ طَوْرٍ إلى طَوْر، إلى أنْ صارِ إنساناً، وَالإِعادةُ لا تحتاجُ إلى هذه التدريجاتِ فكأنه قيل: وهو أقصرُ عليه وأَيْسَرُ وأقلُّ انتقالاً.

الثّالث: أنَّ الضميرَ في «عليه» يعودُ على المخلوق، بمعنى: والإِعادةُ أهونُ على المخلوقِ أي إعادتُه شيئاً بعدما أَنْشأه، هذا في عُرْفِ المخلوقين، فكيفَ يُنكِرون ذلك في جانب اللَّهِ تعالى؟

والثاني: أنَّ «أهونُ» ليسَتْ للتفضيل، بل هي صفةٌ بمعنى هَيِّن، كقولهم: اللَّهُ أكبرُ[أي]: الكبير. والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «عليه» على الباري تعالى ليُوافِقَ الضميرَ في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يجوز أَنْ يكونَ مرتبطاً بما قبلَه، وهو قولُه: ﴿وَهُوَ

أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: قد ضَرَبه لكم مَثَلاً فيما يَسْهُل وفيما يَصْعُبُ» اهـ[1].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[يٰسٓ: 77 - 82].

والرّميم: والرّمم: من رمَّ العظم إذا بلي يرم فهو رام ورميم أي بال

قال أبو عبيد: قال أبو عمرو: الرِّمَّة: العظام البالية؛ قال لبيد:

والنِّيبُ إن تعرمني رمة خلقا بعد الممات فإنّي كنت أتّئر[2]

قال أبو عبيد: والرَّميم، مثل الرّمة؛ يقال منه: رمّ العظم، وهو يرمّ رمّة، وهو رميم.

وأخبرني المنذري، عن ثعلب، قال: يقال: رمت عظامه، وأرمت، إذا بليت»[3].

ولتوبة بن الحمير العامري:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتـــنا ومن دون رَمْسَيْنَا من الأرض سَبْسَبُ

لظلَّ صدى صوتي وإن كنت رِمَّةً لِصَـوتِ صَدَى ليلى يَهَشُّ ويطـــربُ

---

1 -الدر المصون للسمين الحلبي (9/40).

2 - النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة. مادة (ن ي ب) اللسان (6 / 4591). تعرمني: فيها عدة تأويلات: فيجوز أن تكون من (عرى) بكسر الراء: بمعنى التخلص من الشيء، والمعنى: إن تخلص مني ومن إتعابي بعد مماتي، فإني كنت في حياتي أثأر منها. ويجوز أن تكون (تعر) بضم الراء من الإعراء: أي الإعطاء، يقال: أعريته النخلة: إذا أعطيته ثمرتها، ويكون المعنى: إنها إن أعطيت عظامي لتقضمها فإني كنت أثأر منها في حياتي. ويروى (تعرمني) بفتح التاء وضم الراء وفتح الميم، من عرمت العظم إذا عرقت ما عليه من اللحم والمعنى: أنها إن كانت تأكل رمتي بعد مماتي، فإني كنت أثأر منها في حياتي بنحرها للضيفان.

3 - تهذيب اللغة (15/139).

والآيات الدالة على البعث وإعادة الخلق كثيرة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق:41-45].

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[القمر:6-8].

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[يس:51-54].

إن القرآن قرر إثبات البعث بأدلة منطقية سهلة،يفهمها أدنى من له مسكة عقل، وضرب الأمثالَ بواقع يعيشه المخلوق يوميا،وبنى ذلك على أسس وبراهين تقطع الشك وتزيل الريب فمن ذلك قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الروم: 27]، فبداية الشيء بالنسبة للإنسان أصعب،والإعادة أهون، كمن صنع جهازا لاسلكيا أوغيره لايستحيل عليه أن يصنع ماهو أفضل منه وأحسن بدليل الواقع المحسوس؛ والله تعالى له المثل الأعلى فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عبر في الآية بأهون «اسم تفضيل، وموقعه موقع الكلام الموجَّه، فظاهره أن (أهون) مستعمل في معنى المفاضلة على طريقة إرخاء العنان والتسليم الجدلي»[1]، وإلاَّ فإنّ الله عزّ وجلّ الكلّ عنده تحت أمر (كن) فيكون، فالمفاضلة على غير بابها.

وقوله جَلَّجَلَالُهُ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[مريم:66-67]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

1 - انظر التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور (12/83).

ومن أعظم البراهين على إعادة الإنسان وإحيائه مرّة أخرى هذا النّوم الذي يسلط على الإنسان فيسلب منه شعوره وإدراكه وإذا به جثة هامدة، ثم يأذن الله للروح فتعود مرة أخرى، وهو لايدري كيف نام ولاكيف استيقظ، كآلة انقطع عنها التّيار الكهربائي فانطفأت وعاد إليها فسرت فيها الحركة من جديد. قال تعالى﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الزمر:42]، وقد كان النبيﷺ من دعائه إذا استيقظ من النوم يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[1]

وضرب برهانا بالأرض الميتة التي خمدت فيها حركة الحياة،واندثرت من سطحها النباتات فإذا بالماء ينزل من السماء مباركا طهورا،فتهتزّ الأرض،وتكسى حللا من الخضرة اليانعة ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[الحج:5-7].

وكذلك من البراهين على إعادة الخلق آدم عليه السلام الذي خلقه الله عز وجل من تراب بعد أن ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[الإنسان:1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾[الحج:5].[2]

62 - يُحْدِثُ مَايَشَاءُ مِن خَلْقٍ، ومِـنْ ذِكْرٍ فمَا أَحْدَثَ مِن ذِكْرٍ يُقِـنْ

63 - أن ليسَ مخلوقًا لأنَّ المُحْـدَثَ الـ إِنْزَالُ أمّا الذِّكْرُ فهْـوَ لم يَزَلْ

1 - رواه البخاري(5953، 5955، 5965، 6959) ومسلم (78/8(6986).

2 - المناهل الزّلالة في شرح وأدلة الرّسالة (1/ 262). دار ابن حزم.

64 - ﴿ألا لهُ الخلقُ والأمْرُ﴾، العَطْفُ دَلْ أنْ لَيسَ خَلْقاً مَا مِنَ الأمْرَ نَزَلْ

65 - بَلْ علَّـــمَ القرآن وَالإنْسَـــانَا خَلَقَـــــهُ (عَلَّمَـــهُ البَيَانَ)

يحدث: يجدّد.

الذّكر: مصدرُ ذَكَر الشيء يذكُرُه ذِكْرًا وذُكْرًا، وهو: ما يجري اللِّسان والقلب من ذِكر العبد لربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمقصود به هنا: القرءان، وللذكر معان كثيرة.

يُقِن: من اليقين وهو العلم الحاصل عن نظر واستدلال، ولهذا لا يسمى علم الله يقينا، ويقن الأمر ييقن يقنا من باب تعب إذا ثبت ووضح فهو يقين فعيل بمعنى فاعل، ويستعمل متعديّا أيضا بنفسه وبالباء، فيقال يقنته ويقنت به، وأيقنت به، وتيقنته واستيقنته أي علمته(مصباح).

المحدَث: المتجدّد.

الأمر: الأمر بمعنى الحال جمعه أمور وعليه ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾[هُوْدٍ: 97]، والأمر بمعنى الطلب جمعه أوامر فرقا بينهما، ولا يعني أنّه كلّما ذكرت كلمة (الأمر) في الكتاب أو السنّة مضافة إلى الله، مثل: (أمر الله) أو (الأمر لله)؛ أنّها صفة له.

البيان: «في (البيان) ثلاثة أقوال: أحدها: أسماء كل شيء. والثاني: بيان كل شيء. والثالث: اللّغات»[1].

(يحدث مايشاء من خلق، ومن ذكر) فهنا أمران أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحدث مايشاء أي يجدد، والذي يشاء إحداثه قسمان: إحداث الخلق، وإحداث الذكر.

فإحداث الخلق أي المخلوقات.

وإحداث الذكر أي الكلام، ونوعا الإحداث متباينان من حيث الوصف، لأنّ الخلق مخلوق، والذّكر غير مخلوق لكنه يحدث منه مايشاء، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[الأَعْرَافِ: 54]، فالعطف يقتضي المغايرة، قال البغوي: «له الخلق؛ لأنه خلقهم،

1 - زاد المسير لابن الجوزي (4/206).

وله الأمر يأمر في خلقه بما يشاء؛ قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر»[1].

وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غير محدث ولا مخلوق، وقد دل الله تعالى على صحة ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]»[2].

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:1-3]، فبين أن القرءان معلَّم غير مخلوق، وأن الإنسان مخلوق، وبين القرءان أن كلام الله يتجدد نزوله فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:1 - 2] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: 5].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ (محدث) نعت لـ(ذكر). وأجاز الكسائي والفراء (محدثا) بمعنى ما يأتيهم محدثا، نصب على الحال، وأجاز الفراء أيضا رفع (محدث) على النعت للذكر، لأنك لو حذفت (من) رفعت ذكرا، أي ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث، يريد في النّزول وتلاوة جبريل على النبي ﷺ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت، لا أن القرآن مخلوق»[3].

وقال الثعلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ يعني ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن».[4]

وقال مقاتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مُحْدَثٍ﴾ يقول ما يحدث الله عز وجل إلى النبي ﷺ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ﴾ يعني عن الإيمان بالقرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾»[5].

---

1 - تفسير البغوي (2/ 198).
2 - رسالة إلى أهل الثغر (ص: 125).
3 - الجامع لأحكام القرءان للقرطبي (11/267).
4 - تفسير الثعلبي (6/269).
5 -تفسير مقاتل بن سليمان (3/258).

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما يأتيهم من ذكر، وعظ وتذكير، من الرحمن محدث، أي محدث إنزاله، فهو محدث في التنزيل؛ قال الكلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، إلاّ كانوا عنه معرضين، أي عن الإيمان به»[1]. مُحْدث: مُجَدّد إنزاله»[2].

فمعنى البيت: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحدث مايشاء من الخلق، وينزل مايشاء من الذكر، ولكن يلزمنا يقينا أن ما أحدثه الله من الخلق فهو مخلوق، وما أحدثه من الذكر ليس مخلوقا، والذي دلّ على ذلك المفاصلة بينهما وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] وهو عطفه الأمر على الخلق دليل على المغايرة، ولكن المحدث الإنزال فقط، وأما الذكر فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ يتكلم متى يشاء، بما يشاء، كيف يشاء، ولم يتجدد له شيء من ذلك فهو لم يزل على ما كان عليه.

66 - يَنْسَخُ، يُنْسِي مَا يَشَا، يُبدِّلُ ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَـزِّلُ﴾

(ينسخ) النسخ: الإزالة والتغيير لغة، وفي الاصطلاح: «رفع الحكم الثابت بخطاب متقدّم بخطاب متراخ عنه»[3]، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:106].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أنّ النّسخ لا يلزمه البدل الذي هو الرّأي المتجدّد، لأنّ الله يشرع الحكم الأوّل وهو يعلم أنه سينسخه في الوقت الذي تزول مصلحته فيه وتصير المصلحة في الناسخ.

فإذا جاء ذلك الوقت نسخ الحكم الأول، وعوض منه الحكم الناسخ على وفق ما سبق في علمه أنه سيفعله، كما أن المرض بعد الصحة وعكسه، والموت بعد الحياة وعكسه، والفقر بعد الغنى وعكسه، ونحو ذلك ليس فيه بدءاً لسبق علمه تعالى بأنه سيفعل ذلك في وقته كما هو ظاهر»[4].

---

1 -تفسير البغوي (4/462).

2 - كليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية(1/884) لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)/ المحقق: عدنان درويش - محمد المصري/ الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

3 - مذكرة أصول الفقه للأمين الشنقيطي (79).

4 - نفس المرجع (80).

واعلم أنّه لا نَسْخَ في الأخبارِ، ولا في أُصولِ الدِّينِ، «وأنّ ما ذكره الله من أخبار الجنّة والنّار، والحساب والعقاب، والبعث والحشر والجزاء، وغير ذلك من الأخبار ومسائل الاعتقاد: هي أمور محكمة ثابتة؛ لأنه تعالى إذا أخبر عن شيء فإنما يخبر بعلمه، وعلمه أزليّ لا أوّل له، وهو مطابق للأمر في نفسه، علم ما كان وما يكون وما سيكون، فلو أخبر عن شيء أنه كان أو سيكون، ثم أخبر بنقيض ذلك أو برفعه، لكان ذلك خلفا وكذبا، مستلزما سبق الجهل، وحدوث العلم وتجدده، وهذا مما يعلم ضرورة أن الله تعالى منزه عنه، بل هو من صفات المخلوقين المربوبين، لا من صفات الخالق سبحانه»[1].

قال ابن تيمية: «كتاب الله نوعان: خبر وأمر، أما الخبر فلا يجوز أن يتناقض، ولكن قد يفسِّر أحد الخبرين الآخر، ويبين معناه، وأما الأمر فيدخله النسخ، ولا ينسخ ما أنزل الله إلا بما أنزله الله، فمن أراد أن ينسخ شرع الله الذي أنزله، برأيه وهواه؛ كان ملحدا، وكذلك من دفع خبر الله برأيه ونظره، كان ملحدا»[2].

«وينقسم النسخ باعتبار الناسخ إلى أربعة أقسام:

الأول: نسخ القرآن بالقرآن؛ ومثاله آيتا المصابرة في الأنفال، وآيتا العدة للمتوفى عنها زوجها في البقرة.

الثاني: نسخ القرآن بالسنّة؛ ولم أجد له مثالاً سليماً، ومنهم من يمثل بحديث «لا وصية لوارث»[3].

الثالث: نسخ السنة بالقرآن: ومثاله نسخ استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة، باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ﴾[البقرة: 144].

الرابع: نسخ السنّة بالسنّة، ومثاله قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن النّبيذ في الأوعية، فاشربوا فيما شئتم، ولا تشربوا مسكراً [4]» [5].

1 – الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (ص: 66)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (2/1049).
2 – درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (5/208).
3 – رواه أبوداود(2870) والترمذي (2120) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
4 – رواه مسلم في «صحيحه» من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (3/ 1584) حديث رقم (977) بنحوه.
5 – الأصول من علم الأصول للشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص/55). بتصرف.

والنسخ يشمل:

1- النسخ بالأشد،

2-والنسخ بالأخف،

3- والنسخ إلى غير بدل،

4-ونسخ اللفظ وبقاء المعنى،

5-ونسخ اللفظ والمعنى معا.

(ينسي) ولها معنيان: الإنساء: وهو التأخير، والآخر النسيان.

فأما بالمعنى الأول فقرئ به ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أي نؤخر نسخها، ومنه﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: 37]، وقرأ ابن عامر: «مَا نَنسَخْ» بضم النون، وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحمدت فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ننسأها» بفتح النون مع الهمزة، والمعنى: نؤخرها. قال أبو زيد: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسأها: إذا أخّرتها، ومنه: النّسيئة في البيع.

وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال:

أحدها: نؤخرها عن النّسخ فلا ننسخها، قاله الفراء.

والثاني: نؤخر إنزالها، فلا ننزلها البتة.

والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو علي الفارسي، وقرأ نافع: «أو ننسها» بنونين: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. أراد: أو نُنْسِكَها، من النسيان.

وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال:

أحدها: رفع اللفظ والحكم.

والثاني: تبديل الآية بغيرها، رويا عن ابن عباس، والأول قول السدي، والثاني قول مقاتل.

والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية» [1].

ولذلك كان النسخ في الأوامر رحمة بهذه الأمة، فانظر رعاك الله إلى التدرج في تحريم الربا، والخمر، وسائر الأحكام التي دخلها النسخ تجد أنها حكيمة في حمل الناس على حبّ التشريع والعمل به دون تردد.

(مايشا يُبدِّل) والتّبديل هو إبدال حكم بحكم آخر، وهو نوع من أنواع النّسخ ويكون التّبديل بالمماثل،والمماثل يكون خيرا للنّاس من الأصل لأنّ الله تعالى قال: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾[البقرة:106]، ولاتبديل في كلمات الله القدرية الكونية لقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[فاطر: 43]، وقوله تعالى ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[الأنعام: 34]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وإن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي، فيقع فيه المحو والإثبات، كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات، والعلم عند الله»[2].

وإنما النسخ والتبديل في كلماته التشريعية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[النحل: 101 - 102].

(والله أعلم بما ينزل) ختم البيت الذي فيه تلك الصفات الفعلية من النسخ والإنساء والتبديل بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[النحل: 101]وهي الآية التي مرت معنا في شأن التبديل، فالله أعلم بخلقه ومايطرأ عليهم من أحوال، فله الحكمة البالغة، والقول الفصل، لاإله إلاّ هو من حكيم عليم.

---

1 - زاد المسير لابن الجوزي (1/98).

2 - فتح الباري (11/488) بتصرف يسير.

67 - وَيَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ بِمَا شَاءَ كَمَا شَاءَ لَوَ انَّ الكَلِمَا

68 - مِدَادُهُ البَحْرُ بِسَبْعَةٍ أُمِدْ وَشَجَرُ الأَرْضِ قِلامٌ مَا نَفِدْ

مِدَادُه: المِدادُ: الحِبْر، ويسمى: النِّقْس، وإنما سمي مِداداً لإمداده الكاتب، من قولهم: أمددت الجيش بمَدَدٍ، ومدَّ النهرَ نهرٌ آخرُ. قال الأخطل:

رأتْ بارقاتٍ بالأكُفِّ كأنّها مصابيحُ سُرجٍ أُوقِدَتْ بمِدادِ

أي: بزيت[1].

قَلام: كأقلام جمع قلم، قال الله تعالى: ﴿مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾[لقمان:27]. واستعمل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع الكثرة، قال ابن منظور في لسان العرب، القلم: الذي يكتب به، والجمع أقلام وقلام.

نفد: نفد الشّيء بالكسر نفادا: فَنِيَ (الصّحاح للجوهري).

شرع يتكلم على صفة من صفات الله تعالى وهي الكلام، وهي من صفات الكمال، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء: 164]، فالرّبّ هو المتكلّم، وموسى المتلَقِّي لكلام الله جَلَّجَلَالُهُ،فأكّد الله في الآية الأولى الكلام بالمصدر المثبت النّافي للمجاز، وقد قال ثعلب: «في قوله تعالى: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام»[2]، ولذلك فهو كلام الله حقا لاغيره، ولا خلق كلامه في غيره، ولاعبارة عن كلامه، بلاكيفية منه بدا وإليه يعود.

قال ابن القاسم تلميذ الإمام مالك رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: «أرى من قال: إنّ الله لم يكلّم موسى أن يستتاب، فإن تاب وإلاّ قتل، أراه من الحقّ الواجب، وهو الذي أدين الله عليه، وعلّق ابن رشد قائلا: أما من قال: إن الله عز وجل لم يكلم موسى، فلا إشكال ولا اختلاف في أنّه كافر يستتاب، فإن تاب وإلاّ قتل؛ لأنّه مكذّب لما نصّ الله تعالى

---

1 - الزاهر في معاني كلمات الناس(2/242) للإمام محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)/ المحقق: د. حاتم صالح الضامن / الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/ الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992.

2 - تهذيب اللغة (10/265).

عليه في كتابه من تكليمه إيّاه حقيقة لا مجازا بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النِّسَاء: 164]؛ لأنّ المجاز لا يؤكّد بالمصدر»[1].

و قال البخاري: «إنّ الله عزّ وجلّ ينادي بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، فليس هذا لغير الله جلّ ذكره، وفي هذا «يعني: حديث عبد الله بن أنيس، ذكره بعد كلامه هذا» دليل أنّ صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأنّ صوت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأنّ الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا»[2].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾[الأَعۡرَاف: 143].

وقد قال بعض المعتزلة الضالّين لأبي عمرو بن العلاء – أحد القراء السبعة – رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أريد أن تقرأ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بنصب اسم الجلالة الله، ليكون موسى هو المتكلّم لا الله ! فقال أبو عمرو: هب أنّي قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأَعۡرَاف:143] فبهت المعتزلي![3]

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (يتكلم متى شاء) وهذا يشمل نوعين من أنواع الكلام:

الأول: الكلام الكوني.

الثاني: الكلام التشريعي.

فكلامه الكوني هو الذي يخاطب به خلقه قدرا وتكوينا قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يٰسٓ: 82].

وكلماته لاتنفد ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[لُقۡمَان: 27].

---

1 – البيان والتحصيل (16/399).

2 – خلق أفعال العباد (ص: 149).

3 – والقصة نسبها أيضا ابن كثير لأبي بكر بن عياش المقرئ (1/659)، و انظر شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي (132–131).

وكلامه التشريعي هو الذي انتهى وانحصر بوفاة النبي ﷺ، فلقد كان وحيا إليه وإلى من قبله ممن أرسله الله.

والفرق بينه وبين الكلام القدري التكويني أن هذا الأخير لامنتهى لكلماته، ولاحصر لها، وهو الذي أشار إليه الشيخ بقوله:

لَوَ انَّ الكَلِمَا مِدَادُهُ البَحْرُ بِسَبْعَةٍ أُمِدْ... وَشَجُرُ الأَرْضِ قِلامٌ مَا نَفِدْ...الخ.

وكلام الله الكوني يقف عنده البَرُّ والفاجر لايتعدّاه بَرٌّ ولافَاجِرٌ، فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا قال للبَرِّ أو الفاجر مُتْ فسيموتُ حتما ولارادَّ لكلماته.

وأمّا كلام الله التّشريعي يقف عنده البَرُّ ويتعدّاه الفاجر،فلو قيل للبَرِّ أخرج زكاة مالك وأقم الصّلاة فعل واستجاب، وأمّا الفاجر فلايصلّي ولايزكّي، ولذلك جاء في حديث خالد أنّ كلمات الله الكونية يقف عندها البر والفاجر، فعَنْ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ وَحْشَةً يَجِدُهَا، فَقَالَ لَهُ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا عَلَّمَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ قَالَ لِي: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ يَكِيدُكَ، فَإِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَانُ» [1].

فقوله: « فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ» فالمقصود بها الكلمات الكونية.

فلو أنّ كلمات الله الكونية مدادها (أي الحبر الذي تكتب به) البحر أي ما في

---

1 – أخرجه مالك في الموطأ(3500/ 758) وأحمد في المسند (15461) قال شيخنا شعيب وإسناده ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة 8/61–62 و10/364–365 عن عفان بن مسلم الصفار، بهذا الإسناد.
وأخرجه أبو يعلى (6844)، والعقيلي فيما ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» 24/ 113، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (637)، وأبو نعيم في «الدلائل» (137) من طريق عبيد الله بن عمر القواريري، والبيهقي في «الدلائل» 7/95 من طريق علي بن عبد الله، وفي «الأسماء والصفات» ص 25 من طريق يحيى بن يحيى النيسابوري، وابن عبد البر في «التمهيد» 24/114 من طريق إبراهيم بن مرزوق، أربعتهم عن جعفر بن سليمان، به. وصحح إسناده حسين سليم أسد: إسناده صحيحفي تحقيقه لمسند أبي يعلى (6844).

الدنيا من الماء وأمد بسبعة أبحر من أمثاله، وكُتب بجميع مافي الأرض من أقلام صنعت من كافة أشجار البرية، لنفد المداد، ولم تنفد كلمات الله سبحانه الكونية.

ومعنى البيتين: ويتكلّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متّى شاء، وبما شاء، وكما شاء، يتكلّم بالكلمات التشريعية التي ختم رسالاتها بمحمد ﷺ فلانبي بعده، ويتكلم بكلماته الكونية القدرية التي لاتنفد، بل ولو كتبت بجميع قلام الشجر المخلوق، ومياه البحر ممدودا بسبعة أبحر، لنفد كل ذلك، ولم تنفد كلمات الله الكونية القدرية.

69 - وَرَحمَةً سَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيرِ نِسيَانٍ - عَلَى مَا جَاءَ -

أورد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت صفة السّكوت وهي صفة فعليّة لم ترد في القرءان، ولكن ورد ذكرها في حديثين كلاهما فيه علّة كما أشار الشيخ بقوله (كما جاء)، فعن أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ إلى النبي ﷺ أنه قال: «مَا أَحَلَّ اللَّه فِي كِتَابه فَهُوَ حَلاَل، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَام، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنْ اللَّه عَافِيَته، فَإِنَّ اللَّه لَمْ يَكُنْ يَنْسَى شَيْئًا» ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مَرْيَمَ:64].

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَخْرَجَهُ الْبَزَّار وَقَالَ: سَنَده صَالِح وَصَحَّحَهُ الْحَاكِم، وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيث أَبِي ثَعْلَبَة رَفَعَهُ إلى النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّه فَرَضَ فَرَائِض فَلاَ تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاء رَحْمَة لَكُمْ غَيْر نِسْيَان فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا» وَلَهُ شَاهِد مِنْ حَدِيث سَلْمَان أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ، وَآخَر مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ.اهـ[1].

وهذا الحديث وإن كان في إسناده شيء، لكن معناه يشهد له قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾[المَائِدَة:101]، وكذلك يشهد له قوله ﷺ:«وإنّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»[2].

والحديث الثاني: هو قوله ﷺ: «وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» [3] فهذا أيضاً

1 - الفتح (13/ 266) كِتَاب الاِعْتِصَام بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ.
2 - رواه مسلم (130 - (1337).
3 - الحاكم في المستدرك (2/375)، وأخرجه البيهقي(10/12).

شاهد للسابق في إثبات صفة السكوت، وكلا الحديثين يصل إلى درجة الحسن فيكون بذلك صحيحاً لغيره» اهـ.

قال شيخنا محمد الحسن الددو الشنقيطي: في شرحه مجمل عقيدة السّلف «إنّ الصّفات المتقابلة من صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يذكرها في حيّز واحد؛ ليكون ذلك أسهل لفهمها واستيعابها، فعندما ذكر صفة الكلام ذكر الصفة التي تقابلها وهي صفة السّكوت، وهي أيضاً صفة كمال؛ لأنّ السّكوت يقتضي المعرفة بما يسكت عنه؛ إلى أن قال: ولذلك يقول عبد الله بن الزّبعرى:

فإن أحلف ببيت اللـ ـه لا أحلف على إثم
ما إن إِخْوَةٌ بين قصـ ـور الشَّـام والرّدم
كأمثـال بني رَيْطَـ ـة من عُرْبٍ ومن عجم
هشام وأبو عبـد مـناف مِدْرَهُ الخَصْمِ
وذو الرمحين أشباكَ مـن القوة والحزم
يُكِنُّ القَوْلَ في المجلـ ـس أو يَنْطِق عنْ حُكْمِ[1]

فالسُّكوت إذا كان عن علم فهو صفة كمال» اهـ بتصرف.

70 - أحاط بالنَّاسِ، وَأَيْنَمَا يُوَلّْ مُسْتَقْبِلٌ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ جَلّْ

(أحاط بالنّاس) أثبت لله صفة الإحاطة، أي أنّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ محيط بالخلق علما وقدرة، فلايغيب عنه مثقال ذرة فما دونها أو فوقها، وأحاط بالخلق بقدرته فجميع الخلائق في قبضته، وتحت سلطانه، لايعجزه مخلوق، ولايفوته هارب، ولا يند من ملكه شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الواحد القهار، ودل على ذلك قول الحق جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾[الإِسْرَاءِ: 60]، و قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البَقَرَةِ: 19] وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[الطَّلَاقِ: 12].

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ:«معنى قول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى

1 - كتاب ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي (1/197).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الأنعام: 3]، يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق: 12]، ومن الاعتبار في ذلك: لو أن رجلا كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله -وله المثل الأعلى- قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه»[1].

وقال الزّجاجي: «المحيط في اللغة اسم الفاعل من قولهم: أحاط فلان بالشّيء فهو محيط به: إذا استولى عليه[2]، وضمّ جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلص منه، ولا فوته، فالله عز وجل محيط بالأشياء كلها»[3].

وقال البيهقي: «المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، والقدرة له صفة قائمة بذاته، والعلم له صفة قائمة بذاته»[4].

(وَأَيْنَمَا يُوَلُّ مُسْتَقْبِلٌ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ جَلَّ)، إشارة منه إلى قول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة: 115].

ومعنى الآية أنه قيل فيها أنه يعني به البيت الحرام، فقيل أينما تولوا فثم وجه الله أي فاقصدوا وجه الله بتيمُّمكم القبلة، ودليل من قال هذا القول قوله: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[البقرة:149].[5]

وقد قيل: إنّ قوماً كانوا في سفر فأدركتهم ظلمة ومطر فلم يعرفوا القبلة فقيل لهم: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة: 115] «وأصلُ تُوَلُّوا: تُوَلِّيوا فَأُعِلَّ بالحَذْفِ.

---

1 - الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 148).

2 - الله سبحانه هو خالق الأشياء وهي في قبضته لم ينازعه أحد عليها حتى يستولي عليها، فأظن أن العبارة تحتاج إلى لفظ آخر.

3 - اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص: 46).

4 - الاعتقاد للبيهقي (ص: 67).

5 - معاني القرءان للزجاج (1/197).

وقرأ الجمهور: تُوَلُّوا بضم التاء واللام بمعنى تَسْتقبلوا، فإنَّ «وَلَّى» وإن كان غالبُ استعمالِها أَدْبَر فإنها تقتضي الإِقبالَ إلى ناحية ما. تقول: وَلَّيْتُ عن كذا إلى كذا» [1].

فالمقصد في توليكم هو ابتغاؤكم وجه الله، لا الحجارة، ولا البيت، ولا المقدس، بل وجهتكم هي أن تبتغوا بذلك وجه الله.

وفي كلام الشيخ إثبات صفة الوجه لله تعالى، وهي صفة ثابتة بالكتاب والسنة، قال تَعالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: 272]، و قَولُه سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[الرعد: 22].

وعن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنَّك لنْ تُخلَّفَ فتعملَ عملاً تَبتغي به وَجْهَ اللهِ، إلَّا ازددتَ به درجةً ورِفعةً»[2].

وعن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا في الثلاثةِ الَّذين حُبِسُوا في الغارِ، فقال كُلُّ واحدٍ منهم: «اللهمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك؛ ففرِّجْ عنَّا ما نحنُ فيه»[3].

قال ابن رشد: «لا اختلاف بينهم أيضا في جواز إطلاق القول بأنّ لله يدين ووجها وعينين؛ لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك، والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد؛ إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين، وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس، وقالوا: لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقل ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات، كما يقال: وجه الطريق، ووجه الأمر ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات، والمراد باليدين النعمتان، وقوله تعالى: (بيدي)، أي: ليدي؛ لأن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض، والصّواب قول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى، وهو الذي قاله مالك في هذه الرواية»[4].

---

1 – الدر المصون للسمين الحلبي (2/81).
2 – أخرجه البخاري (6733)، ومسلم (1628).
3 – أخرجه البخاري (2272) واللفظ له، ومسلم (2743).
4 – البيان والتحصيل (16/401).

و قال الشافعي: «لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، وأن له وجها بقوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[القصص:88]، وقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[الرحمن: 27]»[1].

وقال ابن منده: «من صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾، وقال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، وكان النبي ﷺ يستعيذ بوجه الله من النار والفتن كلها، ويسأل به، ثم سرد أحاديث بسنده، ثم قال: (بيان آخر يدلّ على أنّ العباد ينظرون إلى وجه ربهم عزّ وجلّ)، وسرد بسنده ما يدلّ على ذلك»[2].

وقال المقدسي: «من الصفات التي نطق بها القرآن، وصحت بها الأخبار: الوجه، قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ ؛ فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب وخبر الصادق الأمين؛ فيجب الإقرار بها والتسليم، كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات»[3].

والوجه في القرءان يطلق به الوجه الذي هو الصفة الثابتة لله عز ومنها قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾.

ويطلق ويراد به ذات الإله سبحانه ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ أي يبقى الله ذوالجلال والإكرام.

ويطلق ويراد به سبيل الله كأن تقول أعطيت الفقير كذا لوجه الله أي في سبيله؛ والله أعلم.

71 - قدِ اسْتَوَى إلَى السَّمَاءِ وَاسْتَوَى بعدُ على العَرْشِ بِخُلْفِ المُحْتَوَى

(استوى): حقيقة الاستواء في اللّغة: التّساوي واستقامة الشّيء واعتداله.

1 - طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (1/282).
2 - مجموع الفتاوى لابن تيمية (3/36)..
3 - الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: 96، 98).

وقد ورد في كلام العرب على معان اشترك لفظه فيها؛ فيكون بمعنى الاستقرار، ويكون بمعنى القصد، ويأتي بمعنى العلوّ والرّكوب ؛ ويأتي بمعنى المماثلة والمساواة كقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ﴾[الرعد: 16] وجاء بهذا المعنى في سبع عشرة موضعاً[1].

قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم (أي الفرية والكذب). قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا، إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه؛ والله عزّ وجلّ لم يزل مستوليّا على الأشياء؛ والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللّغوي ؛ ولو صحا، فلا حجّة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستوليا. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسّمة اهـ[2].

السّماء: السين والميم والواو أصل يدل على العلو، يقال سموت، إذا علوت سقف البيت. وكل عال مطل سماء، حتى يقال لظهر الفرس سماء، ويتسعون حتى يسموا النبات سماء. قال:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ويقولون: «ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم» يريدون الكلأ والمطر.

والمقصود هنا السماء العليا ما فوق السموات السبع.

العرش: لقد وردت مادة: (عرش) بجميع صيغها في ثلاث وثلاثين موضعاً، في كتاب الله مختلفة الصيغ والأبنية، وتتّفق في معنى مشترك وهو العلو والارتفاع.

قال القرطبي: (وأصل التّعريش: الرفع، يقال: عرش يعرش، إذا بنى وسقف).[3]

«وقال الليث: العرش: السرير للملك، والعرش، والعريش: ما يستظل به.

---

1 - انظر محاسن التأويل للقاسمي، 7/2704.

2 - والمقصود بالبيتين:

حتى استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقول الآخر:

هما استويا بفضلهما جميعا على عرش الملوك بغير زور

3 - الجامع للقرطبي (7/272).

قال: وعرش الرجل: قوام أمره، فإذا زال قوام أمره، قيل: ثل عرشه»[1].

وقال الجوهري: «العرش: سرير الملك، وعرش البيت: سقفه، والعرش، والعريش: ما يستظلّ به، وعرش القدم: ما نتأ في ظهرها، وفيه الأصابع، وعرش البئر» طيها بالخشب، بعد أن يطوى أسفلها بالحجارة قدر قامة، فذلك الخشب هو العرش، والجمع عروش»[2].

استواء الله جَلَّجَلَالُهُ على العرش صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة، وقد جاء فعل استوى متعديا بـ: (على)، ومتعديا بـ: (إلى)، فما كان متعديّا بعلى فهو الاستواء على العرش، وإذا كان متعديا بـ:إلى فهو الاستواء إلى السماء، ولكن (بخلف المحتوى) أي أنّ الاستواء إلى السّماء ليس كالاستواء على العرش، قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بخلف المحتوى للفعلين لاختلاف الحرف المعدي، وباختلافه يختلف المعنى:كرغب عن الشيء، ورغب فيه»اهـ[3].

وقد جاءت صفة الاستواء على العرش المباركة في سبع آيات مباركة قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طٰهٰ: 5]، وفي الأعراف، ويونس، والرّعد، والفرقان، والسجدة، والحديد.

قال الأشعري في مقالات الإسلاميّين:

وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنّه على العرش كما قال عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طٰهٰ: 5] ولا نقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وأنه نور كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[النُّور: 35] وأنّ له وجهاً كما قال الله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾[الرَّحۡمَٰن: 27] وأنّ له يدين كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[صٓ: 75] وأنّ له عينين كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القَمَر: 14] وأنّه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[الفَجۡر: 22] وأنّه ينزل إلى السّماء الدّنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئاً إلاّ ما

1 – تهذيب اللغة (1/413).
2 – تهذيب اللغة (مادة عرش).
3 – التسهيل (1/13).

وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرّواية عن رسول الله ﷺ ، وقالت المعتزلة أنّ الله استوى على عرشه بمعنى استولى[1].

أمّا منهج أهل البدع فعن أشهب بن عبد العزيز قال سمعت مالك بن أنس يقول: إيّاكم والبدعَ؟ قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسمائه وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصّحابة والتّابعون»[2].

وقال ابن رشد: «أمّا من قال: إنّ الاستواء بمعنى الاستيلاء فقد أخطأ؛ لأنّ الاستيلاء لا يكون إلاّ بعد المغالبة والمقاهرة، والله يتعالّى عن أن يغالبه أحد، وحمل الاستواء على العلوّ والارتفاع أولى ما قيل، كما يقال: استوت الشّمس في كبد السّماء، أي: علت»[3].

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «إنّ الله إله واحد، لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له... وأنّه فوق عرشه المجيد بذاته»[4].

وقال أيضا: «ممّا أجمعت عليه الأئمّة من أمور الدّيانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، أنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وأنّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كرسيّا كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255]، وممّا جاءت به الأحاديث أنّ الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء، قال مجاهد: كانوا يقولون: ما السّموات والأرض في الكرسيّ إلاّ كحلقة ملقاة في فلاة، وكلّ ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول مالك؛ فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه»[5].

---

1 – مقالات الإسلاميين للأشعري (211) دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الثالثة.

2 – رواه الصابوني في عقيدة السلف (54)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (104–1/103) وعنهما الدعجان في كتابه عقيدة الإمام مالك (45).

3 – المقدمات الممهدات (1/ 21).

4 – مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص: 56).

5 – الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص: 117–107).

وقال ابن أبي زمنين: «من قول أهل السنّة: أنّ الله عزّ وجلّ خلق العرش واختصّه بالعلوّ والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثمّ استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طٰهٰ: 5]﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾[الحديد:4]»[1].

وقال أبو عمرو الداني: «من قولهم: إنّ الله سبحانه خلق العرش، واختصّه بالعلوّ والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثمّ استوى عليه كيف شاء، من غير أن يحدث تغيّرا في ذاته، لا إله إلاّ هو الكبير، وأنه تبارك وتعالى خلق الكرسي، وهو بين يدي العرش».[2]

ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسّؤال عنه بدعة» [3].

قال الحافظ الذهبي في كتاب العلوّ بعد ذكره لقول مالك: «وهو قول أهل السنّة قاطبة: أنّ كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به: لا نتعمّق، ولا نتحذلق، ولانخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ؛ بل نسكت ونقف كما وقف السّلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصّحابة والتّابعون ؛ ولما وسعهم إقراره وإمراره والسّكوت عنه ؛ ونعلم يقيناً مع ذلك أنّ الله جَلَّ جَلَالُهُ لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[4].

ولذلك بين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الصفة نافيا تعطيل المعطلة وتشبيه المشبهة فقال:

72 - وَلَيْسَ كَاستِوَائِنَا نَحْنُ عَلَى الْـ ـفُلْكِ والأَنْعَامِ، بَلْ العَرْشَ حَمَلْ

73 - وحَامِلِيهِ..... .....

---

1 - أصول السنة (ص: 88).

2 - الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات (ص: 139).

3 - أخرجه الدار مي في الرد على الجهمية (ص33) واللالكائي (664)،وأخرجه البيهقي عن عبد الله بن وهب وجود إسناده، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد وغيرهم كثير.

4 - انظر محاسن التأويل للقاسمي (7/2704).

أي (وليس) استواؤه (كـ)مثل (استوائنا، نحن على الفلك) أي السّفن (و) كاستوائنا على (الأنعام) أي كركوبنا على الدوّابّ، فنحن نحتاج إلى الاستواء على هذه المراكب، ولكنّ الله تعالى غنيّ عن العرش وعن حملة العرش، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد حمل العرش وحامليه بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كن فيكون، لأنّه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[فَاطِر:41]،أي ما أمسكهما أحد من بعده، وقال سبحانه:﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحَجّ:65].

وحملة العرش أخبرنا عنهم القرءان وسيدنا محمد خير ولد عدنان ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[غَافِر: 7].

وقال الله سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحَاقَّة: 17].

قال ابن تيمية: «فأخبر أن للعرش حملة اليوم، ويوم القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين»[1].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[2].

قال المناوي: «هذا محتمل لأن يكون رآه وأن يكون أوحي إليه به «أن أحدث» أصحابي أو أمتي «عن ملك» بفتح اللام: أي عن شأنه أو عظم خلقه «من ملائكة الله تعالى» قيل: هو إسرافيل، أضيف إليه لمزيد التفخيم والتعظيم، «من حملة العرش»

1 – (مجموع الفتاوى) (6/ 550).

2 –أخرجه أبو داود (4727) واللفظ له، والطبراني في (المعجم الأوسط) (4421) بلفظ: (سبعين) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (846). صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود) (4727)، والوادعي في (الصحيح المسند) (265)، وصحح إسناده الذهبي في (العلو) (97)، وجوده ابن كثير في (تفسير القرآن) (8/239)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج (سنن أبي داود) (4727)، وقال ابن حجر في (فتح الباري) (8/533): إسناده على شرط الصحيح.

أي: من الذين يحملون عرش الرحمن، الذي هو أعظم المخلوقات المحيط بجميع العوالم، والعرش: السرير، «ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة» وفي رواية: سبعين عاما. أي: بالفرس الجواد، كما في خبر آخر، فما ظنك بطوله وعظم جثته؟! وشحمة الأذن ما لان من أسفلها، وهو معلق القرط، والعاتق ما بين المنكب والعنق، وهو موضع الرداء»[1].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبّح حملة العرش، ثم سبّح أهل السّماء الذين يلونهم، حتّى يبلغ التّسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربّكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضا، حتّى يبلغ الخبر هذه السّماء الدنيا» [2].

قال أبو العباس القرطبي: «فيه ما يدلّ على أنّ حملة العرش أفضل الملائكة وأعلاهم منزلة، وأنّ فضائل الملائكة على حسب مراتبهم في السّموات، وأنّ الكلّ منهم لا يعلمون شيئا من الأمور إلاّ بأن يعلمهم الله تعالى به، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: 26، 27].

وفيه ما يدل على أن علوم الملائكة بالكائنات يستفيده بعضهم من بعض إلا حملة العرش؛ فإنهم يستفيدون علومهم من الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنهم هم المبدوؤون بالإعلام أولا، ثم إن ملائكة كل سماء تستفيد من التي فوقها»[3].

عن حسان بن عطية قال: «حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم، فيقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول أربعة: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك»[4].

---

1 – فيض القدير (1/ 458).

2 – أخرجه مسلم (2229).

3 – المفهم (5/ 638).

4 – أخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء) (6/74). قوى إسناده الألباني في (العلو). وأخرجه من طريق آخر البيهقي في (شعب الإيمان) (364) من قول هارون بن رئاب.

73 - .....وإلى دُنْيَا السَّمَا يَنْزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ، لا مِثْلَ مَا

من الصّفات الفعلية الكمالية صفة النّزول، وإليها أشار بقوله (وإلى دنيا السّما) ينزل ربّنا نزولا يليق بجلاله وذلك (كلّ ليلة) عندما يبقى الثّلث الأخير من اللّيل كما ثبت ثبوتا صحيحا عن خير البشر ﷺ: فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» [1].

وعَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ، وَلَأَخَّرْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ هَبَطَ اللهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَيَقُولَ قَائِلٌ: أَلا سَائِلٌ يُعْطَى، أَلا دَاعٍ يُجَابُ، أَلا سَقِيمٌ يَسْتَشْفِي فَيُشْفَى، أَلا مُذْنِبٌ يَسْتَغْفِرُ فَيُغْفَرَ لَهُ؟»[2].

وعن شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: وفيه «ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ العِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلاَةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[3].

---

1 -البخاري (1145) (7494)، ومسلم (758).

2 - أخرجه أحمد (967)، والدارمي (1484) واللفظ لهما، والنسائي في (السنن الكبرى) (10319) باختلاف يسير من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج (مسند أحمد) (967)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تخريج (مسند أحمد) (2/203) وأصل الحديث في صحيح مسلم (758) بلفظ: (ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر).

3 - أخرجه البخاري (7517). هذا الحديث مما اختلف أهل العلم فيه؛ فمنهم من جعله من أوهام شريك بن أبي نمر، وأن الدنو والتدلي إنما هو لجبريل، كما في سورة النجم، ومنهم من جعل هذا الدنو والتدلي غير الذي في سورة النجم؛ فيكون الذي في السورة لجبريل، وهذا لله عز وجل، وانتصر لهذا القول ابن القيم في مدارج السالكين (3/322).

قال أبو حنيفة عندما سئل عن حديث نزول الرّبّ تبارك وتعالى: «ينزل بلا كيف»[1].

وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في الأحاديث التي جاءت أنّ الله يهبط إلى السّماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث: «إن هذه الأحاديث قد رواها الثّقات؛ فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسّرها»[2].

وقال أبو عمر الطلمنكي المالكي: «أجمعوا يعني: أهل السنّة والجماعة على أنّ الله ينزل كلّ ليلة إلى سماء الدّنيا على ما أتت به الآثار، كيف شاء، لا يحدون في ذلك شيئا».[3]

وقال ابن أبي زمنين المالكي: «ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك، من غير أن يحدوا فيه حدا»[4].

73 - .... لا مِثْلَ مَا

74 - ينزِلُ مَخْلُوقٌ بِإخْلاَ حَيِّزِ منهُ، وَشُغْـلِ حَيِّزٍ فَمَيِّزِ

ونزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (لا) كـ(مثل ماينزل مخلوق) من المخلوقات، حيث يقوم ذلك المخلوق (بإخلا)ء (حيِّز)أي مكان كان يملؤه فيخلي نفسه (منه و) ينتقل إلى (شغل)أي ملء (حيّز) أي مكان آخر كان فارغا (فميز) أيّها العاقل الفرق، لأنّ الله ليس كمثله شيء، فهو ينزل نزولا يليق بجلاله، فيجب علينا الإيمان بالنزول، ولسنا مطالبين بالكيفية، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخان،

1 - عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: 222).
2 - مجموع الفتاوى لابن تيمية (4/186)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (1/139).
3 - شرح حديث النزول لابن تيمية (ص: 188).
4 - أصول السنة (ص: 110).

فقال لها وللأرض: ائتيا طوعا أو كرها؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة، حتى يقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر» [1].

وقال أيضا: قد تأول قوم من المنتسبين إلى السنة والحديث حديث النزول، وما كان نحوه من النصوص التي فيها فعل الرب اللازم؛ كالإتيان والمجيء والهبوط، ونحو ذلك» ورد على ذلك مُثْبِتًا هذه الصفات، وقال -بعد أن ذكر روايات ابن منده لحديث النزول-: «فهذا تلخيص ما ذكره عبد الرحمن بن منده مع أنه استوعب طرق هذا الحديث وذكر ألفاظه؛ مثل قوله: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا مضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك؛ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حَتَّى يُضِيءَ الفجر»[2]، وفى لفظ: «إذا بقي من الليل ثلثاه يهبط الرب إلى السماء الدنيا»، وفي لفظ: «حتى ينشق الفجر ثم يرتفع»[3]، وفي رواية «إذا مضىَ ثُلُثُ اللَّيلِ الأوَّلُ هبَطَ الله تعالى إلى السَّماءِ الدُّنيا، فلمْ يزَلْ هناكَ حتى يَطلُعَ الفجرُ»[4]، وفي روَاية: «يقول: لا أسأل عن عبادي غيري؛ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟»[5]، وفى رواية عمرو بن عبسة: «أنّ الرّبّ يتدلّى في جوف اللّيل إلى السّماء الدّنيا»[6] [7].

---

1 - دقائق التفسير (6/424).

2 - رواه مسلم (169 - 758).

3 - أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (500)

4 - أخرجه أحمدُ (967)، والدارميُّ (1484) واللفظ لهما، والنسائي في السنن الكبرى (10319) باختلاف يسير من حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه. صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد (967)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تخريج مسند أحمد (2/203) .

5 - رواه الدارمي (1522) وإسناده صحيح كما قال المحقق : حسين سليم أسد الداراني.

6 - أخرجه أحمد في المسند (19433) قال شيخنا شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه بين سُلَيم بن عامر، وعمرو بن عَبَسة، على خطأ في متنه، واختُلف فيه على يزيد بن هارون، كما سيرد، وأخرجه ابنُ سعد(4/215) مختصراً، وعبد بن حميد (297)، وأخرجه الدارقطني في (النزول) (66) مختصراً و(67)، وللبزار عن قتادة «خيار ولد آدم . الخ» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/258) رجاله رجال الصحيح

7 - مجموع الفتاوى (5/394).

وقال ابن حجر: «أصل التّدلّي: النّزول إلى الشّيء حتّى يقرب منه» [1].

قال شيخنا محمد الحسن الدّدو حفظه الباري: «وهذا النزول يجب الايمان ولا يبحث عن كيفيته، فهو على ما يليق به، فمن المعلوم أن ثلث الليل في كل مكان يختلف عن ثلثه في المكان الآخر، وذلك يدلّ على اختلاف صفة الله عن صفات المخلوقين، فالمخلوق هو الذي إذا كان في ثلث الليل هنا في هذا البلد كان غيره في ثلث اللّيل أوفي أوّله أو في آخره في مكان آخر.

أما الخالق فلا يمكن أن يحيط به اللّيل ولا النهار، فذكر ثلث الليل هو باعتبار المخلوق لا باعتبار الخالق فالخالق لا يحيط به ليل ولا نهار سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فالليل والنهار شأن السموات والأرض، والسموات السبع والأرضون من السبع كلتاهما في قبضة يمينه»اهـ [2].

75 - وهو العليّ لاتحـدُّه جِهَـهْ ضَـلَّ المعطِّلـــة والمُشَبِّهَهْ

المعطلة: المعطلة هم الذين عطلوا الأسماء والصّفات فنفوها أو أوّلوها، كالجهمية والمعتزلة، وهم قسمان: المعتزلة والجهمية، فالمعتزلة نفوا الصّفات وأثبتوا الأسماء، والجهميّة نفوا الأسماء والصّفات، وعليه فإنّ التّعطيل قسمان: تعطيل ناقص كتعطيل المعتزلة والأشعرية الكلامية، وتعطيل كامل كتعطيل الجهمية.

المشبهة: هم الذين شبهوا الله ومثلوه بخلقه.

شرع يتكلم على صفة من صفات الله المباركة فقال: (وهو) الله سبحانه من أسمائه الحسنى (العلي)

(العَلِيُّ) على خلقه علو ذات،وقهر،وقدر،فإن من لوازم العلي العلو المطلق بكل اعتبار،ومن جميع الوجوه.

1 - فتح الباري لابن حجر (13/484).
2 - وسيلة الزلفى عند الكلام على النزول.

وقد أثبت العلوّ علماء السنّة في المغرب كابن أبي زمنين في «أصول السنّة»[1]، ونحوه أبو المطرف القنازعيّ القرطبي في تفسير الموطأ[2]: أنّ الله فوق عرشه، وهو في كل مكان بعلمه «وأبو القاسم المقري كما في شرح الملخص لمسند الموطأ لأبي الحسن القابسي[3]، وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القيروان فيقول: الحمدلله الذي على العرش استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى» [4].

قال الأزهري: «وتفسير هذه الصّفات لله تعالى يقرب بعضها من بعض، فالعليُّ: الشّريف، فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء، ويقال: هو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته».

والأعلى هو الله الذي أعلى من كلّ عال، واسمه الأعلى، أي: صفته أعلى الصّفات [5].

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَى﴾ [اللَّيْل:19-20] ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البَقَرَة:255].

قال ابن جرير: «العليّ: الفعيل، من قولك: علا يعلو علوا: إذا ارتفع، فهو عال وعلي، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته»[7].

وقال أيضا: «وهو ذو علوّ وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلّها دونه؛ لأنّهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته»[8].

1 – أصول السنة لابن أبي زمنين (88).
2 – تفسير الموطأ(1/401).
3 – اجتماع الجيوش الإسلامية (2/157).
4 –ترتيب المدارك لعياض(4/214).
5 – تهذيب اللغة (3/186).
6 – الأعلى(1).
7 –تفسير ابن جرير (4/ 544).
8 – تفسير ابن جرير (20/ 466).

وقال البغويّ: «هو العلّي الرّفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلي بالملك والسلطنة»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة باللّيل وملائكة بالنّهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثمّ يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟، فيقولون: تركناهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلون» [2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيّب فإن الله تعالى يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» [3]، وأنت أعلم بالصعود إلى أي جهة يكون.

وجاء التصريح بأنه سبحانه في السّماء فقال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: 16-17].

فالسّماء جنس للعالي يتناول كلّ ماسما كالسّموات والكرسيّ والعرش، فقوله في السّماء أي في العلو، دون السفل، فهو سبحانه العليّ الأعلى، ولذلك جاء من أسمائه الظاهر فليس فوقه شيء، وهو فوق كل شيء،ولايستلزم كونه في السماء أن يكون في شيء موجود،و(في) بمعنى (على) كقوله تعالى ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة:2] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:71] أي على، ولم يقل أحد فيما نعلم أنه أراد أن يصلبنهم داخل النخل لما يلزم منه المشقة وعدم وقوع الشيء مطابقا للوعيد الذي وعدهم إياه فرعون اللعين.

قال ابن مالك في ألفيته:

على للاستعلا، ومعنى في، وعن بعن تجاوزا عَنَى من قد فطِن

قال زروق: وفي أجوبة عزّ الدّين بن عبدالسّلام لما سئل عن قول الشيخ «وأنّه

1 -تفسير البغوي (1/ 349).

2 - أخرجه مالك الموطأ(123)، والبخاري (555)، ومسلم(1376).

3 - أخرجه مالك «الموطأ» (615)، و البخاري (1344) ومسلم (1014).

فوق عرشه المجيد بذاته» هل يفهم منه القول بالجهة أم لا؟ وهل يكفر معتقدها أم لا؟ فأجاب:بأنّ ظاهر ماذكره القول بالجهة، وأنّ الأصحّ أنّ معتقد الجهة لايُكفَّر[1].

وقال إمام الحرمين أبو محمد الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر رسالة (الاستواء والفوقية) في تقريب هذه المسألة إلى الأفهام بمعنى من علم الهيئة والفلك لمن عرفه قال: «لا ريب أنّ أهل العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح، لأنه ببرهان لا يكابر الحسّ فيه بأن الأرض في جوف العالم العلوي وأنّ كرة ا لأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأن سفل العالم هو جوف كرة الأرض وهو المركز، وهو منتهى السّفل والتّحت وما دونه لايسمّى تحتًا، بل لا يكون تحتا ويكون فوقا بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق، ولو نفذ الخرق جهة السّماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق، وبرهان ذلك أنا لو فرضنا مسافرا سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وامتدّ مسافرا، لمشى مسافرا على الكرّة إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو في سفره هذا لم يبرح الأرض تحته والسماء فوقه، فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض لا تحتها،لأنّ السّماء فوق الأرض بالذّات فكيف كانت السّماء كانت فوق الأرض من أي جهة فرضتها.

قال: (وإذا كان هذا جسم وهو السماء – علوها على الأرض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كلّ شيء بالذات كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى:1] وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50] لأنّ فوقيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلوّه على كلّ شيء ذاتي له فهو العلي بالذات، والعلوّ صفته اللائقة به كما أن السّفول والرّسوب والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه؛ والعلوّ والسّفول حدّ بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه عليٌّ بالذات، وهو كما كان قبل خلق الأكوان وما سواه مستقلّ عنه بالذّات، وهو سبحانه العليّ على عرشه يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ثمّ يعرج الأمر إليه، فيحيي هذا، ويميت هذا، ويمرض هذا، ويشفي هذا، ويعزّ هذا، ويذل هذا، وهو

1 – انظر شرح زروق على الرسالة (ص28) ط/دار الفكر 1402– 1982

الحيّ القيّوم القائم بنفسه وكلّ شيء قائم به». اهـ[1]

وقال ابن عبد البر: «أما قوله في هذا الحديث للجارية: (أين الله؟) فعلى ذلك جماعة أهل السنة، وهم أهل الحديث ورواته المتفقهون فيه، وسائر نقلته كلهم يقول ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: 5]، وأن الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان، وهو ظاهر القرآن في قوله عز وجل:﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[الملك: 16] وبقوله عز وجل:﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[فاطر: 10] وقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[المعارج: 4] ومثل هذا كثير في القرآن، ولم يزل المسلمون إذا دهمهم أمر يقلقهم فزعوا إلى ربهم، فرفعوا أيديهم ووجوههم نحو السماء يدعونه، ومخالفونا ينسبونا في ذلك إلى التشبيه، والله المستعان، ومن قال بما نطق به القرآن فلا عيب عليه عند ذوي الألباب!» [2].

(لاتحدّه) أي لاتحيط به سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كالحوادث (جهة) والجهة من الألفاظ المجملة التي يستفصل فيها فإن قصد بها مكان محصور فهي منفية عن الله، وإن قصد بها العلو المطلق أي الجهة العامة مثبتة، فقوله: لا تحدّه جهة أي الخاصة بأن يكون محدودا بها.

(ضَلَّ المُعَطِلَةُ وَالمُشَبِّهَه) بين أن هذا النوع من الصفات ضلّ فيه فريقان من الناس؛ المعطلة وهم نفاة الصفات، والمشبّهة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه[3].

76 - قَدْ اصْطَفَى مِنْ مَلَكٍ وَمِنْ بَشَرْ رُسْلاً فَأَدَّوْا عَنْهُ مَا بِهِ أَمَرْ

الاصطفاء: صفو الشيء بالفتح خالصه، والصفوة بالهاء والكسر مثله وحكي التثليث وصفا، وصفاء إذا خلص من الكدر فهو صاف وصفيته من القذى تصفية

1 - الاستواء والفوقية للجويني (78) دار طويق- الرياض، ط الأولى 1998 تحقيق: أ.أحمد معاذ بن علوان حقي.
2 -الاستذكار (7/ 337).
3 - انظر وسيلة الزلفى (115).

أزلته عنه وأصفيته بالألف آثرته(مصباح).

الملك: مفرد الملائكة، والملائكة مشتقة من لفظ الألوك، وقيل من المألك الواحد ملك وأصله ملأك ووزنه مفعل، فنقلت حركة الهمزة إلى اللاّم وسقطت فوزنه معلّ، فإنّ الفاء هي الهمزة وقد سقطت، وقيل مأخوذ من لأك إذا أرسل فملأك مفعل فنقلت الحركة وسقطت الهمزة وهي عين فوزنه مفل وقيل فيه غير ذلك(مصباح).

البشر: الباء والشين والراء أصل واحد: ظهور الشّيء مع حسن وجمال، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان، ومنه باشر الرجل المرأة، وذلك إفضاؤه ببشرته إلى بشرتها، وسمّي البشر بشرا لظهورهم (مقاييس اللغة).

الرسل: الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدلّ على الانبعاث والامتداد(مقاييس اللغة)، وأرسلت رسولا بعثته برسالة يؤدّيها فهو فعول بمعنى مفعول، يجوز استعماله بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع، ويجوز التثنية والجمع، فيجمع على رُسُل بضمتين وإسكان السّين لغة (مصباح).

(قد اصطفى) أي اختار الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لإيصال رسالته (من ملك) كجبريل إلى رسله وأنبيائه، (ومن بشر) كمحمد خاتم النبيين والمرسلين حيث جاؤوا (رسلا) إلى أقوامهم، أو إلى العالمين كنبيّنا ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[الحج: 75]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[الأعراف: 144]، وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: 33 - 34]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[النمل: 59]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[الأنعام: 124] فدلّ ذلك أنّ النبوة والرسالة اصطفاء لادخل لاجتهادات البشر فيها، ولا لرياضاتهم الرّوحيّة في نيلها، بل هو محض اختيار من اللّطيف الغفّار، وقد غلط من زعم أنّ النّبوّة قد تحصل بالرّياضات الرّوحيّة فتلك فلسفات عقيمة.

قال القاضي عياض: «وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ، أو بعده كالعيسوية من اليهود، القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي ﷺ وبعده، وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والرسالة، أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جوز اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها.

وكذلك من ادّعى منهم أنه يوحى إليه، وإن لم يدع النّبوة، فهؤلاء كلّهم كفار مكذّبون للنبي ﷺ؛ لأنّه أخبر النبي ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس.

وأجمعت الأمّة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأنّ مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص، فلا شكّ في كفر هؤلاء الطّوائف كلّها قطعا إجماعا وسمعا» [1].

وقال الشّيخ أحمد الدردير المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويكفر إذا جوَّزَ اكتساب النّبوّة، أي تحصيلها بسبب رياضة؛ لأنّه يستلزم جواز وقوعها بعد النبي ﷺ»[2].

ويقول محمد عليش المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويكفر بأن ادّعى شركا أي: شخصا مشاركا مع نبوة نبينا محمد ﷺ لمخالفته قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:40] ويكفر إن جوز اكتساب النبوة بتصفية القلب، وتهذيب النفس، والجد في العبادة، لاستلزامه جوازها بعد سيدنا محمد ﷺ، وتوهين ما جاء به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم» [3].

قال صاحب الجوهرة :

ولم تكن نبـــوة مكتسبـــه ولو رقى في الخير أعلى عقبه

(فَأَدَّوْا) عليهم الصلاة والسلام (عنه) أي عن الله تعالى وبلّغوا (مابه أمَرَ) هُم بتبليغه، ونحن على ذلك من الشّاهدين.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

1 – الشفا للقاضي عياض: (2/ 1070، 1071).
2 – الشرح الصغير (6/ 149) بتصرف يسير.
3 – شرح منح الجليل (4/ 464) بتصرف، وانظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (4/ 269).

رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: 67].

و عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ»، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾[المائدة: 67].[1] وفي رواية: «فقد أعظم على الله الفرية»[2].

قال الخازن: «أجمعوا على أنه لا يجوز على رسول الله ﷺ خيانة في الوحي والإنذار، ولا يترك بعض ما أوحي إليه لقول أحد؛ لأن تجويز ذلك يؤدّي إلى الشّكّ في أداء الشرائع والتكاليف؛ لأن المقصود من إرسال الرسول التبليغ إلى من أرسل إليه، فإذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة»[3].

قال قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَتِ الْعَرَبُ تُثْبِتُ الْقَدَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة: 67]، فَذَكَرَ إِبْلَاغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ فِعْلَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَقَالَ: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[المائدة: 67] فَسَمَّى تَبْلِيغَهُ الرِّسَالَةَ وَتَرْكَهُ فِعْلاً، فَلاَ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: عَلَى الرَّسُولِ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ»[4].

وأورد الحافظ في الفتح: «عن أبي الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ فذكر القصة وفيها قال: «أتتني رسالة من ربي فضقت بها ذرعا، ورأيت أن الناس سيكذبونني، فقيل لي: لتفعلنّ أو ليفعلنّ بك» وأصله في السنن، وصححه بن حبان والحاكم، وحديث سمرة بن جندب في قصة الكسوف وفيه فقال النبي ﷺ في خطبته: «إنما أنا بشر رسول، فأذكّركم بالله إن كنتم تعلمون أنّي قصرت عن تبليغ شيء من رسالات ربّي -يعني- فقولوا؟ فقالوا نشهد أنك بلغت رسالات ربّك وقضيت الذي عليك» وأصله في السنن وصححه بن خزيمة وابن حبان والحاكم»[5].

---

1 - رواه مسلم (4612).
2 - رواه مسلم (287 - (177).
3 - تفسير الخازن (2/ 474).
4 - خلق أفعال العباد للبخاري (75).
5 - فتح الباري للحافظ ابن حجر (13/504).

77 - وَالكُتُبُ التِي عَلَى رُسْلِ البَشَرْ أَنْزَلَ مِنْ كَلاَمِهِ - جَلَّ - فَذَرْ

78 - قَولَهُمُ: القُرآنُ قَد دَلَّ عَلَى الْ كَلامِ أَوْ عَلَى الذِي الكَلامُ دَلَّ

(والكتب) المنزلة وهي القرءان والتوراة والإنجيل والزبور وغيرهم من الصحف (التي على رسل البشر أنزلها) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم يجب الإيمان بها، ويجب اعتقاد أنها من كلامه جلّ وعزّ حقيقة لامجازا بأي لغة كانت، و الإنزال من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الوحي، وهو مختلف الصور، فقد يكون بالكتابة وتسليمه، وقد يكون بالكلام مباشرة من وراء حجاب، وقد يكون بإرسال الملك، وقد يكون بتكليمه في النوم، وغير ذلك، فكل هذا يسمى إنزالا؛ لأنّه قادم من جهة العلو، وكل ما هو قادم من جهة العلو، يوصف بأنه نازل ومنزل، (فذر) فاترك مغالاطاتهم بـ(قولهم القرءان قد دلّ على الكلام) أي النّفسي كما يزعمون، لا أنّه كلام الله حقيقة، مع أنّ القرءان صريح في بيان أنه كلام الله منه نزل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: 6].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:75].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[الفتح: 15].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال النّبيّ ﷺ : «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلّغ كلام ربّي، فإنّ قريشاً منعوني أن أبلّغ كلام ربّي»[1].

(أو)يزعمون أنّ القرءان (على الذي الكلام) النّفسيّ قد(دلّ).

قال أبو نصر السّجزي: « فأمّا الله – تعالى – فإنّه متكلّم فيما لم يزل، ولا يزال، إذا شاء ذلك، ويكلّم من يشاء تكليمه بما يعرفه[المخاطب]ولا يجهله، وكلامه أحسن الكلام، وفيه سور، وآي، وكلمات، وكلّ ذلك حروف، وهو المسموع منه على الحقيقة

1 – رواه أبو داود (4734). والترمذي (2925) وقال حسن صحيح.

سماعاً يعقله الخلق، وجائز وجود أعداد من المكلَّمين يكلمهم في حال واحدة، بما يريده من كلّ واحد منهم، من غير أن يشغله تكليم هذا عن تكليم هذا».

وقال أيضا: «لما وجدنا أحكام الشريعة المتعلقة بالكلام منوطة بالنّطق الذي هو حرف وصوت، دون ما في النّفس، علمنا أنّ حقيقة الكلام هو الحرف والصوت.

فلو حلف امرؤ أنّه لا يتكلّم ساعة من النّهار، فأقام في تلك السّاعة يحدث نفسه بأشياء، ولا ينطق بها، كان بارّاً، غيرَ حَانِثٍ.

ولو كان الكلام هو ما في النّفس، حنث في أوّل ما يحدث به نفسه»[1].

وأكد الناظم أن كلام الله هو اللفظي لا النفسي بقوله:

79 - بَلْ بِالحُرُوفِ وَالمَعَانِي وَرَدَا وَاللهُ بِالصَّوْتِ يُكَلِّمُ غَدَا

إيّاك أن تظنّ أنّ القرءان أوغيره من الكتب المنزلة ليس كلام الله حقيقة، (بل) يجب عليك أن تعتقد أنه نزل من عند الله (بالحروف) التي تقرؤها (والمعاني) التي تفهمها (والله) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيكلّم الخلائق، ويكلم آدم، ويكلم محمدا ﷺ، ويكلم أهل الجنة (بالصوت) كما في الوحي الصحيح والخبر الفصيح(يكلم)نا (غدا) أي يوم القيامة، فلاتكن في مرية، وهذا باللفظ لابواسطة كما زعمت الطوائف المعطلة لكلام الله تعالى.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ الله يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟»[2].

و عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه» [3].

---

1 - الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر، رسالة ماجستير (ص176) وعنه الغنيمان في شرح كتاب التوحيد مع النصوص التي تقدم ذكرها.

2 - أخرجه البخاري (7518)، ومسلم (2829).

3 - أخرجه البخاري (7443) واللفظ له، ومسلم (1016).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إنّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النّار»[1].

و عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فزّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ: 23]، ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الدَّيان»[2].

---

1 – أخرجه البخاري (7483).

2 – أخرجه أحمد(16042) قال شيخنا شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن ؛ وأخرجه الحافظ في «تغليق التعليق» 5/355 من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» 1/133 ونسبه إلى أحمد والطبراني في «الكبير» وضعفه بعبد الله بن محمد بن عقيل.
وأخرجه الحارثُ بنُ أبي أسامة (45) «زوائد»، والحاكم 2/437، و4/574، والبيهقي مختصراً في «الأسماء والصفات» ص 78 و273، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (1748)، وفي «الرحلة» (31)، وابنُ عبد البر في «بيان العلم» ص 122 من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وجاء عند البيهقي والحاكم في الموضع الأول: رحل جابر إلى مصر بدل: الشام. وعند الحاكم في الموضع الثاني: الشك بين مصر أو الشام. زاد الحاكم في الموضع الأول: وتلا رسول الله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[غافر:17].
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحسَّن الحافظ في «الفتح» 1/174 إسناد قسم الارتحال منه، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (970) عن موسى بن إسماعيل التبوذكي، وفي «خلق أفعال العباد» ص 92، وفي «التاريخ» 7/169– 170 (مختصراً) عن داود بن شبيب البصري، والحارث بن أبي أسامة (44) «زوائد»، وابن عبد البر في «بيان العلم» ص 122 من طريق هدبة بن خالد، وابنُ أبي عاصم في «السنة» (514)، وفي «الآحاد والمثاني» (2034)، والخطيب في «الرحلة» (31)، وابن عبد البر في «بيان العلم» ص 123، والمزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة القاسم بن عبد الواحد، وابن حجر في «تغليق التعليق» 5/355 من طريق شيبان بن فروخ، أربعتهم عن همام، بهذا الإسناد.
وعلقه البخاري في «صحيحه» 1/173 قال: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد. وعلقه أيضاً في موضع آخر 13/454 قال: ويُذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشُرُ اللهُ العبادَ فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديَّان».وقد وصله الحافظ في «التغليق»، كما سلف في التخريج.
وقال الحافظ في «الفتح» 1/174: وادعى بعض المتأخرين أن هذا ينقض القاعدة المشهورة أن البخاري حيث يعلق بصيغة الجزم يكون صحيحاً، وحيث يعلق بصيغة التمريض يكون فيه علة، لأنه علقه بالجزم هنا، ثم

قال البخاري: « إن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا «يعني: حديث عبد الله بن أنيس، ذكره بعد كلامه هذا» دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله جلّ ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا.

و الإمام أبو نصر السِّجْزي في رسالته إلى أهل زَبِيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: وً في كتابه الإبانة في مسألة القرآن: وقد بيَّن الله في كتابه ما لا إشكال بعده في هذا الفصل لمّا قال: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾[الشُّعَرَاءِ: 10]والعرب لا تعرف نداءً إلاّ صوتاً، وقد جاء عن موسى تحقيق ذلك، فإن أنكروا الظّاهر كفروا، وإن قالوا: إنّ النّداء غير صوت، خالفوا لغاتِ العرب، وإن قالوا: نادى الأميرُ، إذا أمرَ غيرَه بالنداء، دفعوا فضيلة موسى عليه السّلام المختصةَ به من تكليم الله إيّاه من غير واسطة ولا ترجمان، وليس في وجود الصوت من الله تعالى تشبيهٌ بمن يوجد الصّوت منه من الخلق، كما لم يكن في إثبات الكلام له تشبيه بمن له كلامٌ من خلقه... فنقول: كلام الله حرفٌ وصوتٌ بحكم النّصّ، وليس ذلك عن جارحة ولا آلة، وكلامنا حروفٌ وأصوات، لا يوجد ذلك منّا إلاّ بآلة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلّم بما شاء، لا يشغله شيءٌ عن شيء، والمتكلم منا لا يتأتّى منه أداء حرفين إلاّ بأن يفرغ من أحدهما ويبتدئ في الآخر. اهـ. [1]

أخرج طرفاً من متنه في كتاب التوحيد بصيغة التمريض... وهذه الدعوى مردودة، والقاعدة بحمد الله غير منتقضة، ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا، فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به، لأن الإسناد حسن واعتضد. وحيث ذكر طرفاً من المتن لم يجزم به، لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها، ولو اعتضدت، ومن هنا يظهر شفوف علمه، ودقة نظره، وحسن تصرفه رحمه الله. وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» ص 273: وهذا حديث تفرد به القاسم بن عبد الواحد، عن ابن عقيل. والقاسم بن عبد الواحد بن أيمن المكي لم يحتج بهما الشيخان أبو عبد الله البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ولم يخرجا هذا الحديث في الصحيح بإسناده، وإنما أشار

البخاري إليه في ترجمة الباب، واختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت صفة الصوت- في كلام الله عز وجل أو في حديث صحيح عن النبي ﷺ غيرُ حديثه، وليس بنا ضرورة إلى إثباته. وفي الباب في حشر الناس عراة غرلاً عن ابن عباس، سلف برقم (1950).والغريب أن الصوت ثابت في صحيح البخاري في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا غير معلق.

1 – نقله ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (252).

80 - وَلا تَقُلْ ذَا الصَّوْتُ عَنْ تَمَوُّجِ هَـوَاءٍ او تَخَلْخُـلٍ فِيهِ يَجِي

81 - أو حَرْفُهُ كَيفِيَّةٌ تحـدُثُ لَهْ بِالضَّغطِ - جَلَّ اللهُ - أنْ نُمَثِّلَهْ

82 - بِقَارِئٍ بِصَوْتِهِ أوْ حَرفِهِ كلٌّ، وَمَا لاقَ بِـهِ مِنْ وَصْـفِه

83 - فَنَحنُ حِينَ نُنْشِدُ الآنَ: (قِفَا نَبْكِ) وَقَدْ أَوْدَى بِمُنْشِيهَا العَفَا

84 - لَسْنا بِمُجْتَرِيْ هَـواءٍ نَفَثَهْ أو مُحْدِثِينَ عَينَ مَا قَدْ أحْـدَثَهْ

85 - بِالضَّغْطِ مِنْ كَيفِيَّةٍ إذْ صَرَّفهْ مَا بَيْنَ حَلْـقٍ وَلَهَاةٍ وَشَفـَهْ

86 - لا تَضرِبُوا للهِ الامثَالَ، وَلا تُصْغُوا لِمَنْ عَطَّلَ أوْ مَـنْ مَثَّلا

الصّوت: الصّوت في العرف جرس الكلام والجمع أصوات وهو مذكر(مصباح).

التّموج: «الميم والواو والجيم أصل واحد يدلّ على اضطراب في الشّيء، وماج النّاس يموجون، إذا اضطربوا. والموج: موج البحر، سميّ لاضطرابه، وماج يموج موجا وموجانا، وكلّ شيء اضطرب فقد ماج(مقاييس اللغة).

التّخلخل: (تخلخل) مُطَاوع خلخله،وتخلخل، تذبذب، ترجرج (تكملة المعاجم العربية).

الضّغط: عصر شيء إلى شيء (تهذيب اللغة).

منشيها: منشئها، (المنشئ) الَّذِي يجيد استنباط الْمَعَانِي وتأليفها وَالتَّعْبِير عَنْهَا بِكَلَامَ بليغ (المعجم الوسيط) والمقصود قائلها.

العفا:(العفاء) الزَّوَال والهلاك يُقَال على الدُّنْيَا العفاء (المعجم الوسيط).

(مجتري) من الاجترار: والاجترار من الجِرَّةِ، بِالْكَسْرِ: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه، يقال: اجتر البعير يجتر، ومنه حديث أم معبد «فضرب ظهر الشاة فاجترت ودرت» (النهاية).

النفث: النفث: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل. وقد نفث الراقي ينفث وينفث؛ والنفاثة، بالضم: ما نفثته من فيك (الصحاح).

اللهاة: قال الليث: اللهاة: أقصى الحلق، وهي لحمة مشرفة على الحلق، وهي من البعير العربي الشقشقة، ولكل ذي حلق لهاة، والجميع: لهًا ولهوات.

قال: وبعضهم يجمع اللهاة: لهاء (تهذيب اللغة).

فلا تصغوا: الصغا: ميل في الحنك أو إحدى الشفتين، ورجل أصغى، وامرأة صغواء، وقال ابن السكيت: صغيت إلى الشيء أصغى صغيا إذا ملت(تهذيب اللغة).

أودى: قال أبو عبيد عن الأصمعي: أودى الرجل إذا هلك، وقال الليث: أودى به المنون أي أهلكه، قال: واسم الهلاك من ذلك الودى قال: وقلّما يستعمل؛ والمصدر الحقيقيّ الإيداء.(تهذيب اللغة).

هذه الأبيات عالج فيها الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهة من عطّل كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حرفا وصوتا، وذلك بإزالة شبهة التّشبيه، وهو نسبة الأصوات إلى الله؛ لأنّهم يظنّون أنّ الصّوت مثل صوت المخلوق، وأنّه عرض يحلّ بالجسم، ويقولون: لا يحلّ الصّوت إلاّ في جسم مجوّف، وهذا إنّما محلّه في الجسم الحادث، ومن رأى وسائل الاتصالات الحديثة وكيفية إنشائها للأصوات علم أنّ الصوت ليس بالضرورة أن يكون له أدوات كالبشر، والله أعلى وأجل أن يشبه بخلقه أو بمصنوع، (و) لذلك (لا تقل ذا الصوت) الذي يخاطب به الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آدم يوم القيامة، يحدث (عن تموّج هواء) كصوت المخلوق، (أو) يكون بسبب (تخلخل في الهواء يجي)ء ذلك الصّوت منه كحال أصوات المخلوقين، فإنّ أصوات المخلوقين إنّما هي الهواء المنطلق من الرّئة، فيضغط عليه في مكان معيّن فيخرج صوت، فشتّان بين الخالق والمخلوق.

ولاتقل أن (حرفه كيفية تحدث له) فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزّه عن الغير فلا يمكن أن تحلّ به الحوادث والآفات، فلذلك كانت الحروف التي أنزل بها القرآن والتي تشكل منها كقوله: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[البقرة:1-3]، ونحو ذلك، فهذه الحروف نسبتها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليست مثل نسبتها إلى المخلوق، فالمخلوق إنما ينطق بالحروف على كيفية تحدث له بالنّطق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخالف للمخلوق، فحرفه وكلامه على حسب ما يليق بجلاله وعظمته ممّا هو مخالف لحال خلقه.

فالإنسان يحتاج إلى آلات منها يتكون الحرف والصوت حيث (تحدث له بالضغط) أي: بالضغط على الهواء في مكان معين حتى يخرج الحرف، فهذا للمخلوق لا للخالق، فـ(جل الله تعالى أن نمثله، بقارئ في صوته أو حرفه كل وما لاق به من وصفه)، فقارئ كلام الله ليس هو المتكلّم الأول بالكلام، وليس كلامه كتكلم المتكلم الأول بالكلام، بل القارئ يتكلم على حسب حاله وما يليق به، والخالق كلامه على حسب ما يليق بجلاله وعظمته، فلا يمكن تمثيله به ولا تشبيه أي شيء من صفاته بشيء من صفات المخلوقين كما هو الحال في ذاته كما سبق؛ فكل له وصف يليق به، فصوت المخلوق وحرفه من صفات المخلوقين على ما يليق بهم، وصوت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكلامه على ما يليق بجلاله وعظمته.

ثمّ جاء بمثال يبيّن أن ما أنشده الأوّلون من الأشعار، ونحن نردّدها الآن لايعني بالضّرورة أن ضغطنا على الحروف، وإخراجها من مخارجها، وخروج النّفث والنفس معها هو عين ما أحدثه مثلا الشاعر امرؤ القيس حينما أنشد معلقته قفا نبك، فقال:(فنحن حين ننشد الآن) معلقة امرئ القيس والتي مطلعها:

(قفا نبك) من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

إلى آخر المعلّقة (وقد أودى بمنشيها العفا) وقد مات الشاعر وتحللت عظامه بالتراب (أودى): أهلك، (منشيها) أي: امرئ القيس الذي أنشأها، (العفاء): وهو التغير والانعدام، فـ(لسنا بمجتري) من الاجترار وهو تكرير الشيء (هواء نفثه) خارجا من صدره إلى الفم ثم الشفتين بارزا ومحدثا صوتا هو نفس صوت الشاعر (أو) أنّنا نكون بذلك (محدثين عين ما قد أحدثه) فهذا محال بين مخلوق ومخلوق مثله، لاختلاف الأصوات خشونة ورقة، وملاحة، وضدها، فإذا انعدم التشبيه بين مخلوق وآخر مثله، فكيف تكون المشابهة بين المخلوق والخالق في هذا إلا في عقل من تعطّلت حواسه، وحرم التوفيق في الفصل بين صفات الخالق والمخلوق، و هذا مثال بيّن ! فالمخلوقون يتكلّمون وكلامهم متفاوت بشكل عجيب! فأصوات الفيل لا تشبه أصوات الإنسان، بل هي متنافية معه، وأصوات بعض النّاس لا تشبه أصوات بعضهم، فأنواع النّاس في الكلام متباينة، وأصواتهم متفاوتة، فمن تأمّل هذا المثال

ظهر له الفارق واستراح من وساوس التّشبيه والتّعطيل.

(بالضّغط) على مخارج الحروف بحيث يكون الشهيق فيدخل الهواء إلى الرئتين ثم يضغط عليه فيخرج (من) الحلق والفم والشفتين بـ(كيفية) ميكانيكية (إذ صرّفه ما بين حلق ولهاة وشفه) (من كيفية إذ صرفه) معناه: حين صرف ذلك الهواء (ما بين حلق ولهاة وشفه): وهذه هي أصول مخارج الحروف، فإذا كان الفرق واضحا فيما بيننا ونحن بشر مخلوقون، فكيف يكون الفرق بين صفاتنا وصفات الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! ونحن نعلم أن ضرب الأمثلة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منهي عنه بقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النَّحل:74]، ولكن ضرب المثل المنهي عنه هو: القياس المثلي.

وأما قياس الأولى: فيجوز ضربه له؛ لأنّه ضربه لنفسه في عدد من الآيات كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزُّمَر:29]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[النَّحل:71] فهذا يقتضي جواز هذا النّوع من الأقيسة وهو قياس الأولى لا قياس المماثلة، فلذلك قال: (لا تضربوا لله الأمثال)، فهذا ممنوع في قياس المماثلة، لكنه يجوز في قياس الأولى[1].

(ولا تصغوا) من الإصغاء وصغى بمعنى: مال، (لمن عطَّل) صفات الله أو أسماءه، ومعناه: نفى معانيها وجعلها ألفاظا لا تدلّ على شيء، فهؤلاء هم المعطلة، (أو من مثّل) وهم المشبّهة الذين شبّهوه بخلقه وضربوا له مثلا على وجه المماثلة سواء صرّحوا بذلك أو نفوه؛ لأنّ المعطّلة أيضا مشبّهة من وجه آخر، فالمعطلة يشبهونه بالمعدومات، والممثلة يشبهونه بالموجودات، وكلا الأمرين فيه تشبيه في الواقع، لكن هؤلاء تشبيههم منفي، وهؤلاء تشبيههم مثبت، والجميع منهي عنه؛ فلذلك قال: (ولا تصغوا لمن عطّل) فشبّهه تشبيها بالنفي الذي ليس فيه أي تنزيه ولا أيّ إثبات لصفات الكمال، (أو من مثّل) حيث شبّهه بخلقه تعالى الله عن ذلك، فكلاهما زالق في هذا الباب.

---

1 - انظر وسيلة الزلفى لشيخنا الددو (122).

87 - كَلَّمَ مُوسَى بِكَلامِهِ اتَّخَذْ خَلِيلاً إبراهيمَ من أوّلَ شَذّْ

الخليل: قال الزّجاج: الخليل: المحبّ الذي ليس في محبّته خلل. قال: وقول الله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[النِّسَاء: 125] أي أحبّه محبّة تامّة لا خلل فيها. قال بشار:

قد تخلّلت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

أَوَّلَ: من التأويل وقد مضى شرحه.

أما قوله (كلّم مُوسَى بِكَلاَمِهِ) فقد مضى الكلام على ذلك بما فيه كفاية والحمدلله.

وقوله (اتَخَذْ خليلا إبراهيم) وذلك تصديقا لقول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[النِّسَاء:125].

وعن جُنْدَب، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[1].

(من أوّل شَذّ) سواء هذه الصّفات من أوّلها شذّ عن صراط الله الذي هدى الأنبياء والرّسل وسلف هذه الأمّة بعد نبيّها، أو من قال: إن خلّة إبراهيم إنّما هي الفقر، فهذا كلّه شذوذ ؛ وأمّا معنى الشذوذ فقد بيّنا معناه في مامضى وبالله التوفيق.

وما أجمل ما فعله الأمير خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبيض وجهه يوم تبيض وجوه أهل السنّة وتسود وجوه أهل البدع - وذلك في أوائل المائة الثانية حيث ضحى بالجعد بن درهم الذي ابتدع في الإسلام بدعة تعطيل الرّبّ عن الكلام، فخطب خالد في النّاس يوم الأضحى فقال: «أيّها النّاس

1 - رواه مسلم (23 - (532).

ضحوا، تقبّل الله ضحاياكم، فإنّي مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنّه زعم أنّ الله لم يتّخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلّم موسى تكليما، ثمّ نزل فذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التّابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فجزاه الله عن الدّين وأهله خيرا» [1].

يقول ابن القيم في هذا:

ولأجل ذا ضحى بجعدٍ خـالدُ القسري يوم ذبائح القـربان
إذ قال إبراهيم ليس خليـلَه كلاّ ولا موسى الكليم الدّان
شكرَ الضحيّة كلُّ صاحبِ سنّة لله درّك من أخـي قُرْبَـانِ

وأصل التّعطيل مبني على هذين الكلمتين: نفي المحبّة ونفي الكلام.

الحاصل أنّ الجعد بن درهم نبا بهذه الكلمة الخبيثة والعياذ بالله،ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان، وكان فصيحا بليغا، فنشر المذهب، ونسبت الجهمية إليه مع أنّه ثاني من قال به.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه مقالـــة كلّ جهميٍّ وَهُم فيها الشُّيُوخُ معلِّمُو الصِّبْيَان

88 - فَاللهُ لَمْ يَسْكُتْ عَلَى مَا أَوْهَمَا حُدُوثاً او نَقْصًا لَهُ بَلْ أفهَمَا

---

1 - انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي(239)/ مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، 1406 تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وشرح العقيدة الطحاوية (1/293). والقصة شهرتها تغني عن إسنادها وقد تلاحق جم كبير من العلماء على غير إيرادها، والقصة اخرجها البيهقي في سننه والبخاري في التاريخ الكبير والدارمي في الرد على الجهمية وفي الرد على بشر المريسي والآجري في الشريعة واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة الأسماء والصفات وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهم جماعة كلهم من طريق القاسم بن محمد عن عبدالرحمن بن محمد بن حبيب عن أبيه عن جده حبيب قال خطبنا خالد بن عبدالله القسري، ومن تأمل طريقة العلماء وجد أن هذه القصة من المسلمات المتلقات بالقبول عندهم ويحكونها في كتبهم مقررين ومحتجين بها على أهل البدع بلا نكير ومنهم:

1- الدارمي. فقد أوردها في كتبه في الرد على أهل الضلال والزيغ
2 - اللا لكائي كما في كتابه أصول الاعتقاد.
3 - وابن عساكر كما في تاريخه تاريخ دمشق
4 - وابن تيمية فقد قال في درء التعارض:الجعد بن درهم ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى

89 - مُرَادَهُ بِقَــولِهِ: (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي) وَكَذَا (اسْتَطْعَمْتُ)

إنّ التّأويل يحتاج إليه ويلجأ إلى ساحته حينما يكون هناك إشكال يوهم النّقص في صفة من الصفات، أما وقد بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما كان فيه إيهام بالحدوث أو النّقص ونفاه عن نفسه ولم يسكت على ذلك فلايحتاج إلى التأويل، ومثال ذلك ما أورد الشيخ معناه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي».[1]

قال ابن قتيبة: واعلم أنّ الذي يجب أن يبيّن من هذا الخبر قوله: «أما إنّك لوعدته لوجدتني عنده».

وأمّا قوله «مرضت» فقد فسّره النّبيّ ﷺ وبين معنى ذلك إشارة إلى مرض وليِّه فأضاف إلى نفسه إكراما لوليه ورفعا لقدره؛ وهذه طريقة معتادة في الخطاب عربية وعجمية وذلك أن يخبر السيد عن نفسه ويريد عبده إكراما له وتعظيما حتى كأنه هو توهم من جلالته وعظم منزلته مساواته له في المنزلة والجلالة، وعلى هذه الطريقة يحمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المجادلة:5]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

بواسط وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه).

5 - وابن القيم في الصواعق المرسلة

6 - والذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته.

ثم قال: قلت: هذه من حسناته، هي، وقتله مغيرة الكذاب.

1 -رواه مسلم (43 - (2569).

يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[الأحزاب: 57]، وقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[محمد:7]، وما جرى هذا المجرى من الآي والأخبار التي ذكر فيها نفسه وأراد وأولياءه وأنبياءه، وعلى مثله يحمل قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾[الزخرف:55] (آسَفُونَا): منقولٌ بهمزةِ التعديةِ مِنْ أسِفَ بمعنى غَضِبَ، والمعنى: أَغْضَبونا بمخالَفَتِهم أمرَنا. وفي التفسيرِ: أحزنوا أولياءَنا، يعني السَّحَرةَ»[1].

وأما قوله «أما إنّك لو عُدته لوجدتني عنده» معناه أي وجدت: رحمتي، وفضلي، وثوابي، وكرامتي في عيادتك له، وهذا أيضا كالأول في باب أنه ذكر الشيء باسمه وأيد غيره كقوله تعالى ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾[يوسف:82] ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾[البقرة: 93]، وهذه طريقة معتادة غير مستنكرة وإذا كان كذلك فالأولى أن يحمل الخبر عليه وعلى مثله يتأول قوله عز وجل «ووجد الله عنده»، على معنى أنه وجد عقابه وحسابه فذكر الله تعالى وأضيف الفعل إليه والمراد فعله على النحو الذي بيناه ونظائره في كلام»[2].

وهذا الحديث قد يستشكله بعض الناس، وليس بمشكل؛ لأنه حديث مفسر بنفسه؛ فقد فسر الله عز وجل المرض والجوع والعطش تفسيرا واضحا لا لبس فيه، ولا يتوهم معه تشبيه ولا تمثيل، وهو صريح في أن الله تعالى لم يمرض ولم يجع ولم يعطش، ولكن مرض عبده، وجاع وعطش عبده، مفسرا ذلك بأنك لو أطعمته وسقيته لوجدت ذلك عندي، ولو عدته لوجدتني عنده، فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل.

90 - أَسْمَاؤُهُ الحُسْنَى عَلَى الصِّفَاتِ دَلَّتْ، فَذَلَّتْ أَوْجُهُ النُّفَاةِ

(أسماؤه الحسنى) أي المتصفة بالحسن، لأنها أحسن الأسماء، وكيف لا، وهي أسماء ربّ الأرض والسّماء، أي أن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تدل (على الصّفات)، فكل اسم من أسمائه دلّ على صفة من صفاته، وهذا بخلاف من زعم كالمعتزلة أنّ الأسماء

1 - الدر المصون للسمين الحلبي (9/599).
2 - مشكل الحديث وبيانه (1/193) لابن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: 406هـ)/المحقق: موسى محمد علي/الناشر: عالم الكتب - بيروت/الطبعة: الثانية، 1985م.

ليست لها معاني، أمّا الصّفات فلا يشتقّ منها أسماء؛ فنشتق من أسماء الله: الرحيم والقادر والعظيم، صفات: الرحمة والقدرة والعظمة، لكن لا نشتق من صفات: الإرادة والمجيء والمكر، اسم: المريد والجائي والماكر.

فأسماؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوصاف، كما قال ابن القيم في (النونية):

أسماؤه أوصاف مدح كلّها مشتقة قد حملت لمعان [1]

وأن الاسم لا يشتق من أفعال الله؛ فلا نشتق من كونه يحب ويكره ويغضب، اسم: المحب، والكاره، والغاضب، أما صفاته فتشتق من أفعاله؛ فنثبت له صفة المحبة، والكره، والغضب، ونحوها من تلك الأفعال؛ لذلك قيل: باب الأفعال أوسع من باب الأسماء[2].

(فَذَلَّتْ أَوْجُهُ[3] النُّفَاةِ) فإذا تقرر أن أسماء الله الحسنى دلّت على جميل الصفات العليا، فإنّ نفاة الصفات ضربت عليهم الذلة والخزي لتعطيلهم وإلحادهم في أسماء الله فعطلوها عن معانيها، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[طٰهٰ:111]، أي: في ذلك الوقت، فمن حمل ظلما وبالأخصّ إذا كان إلحادا في أسماء الله وصفاته فويل له قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:180].

91 - فَأَثْبِتُوا مِنْ وَصْفِهِ مَا السَّلَفُ أَثْبَتَ وَانْفُوا مَا نَفَى، ثُمَّ قِفُوا

أي يجب عليك أيّها المسلم السّنيّ أن تثبت ما أثبته السّلف من أوصافه جَلَّجَلَالُهُ، وتنفي مانفوه عنه من نقص، ثمّ تقف.

قال الخطيب البغدادي: «أمّا الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية

1 - الكافية الشافية (745).
2 - مدارج السالكين لابن القيم (3/383).
3 - وفي نسخة التسهيل (1/15): فذلت ءانف النفاة.

والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوما أنّ إثبات ربّ العالمين عزّ وجلّ إنّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر، فإنّما هو إثبات صفات أثبتها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها الجوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات الفعل. ونقول: إنما ورد إثباتها؛ لأنّ التوقيف ورد بها، ووجب نفي التّشبيه عنها؛ لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشُّورَىٰ 11] وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإِخْلَاصِ 4]»[1].

وقال القرطبي: «فإذا كان معلوما أنّ إثبات الباري سبحانه إنّما هو إثبات وجود بما ذكرنا، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته على ما يأتي إنّما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف. فإذا قلنا: يد وسمع وبصر ونحوها، فإنّما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، لا نقول: إنّ معنى اليد: القوّة والنعمة، ولا معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنّها جوارح وأدوات للفعل، ذهب إلى هذا القول جماعة من الأئمة فلم يتأولوا، وكذلك جميع الصّفات أجروها على ظاهرها، ونفوا الكيفية والتشبيه عنها»[2].

وهنا أتم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام عن الأسماء والصّفات، وبدأ يتكلّم عن توحيد العبوديّة لله تعالى فقال:

92 - وَاجْتَنِبُوا الشِّركَ الجَلِيَّ وَالخَفِيْ وَلَو بِمَا فِيهِ اخْتِلافُ السَّلَفِ

الشّرك: أصل (شرك) في اللّغة: يدلّ على مقارنة وخلاف انفراد؛ يقال: شركه في الأمر وأشركه شركا وشركة: إذا صار له شريكا[3].

1 - (مسألة في الصفات) للخطيب البغدادي (ص: 8)، وأخرجه ابن قدامة في (ذم التأويل) (ص: 15) والذهبي في (تاريخ الإسلام) (10/ 185).

2 - انظر أضواء البيان للشنقيطي (2/ 30) والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (2/10).

3 - مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 265)، المفردات للراغب (ص: 451)، النهاية لابن الأثير (2/ 466)، المصباح المنير للفيومي (1/ 311).

واصطلاحا: قال ابن قتيبة: «الشرك بالله هو أن يجعل له شريك»[1]، وقال القرطبي: «أصله -أي: الشرك- اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلها»[2].

الجلي: الظاهر الواضح البين كالسجود للأصنام.

الخفي: عكس الجلي كالرياء.

السّلف: السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدّمون،(تهذيب اللغة)، والمقصود بهم هنا أهل القرون الثّلاثة المزكّاة.

شرع يتكلّم على حماية التّوحيد من خطر فساده وإبطاله بما يناقضه لاسيما الشرك الذي يحبط العمل، ويبعد العبد عن ربه عز وجلّ، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: 65]،واجتناب الشرك يقتضي اجتناب كلّ وسيلة توصل إليه لأنّه الماحق السّاحق للتوحيد، وكل عمل رشيد، الموجب لنار الخلد وعذاب السّعير عياذا بالله من ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء: 48].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: 31].

والشرك كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نوعان:

أولا: الشرك الجلي: أي الظاهر كعبادة الأصنام، والذبح للأضرحة والأوثان، ودعاء الأموات، واعتقاد النفع والضر في ماسوى الباري سبحانه، والتقرب لغير الله تعالى بما لايجوز التقرب به إلا إليه، والذبح للجنّ دفعا لأذاهم قال في «الأساس»: «ونهى عن ذبائح الجن وهي ما ذبح للطيرة؛ نحو أن تشتري

1 - غريب القرآن لابن قتيبة (ص: 27).
2 - تفسير القرطبي (5/ 181).

داراً فتذبح لتستخرج العين، ولئلاّ يصيبك مكروه من جنّها»، وقد قال ابن شهاب في الذبح لإجراء العين والحكم عليه بحكم ما ذبح على النّصب، وذلك لأنّه من عبادة الجن التّي كانت معروفة عند العرب، فأنكرها القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾[الأنعام: 100].

وليس بالضرورة أن يسوي المشرك بين الله وبين أحد من خلقه في كل أوصاف الألوهية والربوبية بل يكفي أن يأتي بأعمال خصّها الله تعالى بنفسه فيصرفها العبد لغير الله تعالى.

قال إسماعيل الدهلوي: «اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدا بالله، ويساوي بينهما بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعارا للعبودية، لأحد من الناس؛ كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركا، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان أو الملك أو الجني الذي يسجد له، أو يذبح أو ينذر له، أو يستغيث به: أقلّ من الله شأنا، وأصغر منه مكانا، وأنّ الله هو الخالق، وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجنّ والشياطين، والعفاريت والجنيات، فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركا»[1].

وليعلم العبد أنّ الشّرك هو نقيض التّوحيد، وهو أكبر الجروم، وأعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام:88].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال الله تبارك وتعالى: ياابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

1 – (تقوية الإيمان) للدهلوي (ص: 54).

2 –رواه الترمذي (2540) حسن لغيره، قال الترمذي: «: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «لاتشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت»[1].

ومن الشرك: الشرك في التّشريع حيث تُستبدل الشريعة بأحكام بشرية وضعية توحي بالاستخفاف بما أنزل الله، وتجعله كلاًّ أوبعضا في حيّز الخرافات والأساطير التي لاتصلح إلا للقرون الماضية، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[الشُّورَىٰ: 21]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الكَهۡفِ:26]، (لا) هنا النافية، وفي قراءة ابن عامر من القراء السبعة: ﴿ولا تُشرك في حكمه أحدا﴾ بالتاء، على أنها (لا) الناهية، أي: لا تشرك يا نبي الله، أو لا تشرك يا أيها المخاطب في حكم الله تبارك وتعالى أحدا، هذا في الحكم،ومما توصل إليه المتنازلون عن شريعة الله وتحكيمها أنهم رضوا من أنفسهم التنازل والطاعة في بعض الأحكام للذين سخط الله عليهم من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل الكافرة الفاجرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[مُحَمَّدٍ: 25 - 26].

قال الشنقيطي في تفسيره: «والآية الكريمة تدلّ على أنّ كلّ من أطاع من كره ما نزّل الله في معاونته له على كراهته ومؤازرته له على ذلك الباطل، أنه كافر بالله بدليل قوله تعالى فيمن كان كذلك: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[مُحَمَّدٍ: 27 - 28].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[يُوسُفَ:40]، وقال عز وجل:﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[الشُّورَىٰ:10]﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[الأَنۡعَامِ:57]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

1 - أخرجه أحمد(22075) وابن ماجة (4034) والبخاري في الدب المفرد، واظر صحيح الترغيب والترهيب (569،570).

[المائدة:44]، فبهذه النّصوص يظهر غاية الظّهور أنّ كلّ من يتبع القوانين الوضعية التي شرعها الشّيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله عز وجل على ألسنة رسله، فهذا كفر عظيم بواح ناقل عن ملّة الإسلام، ولا يخالف في هذا إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي من أمثال هؤلاء.

ثانيا: الشّرك الخفي: وذلك كالرياء وقيل: هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل، أو أقوال اللسان، فالشرك في هيئة العمل هو الرّياء، والشّرك في أقوال اللّسان: هو الألفاظ التي فيها معنى التسوية بين الله وغيره، كقوله: ما شاء الله وشئت، وقوله: عبد الحارث، ونحو ذلك[1].

و الشرك الأصغر محرّم، بل هو من أكبر الكبائر، ويأتي في مرتبة تلي مرتبة الشّرك الأكبر، قال السّعدي: «اعلم أنّ الشرك الأكبر والشرك الأصغر يفترقان في أحكام كثيرة دلّ عليها الكتاب والسنة والإجماع؛ يفترقان في حدِّهما: أمّا الشّرك الأكبر فهو صرف نوع من العبادة لغير الله تعالى، فكلّ ما ثبت في الكتاب والسنّة من العبادات إذا صرف العبد منها شيئا لغير الله فهو كافر، أما حدّ الشرك الأصغر فهو كلّ وسيلة يخشى أن تُوصل صاحبها إلى الشّرك الأكبر؛ كالحلف بغير الله، وكالرّياء والسّمعة، وكالغلوّ في المخلوق الذي لا يصل إلى رتبة عبادته، فهذا هو أصل الفروق بينهما.

الفرق الثاني والثالث: أنّ الشّرك الأكبر محكوم على صاحبه بالكفر والخروج من الإسلام، ومحكوم عليه أيضا بالخلود في النّار وتحريم دخول الجنة.

أمّا الشّرك الأصغر فهو بخلاف ذلك في الحكمين؛ فإنه لا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الإسلام، ولا يخلد في النار إذا لم يفعل مكفرا آخر.

فهذه الأحكام الثلاثة وما يترتب عليها من التفريعات المبنية عليها: لم يختلف فيها أهل العلم؛ لأنّ نصوص الكتاب والسنة فيها كثيرة قاطعة صريحة». [2]

ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ

1 -المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان (ص: 126).

2 - الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العباد (ص: 187).

إِلَٰهُ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف: 110].

فإن عموم الآية يشمل الشرك الأكبر والأصغر، والآية في الشرك الأكبر، إلاّ أنّ بعض السّلف؛ كابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كانوا يحتجّون بها في الأصغر؛ لأنّ الكلّ شرك.

و عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾[البقرة:22] قال: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمّل على صفاة سوداء، في ظلمة اللّيل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي؛ ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللّصوص، ولولا البطّ في الدّار لأتى اللّصوص، وقول الرّجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا؛ فإنّ هذا كله به شرك» [1].

وعن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» [2].

والرّياء أكبر الكبائر بعد الشّرك الأكبر.

(ولو بما فيه اختلاف السلف) أي على من أراد صفاء التوحيد فليجتنب موارد الشّبهات، ولو أنّ بعض السّلف قال بذلك حتّى لاتكون ذريعة للشرك، لاسيما في زماننا الذي صار النّاس لايعرفون الشرك الجلي فضلا عن الخفيّ، وذلك أنه وقع اختلاف بين بعض الصحابة في جواز تعليق التمائم من القرءان وعدم ذلك، فرأى بعضهم جواز تعليقها فقالت طائفة: يجوز ذلك، كعبد الله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد في رواية،

---

1 – أخرجه ابن أبي حاتم في (التفسير) (229). حسن إسناده ابن باز في (مجموع الفتاوى) (1/45)

2 – أخرجه أحمد (23630) واللفظ له، والبيهقي في (شعب الإيمان) (6831). صححه ابن باز في (مجموع الفتاوى) (2/29)، والألباني في (صحيح الجامع) (1555)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد) (23630)، وحسن إسناده ابن حجر في (بلوغ المرام) (440)، وجوده المنذري في (الترغيب والترهيب) (1/52).

وحملوا الحديث على التمائم الشركيّة في قوله ﷺ «من علق تميمة فقد أشرك»[1]، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته، فكالرقية بذلك، وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «رأيت أبي يكتب التعاويذ للذي يفزع، والحمى لأهله وقراباته، ويكتب للمرأة إذا عسر عليها الولادة في جام أو شيء لطيف، ويكتب حديث ابن عباس، إلا أنه كان يفعل ذلك عند وقوع البلاء، ولم أره يفعل هذا قبل وقوع البلاء، ورأيته يعوذ في الماء ويشربه المريض، ويصب على رأسه منه»[2].

و قال أحمد بن حنبل: «التعليق كله يكره، والرقى ما كان من القرآن فلا بأس»[3].

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عكيم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبه قال جماعة من التابعين، منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجّوا بهذا الحديث وما في معناه؛ فإن ظاهره العموم، لم يفرق بين التي في القرآن وغيرها، بخلاف الرقى؛ فقد فرق فيها، ويؤيد ذلك أنّ الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم وهو الأولى، لعموم النهي عن التعليق، ولعدم شيء من المرفوع يخصص ذلك، ولصون القرآن عن إهانته إذ قد يحملونه غالبا على غير طهارة، ولئلا يتوصل بذلك إلى تعليق غيره، ولسدّ الذّريعة عن اعتقاد المحظور والتفات القلوب إلى غير الله عزّ وجلّ، لا سيما في هذا الزّمان.

فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعلق تميمة، فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له» [4].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال:«إنّ الرّقى والتمائم والتِوَلَة شرك» [5].

---

1 – أخرجه من طرق أحمد (17422)، والطبراني (17/319) (885)، والحاكم (7513). صححه الألباني في (صحيح الجامع) (6394)، وقوى إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج (مسند أحمد) (17422)، ووثق رواته المنذري في (الترغيب والترهيب) (4/239)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد) (5/106).

2 – مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ص: 447).

3 – مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، رواية الكوسج (9/4712).

4 – مسند الإمام أحمد 4/154.

5 – أخرجه بطوله أبو داود (3883)، والترمذي (3883) و ابن ماجه (3530) والحديث صحيح.

قال ابن الجوزي: «إن التمائم من الشرك، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على الصبيان يتقون بها العين بزعمهم، فلما أرادوا دفع المقادير بذلك كان شركا»[1]، والتِّوَلَةُ: شيء من السحر كانت تعمله المرأة لتحبيب زوجها لها.

و(الوَدَع): هو شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم(النهاية).

وعلى العموم على المسلم أن يجتنب الرقى التي تكون باللسان الأعجمي لاحتمال ورودها على أسماء الشياطين والأصنام، ويتوقى المسلم لتوحيده فلايعلق شيئا يعتقد أنه يدفع العين والسحر، وينفي التوكل على الله تعالى، و تكون فيه الاستعانة بالجن، ونحو ذلك فإن فعل غير القرءان فقد أشرك بربه نعوذ بالله من ذلك لأنه يزعم دفع قدر الله تعالى، وذلك لحديث مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا علي رقاكم، فلا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» [2].

ولهذا فسر بعض المالكية الشرك الذي وصفت به الرقى والتمائم الممنوعة أنه شرك أكبر، لأنهم فسروه بشرك أهل الجاهلية المتضمن ألفاظا شركية صريحة.

93 - فَأَفْرِدُوهُ -جَلَّ- بِالعِبَادَهْ لا تُشْرِكُوا فِي نَوعِهَا عِبَادَهْ

العبادة: في اللغة: الطاعة مع الخضوع. ويقال طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء، وبعير معبد إذا كان مطليا بالقطران (تهذيب اللغة).

والعبادة: اسم جامع لكلّ مايحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة.

أي يجب إفراد الله تعالى بالعبادة وحده لاشريك له، (لاتشركوا في نوعها) أي في أي نوع من العبادات سواء كانت قولية أو فعلية أو قلبية (عِبَادَه) من الإنس

1 - غريب الحديث (1/112).
2 - رواه مسلم (64 - (2200).

والجن، ومن أشرك بالله غيره فقد خسر خسرانا مبينا، قال تعالى في الحديث القدسي: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: «أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ» [1].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «قول العبد: لا إله إلاّ الله يقتضي أن لا إله غير الله، والإله: الذي يطاع فلا يعصى؛ هيبة له وإجلالا، ومحبّة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كلّه إلاّ لله عزّ وجلّ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول: لا إله إلّا الله، ونقصا في توحيده؛ فكان فيه عبودية لذاك المخلوق بحسب ما فيه من ذلك»[2].

94 - فَلا تُسَمُّوا وَلَدَاً عَبْدَ عَلِيْ أو تَنْذِرُوا لِصَالحٍ أو لِوِلِيْ

النذر: يقال: نذرت أنذر، وأنذر نذرا، إذا أوجبت على نفسك شيئا تبرعا؛ من عبادة، أو صدقة، أو غير ذلك(النهاية).

قال ابن العربي: «النّذر هو التزام في الذّمّة بالقول لما لا يلزم من القُرَبِ بإجماعِ من الأمّة، ويلزم بالنيّة عند علمائنا خاصّة دون غيرهم من العلماء»[3].

الوليّ: الولاية: أي: الموالاة والنّصرة، والولاية والولاية قيل: كلاهما بمعنى، وقيل: بالكسر معناها الإمارة، يقال: هم على ولاية: إذا اجتمعوا على النصرة.

والوليّ -وزان فعيل- ضدّ العدوّ، من وليه: إذا قام به، وكل من ولي أمر غيره فهو وليه، ويطلق على ابن العم والناصر والصديق والمحب. وأصل (ولي): يدلّ على قرب [4].

---

1 - صحيح مسلم(2985).
2 - التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص، ضمن مجموع رسائل ابن رجب (3/53).
3 - القبس لابن العربي (2/658).
4 - غريب القرآن لابن قتيبة (ص: 268)، تفسير ابن جرير (15/270)، مقاييس اللغة لابن فارس (6/141).

وفي الاصطلاح: قال ابن حجر: «المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته».[1]

وقال السّيوطي: «هو العارف بالله تعالى حسب ما يمكن، المواظب على الطّاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللّذات والشّهوات»[2].

وقال الصّنعاني: «اعلم أنّ الله تعالى قد عرّفنا بأوليائه في كتابه العزيز، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ثم فسّرهم تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يُونُسَ: 63]، فإنّها مستأنفة استئنافا بيانيا، كأنّه قيل: من هم؟ فقال: الذين آمنوا وكانوا يتقون، إذا عرفت هذا عرفت أولياء الله، وأنّ صفاتهم الخوف من الله، والإقبال على ما يرضاه، والإعراض عن كل ما سواه»[3].

فمن الشرك في العبادة تعبيد الأولاد لغير الله تعالى، كعبد علي، وعبد النبي، وغيرهما مما يوحي العبودية لغير الله تعالى، وقد نص على ذلك كتاب الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأَعْرَافِ:190 - 192]، قال ابن كيسان: هم الكفّار سمّوا أولادهم عبد العزّى وعبد اللاّت وعبد مناة»[4].

ولجانب حماية الاستعباد لغير الله وكراهيته حتى في الخدم والعبيد جاء النهي، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي»[5].

---

1 – فتح الباري لابن حجر (11/ 342).

2 – إتمام الدراية للسيوطي (ص: 8).

3 – الإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني (ص: 44، 50).

4 –تفسير البغوي (2/258) وأعرضت عما نسب من الإسرائيليات لآدم عليه السلام حاشاه، والحمد لله وجدت ابن العربي وكثير ممن تبعه كالقرطبي قد برؤوا ساحة ابينا آدم وحواء مما نقله كثير من المفسرين.

5 – البخاري (2552)وأخرجه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة(2249).

وترجم البخاري في صحيحه: باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي، وقول الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: 32] قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: عبدي، أو أمتي، أي: وكراهية ذلك من غير تحريم، ولذلك استشهد للجواز بقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ وبغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على الجواز، ثم أردفها بالحديث الوارد في النهي عن ذلك، واتفق العلماء على أن النهي الوارد في ذلك للتنزيه، حتى أهل الظاهر، إلا ما سنذكره عن ابن بطال في لفظ: الرّبّ، ثم قال: وقال ابن بطال: لا يجوز أن يُقال لأحد غير الله: ربّ، كما لا يجوز أن يُقال له: إله) اهـ[1].

وقد حكى ابن حزم في «مراتب الإجماع» تحريم كلّ اسم معبد لغير الله، حاشا عبد المطلب، لما وقع فيه من خلاف؛ لقول النبي ﷺ يوم حنين: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»[2] لكن هذا لا يفيد جواز التّعبيد به؛ لأنه حكاية نسب مضى، فهو من باب الإخبار لا من باب الإنشاء.

وفي كتاب «شأن الدعاء» للخطابي قال: وقد يقع الغلط كثيراً في باب التسمية، وأعرف رجلاً من الفقهاء كان سمى ولده: عبد المطلب، فهو يُدعى به اليوم؛ وذلك أنه سمع بعبد المطلب، جدّ رسول الله ﷺ فجرى في التّسمية به على التّقليد، ولم يشعر أن جدّ رسول الله ﷺ إنما دُعي به؛ لأنّ هاشماً أباه كان تزوّج أمّه بالمدينة، وهي امرأة من بني النّجار، فولدت له هذا الغلام، وسمّاه: شيبة، ومات عنه وهو طفل، فخرج عمّه المطلب بن عبد مناف أخو هاشم في طلبه إلى المدينة فحمله إلى مكّة فدخلها وقد أردفه خلفه، فقيل له: من هذا الغلام؟ فقال: هذا عبدي، وذلك لأنّه لم يكن قد كساه، ولا نظفه، فيزول عنه شعث السّفر، فاستحيا أن يقول: ابن أخي، فدعي بعبد المطلب باقي عمره.

على أنّه لا اعتبار بمذاهب أهل الجاهلية في هذا فقد تسمَّوا: بعبد مناف، وعبد الدار، ونحوهما من الدار، ونحوهما من الأسامي) اهـ.»[3].

---

1 - الفتح (5/ 178).

2 - رواه البخاري (2864) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

3 - شأن الدعاء للخطابي (85).

ولذلك فقد اتَّفق المسلمون على أنَّه يحرُمُ كلُّ اسمٍ معبَّدٍ لغيرِ اللهِ تعالى؛ مِن شمسٍ أو وثنٍ أو بشرٍ أو غيرِ ذلك؛ مثلُ: عبدِ الرّسولِ، عبدِ النّبيِّ، عبدِ عليٍّ، عبدِ الحسينِ، عبدِ الأمير (يعني: أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، عبدِ الصَّاحبِ (يعني: صاحِب الزَّمانِ المهديَّ المنتظر)، وهي من تسمياتِ الرَّوافض!

وقد غيَّر النبيُّ ﷺ كلَّ اسمٍ معبَّدٍ لغيرِ اللهِ تعالى؛ مثل: عبدِ العُزَّى، عبدِ الكعبة، عبدِ شمسٍ، عبدِ الحارثِ.

ومن هذا البابِ: غُلام رسول، غُلام محمّد؛ أي عبد الرّسول (وغلام الله)، وهكذا؛ والصَّحيحُ في عبد المطَّلبِ المنع.

ومن هذا الغلطُ في التعبيد لأسماءٍ يُظنُّ أنَّها من أسماءِ اللهِ تعالى وليستْ كذلك؛ مثل: عبدِالمقصودِ، عبدِالستَّارِ، عبدِالموجودِ، عبد المعبودِ عبدِالهوه، عبد المُرْسِل، عبد الوحيد، عبد الطالب، عبد الناصر، عبد القاضي، عبد الجامع، عبد الحنان، عبد الصاحب»[1].

(أو تنذروا لصالح أو لولي) لايجوز النّذر لغير الله تعالى لأنّه من العبادات العظيمة التّي لايتقرّب بها لغير الله تعالى، فمن صرف ذلك لغير الله فقد أشرك، والّذين ينحرون أو ينذرون لغير الله تعالى، سواء كان للأموات، أو للجنّ، أو للملائكة، أو لغيرهم، إنّما يفعلون ذلك عن اعتقاد باطل، فيعتقدون أنها تجلب النفع أو تدفع الضر، ومنهم من يقدم تلك النحائر والنذور إلى هذه المعبودات من أجل أن تقربهم عند الله زلفى، قال الحق العظيم: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[الأنعام: 136].

والنذر لايكون إلا لله تعالى لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾[البقرة: 270]، وأي ظلم من تقديم النذور لغير الله تعالى، وقال في شأن الموحدين: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾[الحج:29]، وقال جل ذكره: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾[الإنسان:7] وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ»[2].

1 – معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبوزيد (368).
2 – رواه البخاري (6696).

قال الأذرعيّ الشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمّا النّذور للمشاهد التّي بنيت على قبر وليّ أو شيخ، أو على اسم من حلّها من الأولياء، أو رئي في تلك البقعة من الأنبياء والصّالحين، إن قصد بنذره -وهو الغالب أو الواقع من قصود العاقد- تعظيم البقعة والمشهد والزاوية، أو تعظيم من دفن بها ممن ذكرنا أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه؛ فهذا النذر باطل غير منعقد، فإنّ معتقدهم أنّ لهذه الأماكن خصوصيات لأنفسها، ويرون أنّها مما يدفع به البلاء ويستجلب به النّعماء ويستشفى بالنّذر لها من الأدواء، حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل إنه جلس إليها أو استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السّرج أو الشموع والزيت، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النّذر، يعنون بذلك أنّه يحصل بالنّذر الغرض المأمول؛ من شفاء مريض، وقدوم غائب، وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النّذر على هذا الوجه باطل لا شكّ فيه، بل نذر الزّيت والشّمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا، ومن ذلك نذر الشموع الكبيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ فإنّ النّاذر لا يقصد بذلك إلاّ الإيقاد على القبر تبركا وتعظيما، ظانًّا أنّ ذلك قربة، فهذا ممّا لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرّم، سواء انتفع به منتفع هناك أم لا»[1].

وقال الشيخ مبارك الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كل من خالط العامة يجزم بأن قصدهم بها أي: بذبائح الزردة التقرب من صاحب المزار، ويكشف عن ذلك أشياء:

أحدها: أنهم يضيفون الزّردة إلى صاحب المزار، فيقولون: زردة سيدي فلان، أوطعام سيدي عبد القادرمثلا.

ثانيها: أنهم يفعلونها عند قبره، وفي جواره، ولا يرضون لها مكانا آخر.

ثالثها: أنّهم إن نزل المطر إثرها نسبوه إلى سرّ المذبوح له، وقوي اعتقادهم فيه، وتعويلهم عليه.

رابعها: أنّهم إن نهوا عن فعلها في المكان الخاصّ، غضبوا ورموا النّاهي بضعف

1 - قوت المحتاج (10/535).

الدّين أو بالإلحاد، وقد يجاوزون الجهر بالسّوء من القول إلى مدّ الأيدي بالإذاية.

خامسها: أنّهم لو تركوها فأصيبوا بمصيبة نكسوا على رؤوسهم، وقالوا: إنّ وليهم غضب عليهم؛ لتقصيرهم في جانبه»[1].

95- وَلا تَمَسُّوا قَبْرًا اوْ تَمَسَّحُوا وَلا تَطُوفُوا حَوْلَهُ أَوْ تَذْبَحُوْا

التّمسّح: التمسح: من تمسح بالشئ: إذا مسح جسمه به، ومنه: منع التمسح بالقبور(معجم لغة الفقهاء).

الطّواف: (طاف) حول الشيء من باب قال، و(طوفانا) أيضا بفتحتين و(تطوف) و(استطاف) كله بمعنى.

(ولا تمسُّوا قبرًا، او تمسحوا)بين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مسَّ القبر للتبرك والاستشفاء ونحوهما من المنهي عنه لأنه من وسائل الشّرك الخطيرة التي يعتقد فيها الماسّ حصول البركة والشّفاء والعطاء من جدث يحوي الرّميم، قال أبو العباس القرطبي: قوله ﷺ: «أولئك إذا كان فيهم الرّجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدا، وصوروا تلك الصور» [2]، إنّما فعل ذلك أوائلهم؛ ليتأنسوا برؤية تلك الصورة، ويتذكروا بها أحوالهم الصّالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله تعالى عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أن آباءهم وأجدادهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فعبدوها؛ فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وشدد النّكير والوعيد على فعل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك، فقال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ فلا تتخذوا القبور مساجد» [3]، أي: أنهاكم عن ذلك.

---

1 – هكذا تسمى الذبائح التي ذبحت لغير الله باسم «الزردة» أو «النشرة» أو (الوعدة)في بعض جهات الجزائر، بينما يسمون ما ينذرون لغير الله بالغفارة. انظر: رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (ص: 376، 398).

2 – أخرجه البخاري (427)، ومسلم (528) باختلاف يسير مطولا من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

3 – أخرجه مالك (1/172)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) (2141) باختلاف يسير من حديث معقل بن يسار. صححه ابن عبد البر في التّمهيد (5/41)، والألباني في تخريج مشكاة المصابيح (715).

وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»[1]، وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»[2]؛ ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر رسول الله ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدّوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة؛ فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال؛ حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره؛ ولهذا الذي ذكرناه كله قالت عائشة: «ولولا ذلك لأبرز قبره»[3].[4]

بل جاءت النصوص الصحيحة في طمس الصور وتسوية القبور وهدم الأوثان، حتى لاتكون ذريعة لعبادة غير الله تعالى، بل حرص النبي ﷺ في بداية دعوته على منع الناس من زيارة القبور خشية أن يفعل الناس ماكان عليه أهل الجاهلية من المشركين فلما استقرّت عقيدة التّوحيد وتعبّدت القلوب للواحد الدّيان أذن لهم بزيارتها قصد تذكر الآخرة والدعاء لأهل الأجداث، لادعائهم والاستغاثة بهم فذلك من الشرك البائر، والسّبيل الحائر.

قال الزّعفراني: «وضع اليد على القبر ومسّه وتقبيله: من البدع التي تنكر شرعا، وقد أنكره مالك والشافعي وأحمد أشدّ الإنكار»[5].

وقال الغزالي الشّافعي: «أمّا زيارة رسول الله ﷺ فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيّا، ولا تقرب من قبره إلاّ كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيّا، وكما كنت ترى الحرمة في ألا تمسّ شخصه ولا تقبله، بل تقف

---

1 – أخرجه البخاري (1330)، ومسلم (529) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بلفظ: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا». وروي بلفظ: «وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد». أخرجه مسلم (532) من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2 – أخرجه مالك (1/172)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (2141) مطولا من حديث معقل بن يسار. صححه ابن عبد البر في التمهيد (5/41)، والألباني في (تخريج مشكاة المصابيح) (715).

3 – أخرجه البخاري (4441)، ومسلم (529) باختلاف يسير.

4 – المفهم لأبي العباس القرطبي (2/127).

5 – وفاء الوفاء(4/ 215)

من بعد ماثلا بين يديه، فكذلك فافعل؛ فإنّ المسّ والتّقبيل للمشاهد عادة النّصارى واليهود»[1].

وقال أيضا: «ليس من السنّة أن يمسّ الجدار، ولا أن يقبله، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام»[2].

قال أبو بكر الطرطوشي: «لا يتمسّح بقبر النبي ﷺ، ولا يمسح كذلك المنبر»[3].

وقال عبد القادر الجيلاني: «وإذا زار قبرا لا يضع يده عليه، ولا يقبله؛ فإنّها عادة اليهود»[4].

وقال العلامة ابن الحاج المالكي: «ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة، أو بجدران المسجد، أو بالمصحف إلى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب ولمخالفة السنة؛ لأن صفة التعظيم موقوفة عليه ﷺ، فكل ما عظمه رسول الله ﷺ نعظمه ونتبعه فيه، فتعظيم المصحف قراءته، والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعل بعضهم في هذا الزمان، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه»[5].

قال ابن قدامة في المغني: «ولا يستحبّ التّمسح بحائط قبر النبي ﷺ ولا تقبيله قال أحمد: ما أعرف هذا. قال ابن الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسّون قبر النّبيّ ﷺ يقومون من ناحية فيسلّمون»[6].

وأما ما يروى عن أحمد من أنه كان لا يرى بأساً بتقبيل القبر النبوي فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أنّ بعض أصحاب أحمد قد استبعدوا ذلك»[7].

---

1 – إحياء علوم الدين للغزالي (1/271).
2 – إحياء علوم الدين للغزالي (1/259).
3 – الحوادث والبدع للطرطوشي (ص: 156).
4 – الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني (1/ 91).
5 – المدخل لابن الحاج(1/263).
6 –المغني 3/ 559 الفروع (2/ 573) وفاء الوفا(4/ 1403).
7 –فتح الباري(3/ 475). وفاء الوفا(4/ 1404)

وشكّك ابن حجر الهيتمي في هذه الرواية عن أحمد أيضاً، وذكر أنّ بعض أصحاب أحمد استبعدوا ذلك.

وقرينة ذلك ما رواه عنه الأثرم من أنه سئل عن جواز لمس قبر النبي ﷺ والتمسح به فقال: ما أعرف هذا»[1].

وفي الإنصاف للمرداوي الحنبلي قال: «قال أحمد: أهل العلم كانوا لا يمسّونه» قال المرداوي: ولا يستحب التمسح بالقبر على الصّحيح من المذهب» [2].

(ولاتطوفوا حوله) إنّ الطواف بالكعبة من أجلِّ العبادات التي فرضها الله علينا تعظيما لشعائر الدين واتباعا لخليل الرحمن، وسيدنا محمد خير ولد عدنان، عليهما الصلاة والسلام، ولذلك حرّم الطّواف بغير الكعبة مع قصد التّقرب لغير الله تعالى، كالطّواف بالقبور والمشاهد ونحوها، فالطواف عبادة؛ ويحرم فعلها في غير ماخصصت له كالسجود والركوع لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾[الحج: 29]، وصرف العبادة أو شيء منها لغير الله شرك، وأما لو طاف بتلك القبور بقصد التقرب إلى الله تعالى فهذا محرّم، وبدعة منكرة، ووسيلة لعبادة تلك القبور.

ولقد أبان المالكية هذه المسألة من خلال عنصرين مهمين وهما:

أ- مكان الطواف.

ب- صلة الطواف بالعبادة.

أما مكان الطواف فهو مختص ببيت الله الحرام الذي جعل الشارع الحكيم فيه الطواف صلاة، وإذا كان صلاة فلايحلّ التقرب به لغير الله، أو يفعل مشابهة للبيت العتيق الذي أمرنا الله أن نطوف به لابغيره، حتى إنّ العلماء رأى كثير منهم عدم صحة من طاف داخل المسجد وبينه وبين البيت السواري، وأبطلوا طواف من طاف داخل الحِجْر، وإذا كان الطواف يحمل تلك المعاني العظيمة المملوءة بالخضوع

1 – حاشية الهيتمي على شرح الإيضاح في المناسك(454).

2 –الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف 4/ 53 ط: ابن تيمية – القاهرة.

والخشوع والتسليم والاستسلام لله رب العالمين فقد شبهه العلماء بالصلاة التي هي عماد الدين، من حيث مراعاة العبد لطوافه مايراعيه في الصلاة، من طهارة حدث، وسمت وخضوع، وعدد محدد وهو كل سبعة أشواط، وقد نقل القرافي قول بعض العلماء في المفاضلة بين أركان الحج مقرا له، ونصه: «أفضل أركان الحج الطواف؛ لأنه مشتمل على الصلوات، وهو نفسه مشبه بالصلاة، والصلاة أفضل من الحجّ، فيكون أفضل الأركان»[1].

وفي موضع آخر نص على أن الطواف عبادة متعلقة بالبيت، فأشبهت الصلاة[2]، وقال الخرشي: الطواف عند مالك كالصّلاة، إلاّ أنّه يباح فيه الكلام[3]، ونقل محمد المختار قول القسطلاني مقرا له، ونصه: فليتأدب بآداب الصلاة خاضعا حاضر القلب، ملازم الأدب فى ظاهره وباطنه، مستشعرا بقلبه عظمة من يطوف ببيته[4].

وبيّن الباجي أنّ الطّواف عند المالكيّة عبادة محضة كالصّلاة، والعبادة حقّ الله وحده، ولا يجوز صرفها لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] [5].

وكما أنّ المصلّي يتوجّه في صلاته باستقبال البيت العتيق، كذلك لا يتطوف إلا به، وذلك برهان على ارتباط الطواف بالعبادة، وماله من المنزلة الرفيعة من بين العبادات.

ولذلك قال العلامة ابن الحاج المالكي في المدخل: «فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشّريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسّح به ويقبّله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك، وذلك كلّه من البدع؛ لأنّ التبرك إنما يكون بالاتّباع له ﷺوما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلاّ من هذا الباب»[6]، وقال

1 – الذخيرة (3/175).
2 – الذخيرة (3/238).
3 – الخرشي على مختصر خليل (2/314). وانظر إرشاد الساري (3/174).
4 – نور الحق (3/238).
5 –المنتقى للباجي (2/290).
6 – المدخل لابن الحاج (1/263) /الناشر: دار التراث/ الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

أيضا: «لايجوز الطواف حول الأضرحة، فإنه لايطاف إلاّ بالبيت العتيق»[1].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يَجُوزُ أَنْ يُطَافَ بِقَبْرِ النَّبِي ﷺ وَيُكْرَهُ إِلْصَاقُ الْبَطْنِ وَالظَّهْرِ بِجدَارِ الْقَبْرِ، قَالَهُ الْعَلِيمِيُّ وَغَيْرُهُ، وَيُكْرَهُ مَسحهُ بِالْيَدِ وَتَقْبِيلُهُ، بَلِ الأَدَبُ أَنْ يَبْعَدَ مِنْهُ كَمَا يَبْعُدُ مِنْهُ لَوْ حَضَرَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، هَذَا هُوَ الصَّوَابُ وَهُوَ الَّذِي قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَطْبَقُوا عَلَيْهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ لا يَغْتَر بِكَثِيرٍ مِنَ الْعَوَامِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ ذُلِكَ فَإِن الاقْتِدَاءَ وَالْعَمَلَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَلَا يلتفتُ إِلَى مُحْدَثَاتِ العَوَام وجهالاتهم، وَلَقَدْ أَحْسَنَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ أَبو عَلِي الْفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِهِ مَا مَعْنَاهُ: «اتَّبِع طُرُق الْهُدَى وَلَا يَضُرُّكَ قِلَّةُ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطُرُقَ الضَّلالَةِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ»، وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّ الْمَسْحَ بِالْيَدِ وَنَحْوِهِ أَبْلَغُ فِي الْبَرَكَةِ فَهُوَ مِنْ جَهَالَتِهِ وَغَفْلَتِهِ، لِأَنَّ الْبَرَكَةَ إِنَّمَا هِيَ فِيمَا وَافَقَ الشَّرْعَ وَأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ، وَكَيْفَ يَبْتَغِي الفضل في مُخَالَفَةِ الصَّوابِ. انتهى[2].

(أوتذبحوا) الذبائح من الأنساك العظيمة في شرعنا، فلذلك اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفسه بالقربان بها إليه فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:162 - 163].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ما كان النبي ﷺ يسرّ إلي شيئا يكتمه الناس، غير أنّه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غير منار الأرض».[3]

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[المائدة:3]، قال ابن عطيّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني ما ذبح لغير الله تعالى، وقصد به صنم أو بشر من النّاس، كما كانت العرب تفعل، وكذلك النّصارى، وعادة الذّابح أن يسمّي مقصوده، ويصيح به، فذلك إهلاله»[4].

---

1 -المدخل (1/91) ط- دار العلمية.

2 - الايضاح في مناسك الحج والعمرة للإمام النووي (ص 456).

3 - أخرجه مسلم (1978).

4 - تفسير ابن عطية (2/ 150).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ قال مجاهد وابن جريج: كانت النّصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصبا، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصّنيع، وحرّم عليهم أكل هذه الذّبائح التي فعلت عند النُّصُب، حتّى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذّبح عند النّصب، فهو من الشّرك الذي حرّمه الله ورسوله» [1].

وقال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[الكوثر: 2]، قال محمد بن كعب «إنّ ناسا كانوا يصلّون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر -يا محمد- فلا تكن صلاتك ونحرك إلاّ لي»[2].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[الحج:67].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ﴾ [الحج:67]، الأظهر في معنى قوله منسكا هم ناسكوه، أي: متعبّدا هم متعبّدون فيه، لأنّ أصل النّسك التّعبد وقد بيّن تعالى أنّ منسك كلّ أمّة فيه التّقرب إلى الله بالذّبح، فهو فرد من أفراد النّسك صرح القرآن بدخوله في عمومه، وذلك من أنواع البيان الذي تضمنها هذا الكتاب المبارك، والآية التّي بيّن الله فيها ذلك هي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾[الحج: 34].

بل يجب اجتناب الأماكن التي كان فيها آثار عبادة لغير الله من أيام الجاهلية، فعن ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجُلاً نذَرَ على عَهدِ النَّبيِّ ﷺ أن ينحرَ إبلاً ببوانةَ، فأتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إنِّي نذرتُ أن أنحرَ إبلاً ببوانةَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «هل كانَ فيها وَثَنٌ مِن أوثانِ الجاهِليَّةِ يُعبَدُ؟» قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيدٌ من أعيادِهم؟» قالوا: لا، قال النَّبيُّ ﷺ: «أوفِ بنَذْرِك؛ فإنَّه لا وفاءَ لِنَذرٍ في مَعصيةِ اللهِ، ولا فيما لا يملِكُ ابنُ آدَمَ» [3].

---

1 - تفسير ابن كثير (3/ 23).

2 - تفسير ابن جرير (24/695).

3 - أخرجه أبو داود (3313) واللفظ له، والطبراني (2/76) (1341)، والبيهقي (20634). صححه ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) (493)، وابنُ الملقن في (البدر المنير) (9/518)، والألباني في (صحيح سنن أبي

فاجتناب الأماكن التي كانت فيه معاصي أوشركيات مقصد شرعي نبيل لصرف النّاس عن تذكر أحوال العصاة والمسخوطين، وإنّ النّاس كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضا، ومن تتبع ذلك في النّصوص يجد كثيرا منها: نهي النّبيّ ﷺ عن الدّخول إلى ديار ثمود، ومنها حديث الرّجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وكيف وجهه الراهب للخروج من قرية المعاصي، ومنها تغريب الزاني حتّى لايُذَكِّر الناس بالزنا وغير ذلك مما هو مبثوث في الشريعة.

ولذا يحرم القيام باحتفال أو اجتماع لم يأت في الشّرع ما يدلّ على إباحته؛ كعيد رأس السنة، أو الاحتفال بالهجرة، أو المولد النبوي، أو الإسراء، أو غيرها من الأعياد، على أن بعض البلدان التي طمس فيها الدين وكثر فيها الكفر يباح فيها ما لايباح في غيرها من الضرورات.

96 - لا تَعبدُوهُ بِسِوَى مَا قَدْ شَرَعْ .....

يجب على المسلم أن يتقرب إلى الله بما قد شرع سواء كان ذلك في جناب التوحيد أوسائر الطاعات، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليسير العباد على نورٍ هديها ويجتنبوا سبل الضلالة والهلاك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يُوسُفَ: 108].

و عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» [1]، و(أحدث) اخترع، (أمرنا هذا) ديننا هذا وهو الإسلام، (ما ليس فيه) مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها وفي بعض النسخ (ما ليس منه)، (رد) باطل ومردود لا يعتد به.

قال الشاطبي: «كلّ من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له، فقد ناقض

داود) (3313)، والوادعي على شرط الشيخين في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) (193)، وقال ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) (1/490): أصلُه في الصَّحيحَينِ، وإسنادُه على شرطِ الصَّحيحَينِ، كُلُّهم ثِقاتٌ مشاهيرُ، وهو متَّصِلٌ بلا عنعنةٍ.

1 - رواه البخاري (2697)، ومسلم (17 - (1718).

الشريعة، وكلّ من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التّكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل؛ لأنّ الأخذ في خلاف مقاصد الشّريعة مشاقة ظاهرة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النِّسَاء: 115]، كما أن القاصد لخلاف الشرع مستهزئ بآيات الله وأحكامه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾[البَقَرَة: 231][1].

ولذلك فإن العبادات كلها توقيفية، والأصل فيها الوحي، ولا اجتهاد فيها مع النصّ، ولا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ، ولا متبوع سوى نبينا ﷺ في ذلك.

96- ..... قَدْ نَتَقَرَّبُ بِجَلْبِ مَانَفَعْ

97- أوْ دَفْعِ مَا ضَرَّ لِمَخْلُوقٍ وَلَا نَبْلُغُ ذَا مِنْ مَالِكِ المُلْكِ عَلاَ

قد نتقرّب لمخلوق بأن نجلب له ماينفعه، أو ندفع عنه مايضرّه، كما قال النّبيّ ﷺ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما مرض وخشي الموت «وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ، فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ»[2]، أي(فينتفع بك ناس) من المسلمين بالغنائم التي ستغنم ممّا يفتح الله على يديك من بلاد الشرك، (ويضرّ بك آخرون) وهم الذين سيهلكون على يديك من أهل الباطل والشرك، وهذا معجزة من معجزاته ﷺ حيث أخبر عنه قبل وقوعه ووقع كما أخبر به فقد فتح الله تعالى على يديه بلاد العراق.

وكما قال الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنّما يرجّى الفتَى كيما يضرّ و ينفع

ولكن بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو غني عن خلقه، لايبلغه نفعنا، ولاينقصه ضررنا، كما جاء في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ

1 - الموافقات (3/ 27 - 31).

2 - البخاري(2742).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا» [1].

وهذا يعني: أنَّ العبادَ لا يَقدِرونَ أنْ يُوصِّلُوا إلى اللهِ نَفعًا ولا ضُرًّا؛ فإنَّ اللهَ تعالَى في نفْسِه غنِيٌّ حميدٌ لا حاجةَ له بطاعاتِ العبادِ ولا يعودُ نفعُها إليه، وإنَّما هم يَنتفعونَ بها ولا يَتضرَّرُ بمعاصِيهم، وإنَّما هم يَتضرَّرونَ بها، «ياعِبادي لو أنَّ أوَّلَكم» مِنَ الموجودِينَ «وآخِرَكم» مِمَّنْ سَيُوجدُ، وَقِيل: مِنَ الأمواتِ والأحياءِ، والمرادُ جميعُكم، «وإِنْسكم وجِنّكم كانوا على أَتقَى قَلْبِ رجلٍ منكم» أي: لو اجتَمَعْتُم على عِبادتي، «ما زاد ذلك في مُلْكي شيئًا» وهو بيانُ أنَّ اللهَ سُبحانه لا يَحتاجُ إلى شَيءٍ مِن عِبادةِ العِبادِ، بلْ هُم الَّذين يَحتاجُون إليه.

98 - وبِالرُّبُـوبِيَّـــةِ وَحِّـــــدُوهُ فَهْوَ الَّذِي تَعْنُو لهُ الوُجُوهُ

الرّبوبية: مصدر اصطناعي من ربَّهُ يَرُبُّهُ، قال ابن فارس: «الراء والباء يدل على أصول.

فالأوّل: إصلاح الشّيء والقيام عليه، فالرّبّ: المالك، والخالق، والصّاحب، والرّبّ: المصلح للشيء، والله جلّ ثناؤه الرّبّ؛ لأنّه مصلح أحوال خلقه»[2].

وقال الرّاغب: «الرّبّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشّيء حالا فحالا إلى حدّ التّمام» [3].

وقال أبو حيان: «الرّبّ: السيّد، والمالك، والثّابت، والمعبود، والمصلح، وزاد بعضهم: بمعنى الصاحب، وبعضهم: بمعنى الخالق[4].

---

1 - رواه مسلم (55 - 2577).
2 - مقاييس اللغة (2/381).
3 - المفردات (ص: 336)
4 - تفسير أبي حيان (1/33). وانظر: تفسير الثعلبي(1/109)، الدر المصون للسمين الحلبي (1/44).

تعنو: من عنت أي خضعت وذلّت، والعاني: الخاضع المُتَذَلِّل. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾[طٰهٰ:111]،وهي تَعْنو عُنُوّاً، وجئت إليك عانياً: أي: خاضعاً كالأسير المرتهن بذنوبه (مقاييس اللغة).

تكلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت على توحيد الرّبوبيّة، وقد عرفه العلماء بأنه: الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، ومدبّره، والمتصرّف فيه، ليس له شريك في ملكه، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته»[1].

وتوحيده بالربوبية يقتضي إفراده بالربوبية ونفيها عمن سواه، ومن لوازمها توحيد الألوهية فلايعبد إلاّ من كان ربًّا خالقا قاهرا، ومن لوازمها توحيد الأسماء والصفات، فإذا تمّ ذلك تمّ التّوحيد الخالص لله تعالى، وشواهد الرّبوبيّة كثيرة منها الفطرة التي فطر الله عليها الخلق بأنّه خالقهم ومربّيهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الرُّوم: 30].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [2].

فقد فطر الله كلّ إنسان على توحيده، بحيث يكون ذلك أصلا يولد عليه كل مولود؛ فالفطرة هي الإسلام الذي أصله توحيد الله بالإرادة والمحبة، وأمّا الأديان الباطلة فهي مخالفة للفطرة، وانحراف عن الأصل الذي هو الإسلام».

ودل عليه شاهد الشرع فقد أرسل الله تعالى رسله بالوحي، وأيدهم بالمعجزات تصديقا لهم، وإذا جاء الرسول بآية تدل على صدقه فقد ثبتت الرسالة، وتثبت الربوبية بذلك ضمنا؛ لأنها حدث من جنس لا يقدر على مثله البشر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[الحَدِيد: 25].

---

1 – تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص: 56)، تاج العروس للزبيدي (9/276) أعلام السنة المنشورة (ص: 23) لحافظ للحكمي.

2 – أخرجه البخاري (4775) واللفظ له، ومسلم (2658).

وقد جاء الرسل بالآيات العظيمة لإثبات ربوبية الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فآمن من آمن وكفر من كفر.

وهكذا دليل الحس فابن آدم إذا أصابته المصائب وأحاطت به البلايا لجأ حتما إلى خالقه، وهكذا دليل العقل والتجربة والبرهان، وفي كلّ شيء له ءاية تدلّ على أنّه الواحد.

إن ّالإنسان حين يدعو الله عزّ وجلّ فيستجيب دعاءه، فهذه دلالة حسيّة تشهد على وجود الله، وانفراده بتدبير الكون، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[إِبْرَاهِيمَ: 34].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأَنْعَامِ: 41].

وقال الله عز وجل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النَّمْلِ: 62].

(فهو الذي تعنو له الوجوه) أي فهو الرب القدير الذي تذلّ لعظمته وجوه الخلائق، وذكر الوجوه لأنها أشرف مافي بنِية العباد، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[طٰهٰ:111].

99 - لاتجعلُوا إذَا دَعَوْتُم وُسَطَا بَيْنَكُمْ وبينَهُ فهْوَ خَطَا

وُسَطَا: جمع واسطة، والوَاسِطَةُ: ما يُتَوَصَّل به إلى الشيء

خطأ: هو الفعل الذي يكون ضد الصواب ومنه، والْخَاطِئونَ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمّدا، والمخطئ الذي يفعله بغير تعمد.

حذر الشيخ في هذا البيت من ارتكاب أكبر خطإ وهو أن تجعل بينك وبين الله وسطاء في الدعاء بحجة باردة وهي أنهم أفضل منا عند الله تعالى متأسيا في ذلك بالمشركين الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزُّمَرِ:3]، ومن أعظم

العبادات في ديننا الدعاء، ومنه الاستغاثة، كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِر: 60] قال: «الدّعاء هو العبادة»[1]، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾[2].

قال ابن المَلَك: «الدعاء هو العبادة»؛ لأنّ المقصود الأعظم من العبادة: الإقبال عليه تعالى، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجى ولا يخاف إلاّ إيّاه، والدّعاء لا ينفك عن هذه المعاني، فجعله ﷺ نفس العبادة»[3].

فإذا كان الدعاء أعظم العبادات فليبتهل العبد إلى ربّه مباشرة وليحذر أن يكون المشركُ أخلصَ منه في الدّعاء إذا أصابته الشّدّة ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يُونُس: 22 - 23] الآية، بينما بعض من يدّعي الإسلام يشرك في هذا الجانب المهمّ من عبادته، فلكم سمعناهم في السراء والضراء يستغيثون بسيدي فلان وعلان، فياعجبا من الشّيطان الإنسي والجنيّ الذي زرع هذه الشركيات ليبقى متربعا على قلوب بعض العباد.

ومن العجيب أن النبي ﷺ سئل ثلاثة عشر سؤالا فأجاب المولى فيها (بقل) إلاّ في الدعاء لم يجعله واسطة بينه وبين خلقه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: 186]، ولم يقل له فقل إنّي قريب.

قال القشيري: «سؤال كلّ أحد يدلّ على حاله لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دين ولا عن دنيا ولا عن عقبى بل سألوا عنه فقال تعالى: «وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي

1 - أخرجه أبو داود (1479)، والترمذي (3247)، وابن ماجه (3828) صححه الترمذي، وابن حبان في (صحيحه) (890).

2 -الترمذي (2969) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

3 - شرح المصابيح (3/ 73).

عَنِّي». وليس هؤلاء من جملة من قال: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ»، ولا من جملة من قال: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى»، ولا من جملة من قال: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ»، ولا من جملة من قال: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ»، ولا من جملة من قال: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ»، و «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ».

هؤلاء قوم مخصوصون: «وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي».

أي إذا سألك عبادى عنّي فبماذا تجيبهم؟ ليس هذا الجواب بلسانك يا محمد، فأنت وإن كنت السّفير بيننا وبين الخلق فهذا الجواب أنا أتولاه «فَإِنِّي قَرِيبٌ»، رفع الواسطة من الأغيار عن القربة فلم يقل قل لهم إنى قريب بل قال جَلَّجَلَالُهُ: فإنّى قريب.

ثم بيّن أن تلك القربة ما هى: حيث تقدّس الحقّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن كل اقتراب بجهة أو ابتعاد بجهة أو اختصاص ببقعة فقال: «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ» وإن الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قريب -من الجملة والكافة- بالعلم والقدرة والسماع والرؤية، وهو قريب من المؤمنين على وجه التبرية والنصرة وإجابة الدعوة، وجلّ وتقدّس عن أن يكون قريبا من أحد بالذات والبقعة فإنه أحديّ لا يتجه في الأقطار، وعزيز لا يتصف بالكنه والمقدار»[1].

إذا فالدّعاء عبادة من أعظم العبادات، وأجلّ الطّاعات، ويجب صرفه لله تعالى وحده لا شريك له، فإن من دعا، أو استغاث، أو استعان، أو استعاذ بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ، فقد كفر وخرج من الملّة، سواء كان هذا الغير نبيّا، أو وليّا، أو ملكا، أو جنيّا، أو إنسيا أو غير ذلك من المخلوقات.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس: 106- 107].

1 -تفسير القشيري (1/156).

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: ولا تدع -يا محمد- من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرّك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها؛ فإنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[يونس: 106]يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفسهم»[1].

والضمير في قوله (فهْو خَطَا) يعود على الجعل المذكور في الجملة، لأنّ الشّرك من أكبر الأخطاء، وأعظم الكبائر الموبقة في النّار.

100 - ذَلِكَ، والإيمانُ كُلٌّ قَدْ شَمَلْ عَقْدَاً بقَلْبٍ مَعَ قَوْلٍ وَعَمَلْ

101 - بِنِيَّةٍ في سُنَّةٍ وَبِالعَمَلْ زِيَادَةً ونَقْصَاً المثْلَ احْتَمَلْ

الإيمان: الإيمان في اللغة: بمعنى التصديق، وأصل الأمن: هو طمأنينة النفس وزوال الخوف(المفردات للراغب)،

وفي الاصطلاح هو: التصديق الجازم بكلّ ما أخبر به الله ورسوله مع الإقرار والطمأنينة، والقبول والانقياد له»[2].

شَمَلْ: الشّين والميم واللاّم أصلان منقاسان مطّردان، كلّ واحد منهما في معناه وبابه.

فالأوّل يدلّ على دوران الشّيء بالشّيء وأخذه إياه من جوانبه، من ذلك قولهم: شملهم الأمر، إذا عمّهم.

وهذا أمر شامل، ومنه الشّملة[3]، وهي كساء يؤتزر به ويشتمل، وجَمَعَ اللهُ

1 -تفسير ابن جرير (12/304).

2 - الصارم المسلول لابن تيمية (3/966)، الإيمان الأوسط لابن تيمية (ص: 439)، تفسير سورة الشعراء لابن عثيمين (ص: 176).

3 - الشمْلَةُ عِنْد الْبَادِيَة: مِئْزَرٌ من صُوفٍ أَو شَعَرٍ يُؤْتَزَرُ بِهِ، فَإِذا لُفِّقَ لِفْقَان فَهِيَ مِشمَلَة يَشتَمِلُ بهَا الرّجل إِذا نَام باللَّيل، والشِّملة: الحالةُ الَّتِي يَشتَمِلُ بهَا.

شَمْلَهُ، إذا دعا له بتألّف أموره، وإذا تألّفت اشتمل كلّ واحد منهما بالآخر(تهذيب اللغة).

(ذلك)، أي اعرف ذلك، وتمسّك به ويعرف هذا الأسلوب بالاقتضاب، واعلم بأن (الإيمان قد شمل الاعتقاد بالقلب، والنّطق باللّسان والعمل بالأركان)، قال ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب،وعمل بالجوارح،يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية اهـ[1].

والقصد من قولهم: (قول وعمل) أي: أرادوا قول القلب واللّسان، وعمل القلب والجوارح، وقد عقد الإمام البخاري في كتابه الصّحيح الجامع، كتابا باسم الإيمان وافتتحه بقوله: باب قول النبي ﷺ: (بني الإسلام على خمس) وهو قول وفعل يزيد وينقص.[2]

وأوّل مايجب الإيمان به ماورد من أركان الإيمان في حديث جبريل، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كانَ النبيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فأتَاهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: ما الإيمَانُ؟ قالَ: الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وبِلِقَائِهِ، ورُسُلِهِ وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ. قالَ: ما الإسْلَامُ؟ قالَ: الإسْلَامُ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، ولَا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ» [3].

بِنِيَّةٍ فِي سُنَّةٍ وَبِالعَمَلْ زِيَادَةً ونَقْصاً المِثْلَ احْتَمَلْ

أي أنّه لايتمّ الإيمان إلاّ بعقد القلب وقول اللّسان، وعمل الجوارح، ولاقول ولاعمل إلا (بنية)،لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» [4]، ولانية ولاقول ولاعمل إلا

1 – كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني ص(142).
2 – انظر الجامع الصحيح للبخاري كتاب الإيمان ج1 من ص 7 إلى ص 20 والجامع الصحيح لمسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان (1/من ص 145 إلى ص 244)، و(ج2 من ص 2 إلى ص 233).
3 – رواه البخاري(50).
4 – رواه البخاري ومسلم.وهو مشهور.

باتباع السنة، لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي» [1]، وهذا عين ماقاله أبو محمد في رسالته: «وأنَّ الإيمانَ قَولٌ باللِّسانِ، وإخلاَصٌ بالقلب، وعَمَلٌ بالجوارِح، يَزيد بزيادَة الأعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها[2]، فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكْمُلُ قَولُ الإيمانِ إلاَّ بالعمل، ولا قَولٌ وعَمَلٌ إلاَّ بنِيَّة[3]، ولا قولٌ وعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إلاَّ بمُوَافَقَة السُّنَّة» اهـ[4].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء: 19]، فقد ذكر فيها الإيمان، وإرادة الآخرة وهي النية،والسعي وهو العمل وتقييده بأن يكون سعيها، ولايكون كذلك إلا وهو موافق للسنة.

وكنت قلت: «فالإرادة النّية والقصد، والسّعي العمل الصّالح، والإيمان اعتقاد وقول وعمل، وذلك هو السّعي المشكور وماسواه مبتور» فلما رأيت ماكتبه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أضفته، وقد أسنده للحميدي في رسالة السنة، والحمدلله على توفيقه.

وقد عقد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابا فقال «باب قَوْل النَّبِيِّ ﷺ بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح:4] ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[الكهف: 13] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾[مريم: 76] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[محمد: 17] وَقَوْلُهُ ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[التوبة: 124]وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾[آل عمران: 173] وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: 22].

وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنْ الْإِيمَانِ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلْ الْإِيمَانَ فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ. اهـ[5].

---

1 – رواه أبوداود(4607) وابن ماجة (42).
2 – في نسخة: (بنقص الأعمال).
3 – في نسخة: (وأنَّه لا قولَ ولا عملَ إلاَّ بنيَّة).
4 – الرسالة القيروانية ( ).
5 – فتح الباري (1/47).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنكرَ السَّلفُ على مَنْ أخرجَ الأعمالَ عنِ الإيمانِ إنكاراً شديداً، وممَّن أنكرَ ذلك على قائله، وجعلَه قولاً مُحدَثاً: سعيدُ بنُ جبيرٍ، وميمونُ بنُ مِهرانَ، وقتادةُ، وأيُّوبُ السَّختيانيُّ، وإبراهيمُ النَّخعي، والزُّهريُّ، ويحيى بنُ أبي كثيرٍ، وغيرُهم. وقال الثَّوريُّ: هو رأيٌ محدَثٌ، أدركنا الناس على غيره. وقال الأوزاعيُّ: كان مَنْ مضى ممَّن سلف لا يُفَرِّقون بين الإيمان والعمل»[1].

قال ابن كثير: عند تفسير قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[البقرة:3]، قال ابن جرير وغيره: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولا واعتقادًا وعملا: قال: وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان، الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعةٌ للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل.

قلت – القائل ابن كثير –: أمّا الإيمان في اللّغة فيطلق على التّصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن، والمراد به ذلك، كما قال تعالى: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: 61] وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[يوسف: 17]، وكذلك إذا استعمل مقرونا مع الأعمال؛ كقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الانشقاق: 25، والتين: 6]، فأمّا إذا استعمل مطلقًا فالإيمان الشّرعيّ المطلوب لا يكون إلاّ اعتقادًا وقولا وعملا.

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عُبَيد وغير واحد إجماعًا: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»اهـ[2].

وقال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنّ الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص [3].

والآثار في زيادة الإيمان ونقصه أكبر من أن تحصر، نسأل الله أن يملأ قلوبنا إيمانا ويقينا.

---

1 – جامع العلوم والحكم لابن رجب (47).
2 – تفسير ابن كثير (1/56) دار الفكر.
3 – فتح الباري (1/47).

ومعنى البيتين: «شمل الإيمان عقد الجنان، وقول اللّسان، وعمل الأركان، ولايصحّ ذلك إلاّ بنية صادقة، واتّباع للنّبيّ ﷺ، مع الاعتقاد بأنّ الإيمان يزيد بالطّاعات وينقص بالمعاصي».

102 - وَالوَحيُ حقٌّ لَيْسَ قَوْلاً يُخْتَلَقْ وَالكُتْبُ حَقٌّ، وَالمَلائِكَةُ حَقّْ

الوحي: الوحي في لغة العرب: مصدر مأخوذ من الفعل: وحى، وأوحى، وهو لفظ من ألفاظ الاشتراك اللغوى التى تطلق على معان منها: الإلهام، والإشارة، والرسالة، والأمر، والإيماء ويجمعها كلها معنى واحد هو: «إعلام الغير فى خفاء» (تهذيب اللغة).

واصطلاحا: هو: تكليم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لمن اختاره من عباده بإحدى طرق الوحى[1].

أو هو: كلام الله المنزل على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم[2].

(والوحي حقٌّ) كما في حديث ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا: «أنتَ الحقُّ، وقولُك الحقُّ» [3].

أنواع الوحي: تعددت طرق الوحي التي كان يوحي بها الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، فمنها:

1- تكليم الله تعالى مباشرة من وراء حجاب، يقظة كما حصل ليلة المعراج، ومناماً كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - أي: فِي المنام - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لَا أَدْرِي»[4].

1 - مورد الظمآن إلى علوم القرآن: ص 10.
2 - أنوار البيان فى علوم القرآن ص 34.
3 - أخرجه البخاري (7385).
4 -) رواه الترمذي (3234)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

2- النّفث في الرُّوع: وهو ما يقذفه الله في قلب الموحَى إليه مما أراد الله تعالى، وهو داخل في «الوحي» المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشُّورَىٰ: 51].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّه لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَن تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ» [1].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِي رُوعِي) بضم الرّاء، أي: ألقى الوحي في خلَدي وبالي، أو في نفسي، أو قلبي، أو عقلي، من غير أن أسمعه ولا أراه»[2].

3- الرؤيا الصادقة: عن عائشة أمّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» [3].

وقال عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ – وهو من كبار التابعين –: «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصَّافَّاتِ: 102] [4] ».

4-. عن طريق جبريل عليه السلام، وكان يأتيه على صور، منها:

أ- أن يأتيه على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها.

عن مسروق أنه سأل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التَّكْوِيرِ: 23]، وقوله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النَّجْمِ/ 13]،: فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»[5].

---

1 – رواه الحاكم في المستدرك (2 / 4) من حديث أبي أمامة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2085).
2 – فيض القدير (2 / 571).
3 – رواه البخاري
4 – رواه البخاري (138).
5 – رواه مسلم (177).

ب- أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ» [1].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «يأتيني في مثل صلصلة الجرس» فالصّلصلة: صوت الحديد إذا حرّك، قال أبو سليمان الخطابي: يريد -والله أعلم- أنّه صوت متدارِك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يقرع سمعه حتى يتفهم، ويستثبت، فيتلقفه حينئذٍ ويعيه، ولذلك قال: وهو أشده عليَّ»[2].

وقال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله (وهو أشدّه عليَّ) إنّما كان أشدّ عليه لسماعه صوت الملك الذي هو غير معتاد، وربما كان شاهَدَ المَلَك على صورته التي خُلق عليها، كما أخبر بذلك عن نفسه في غير هذا الموضع، وكان يشتد عليه أيضاً ؛ لأنه كان يريد أن يحفظه ويفهمه مع كونه صوتا متتابعا مزعجاً، ولذلك كان يتغير لونه، ويتفصد عرقه، ويعتريه مثل حال المحموم، ولولا أن الله تعالى قواه على ذلك، ومكّنه منه بقدرته: لما استطاع شيئا من ذلك، ولهلك عند مشافهة الملك ؛ إذ ليس في قوى البشر المعتادة تحمل ذلك بوجه»[3].

أحيانا يأتيه الوحي بواسطة جبريل فيتمثل له رجلاً، قد يُرى في صورة واحد من الصحابة، كما في حديث جبريل المشهور، وقد تمثل للنبي ﷺ بصورة الرجل الغريب، فسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان.

وقد لا يُرى منهم، كما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»[4].

---

1 - رواه البخاري (2) ومسلم (2333)

2 - شرح السنَّة (13 / 322).

3 - المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (6 / 172).

4 - رواه البخاري (2) ومسلم (2333).

وأحيانا يكون عنده أصوات يسمعها ويشعر بها من حوله من أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم، وفي بعضها معاناة شديدة، ومن ذلك: أنّ الصّحابة كانوا يسمعون عند وجهه دويّاً كدويّ النحل[1]، وربما كان جبينه وجبهته تفيضان بالعَرَق حتّى في اليوم الشّديد البرد [2]، وربما أنّه يثقل وزنه ﷺ جدّاً حتّى إنّ البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك، وحتّى خشي زيد بن ثابت على فخذه أن ترضَّ وقد كانت فخذه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تحت فخذ النّبي ﷺ[3]، وكان تصيبه الشدّة[4]، وكان يتغيّر وجهه ﷺ فيتربَّد ثمّ يحمرُّ [5]، وكان ﷺ ينكس رأسه، ويغطيه بثوب[6]، وكان ﷺ يحرِّك لسانه بسرعة وشدة ليحفظ عن جبريل حتى نهاه الله عن ذلك وطمأنه أنه سيجمع القرآن له في صدره [7]، وكان يُسمع له غطيط كغطيط البَكر، وهو الفتي من الإبل[8].

يختلق: أصل الفعل خلق، (خلق) الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء، واختلق القولَ: ادّعاه وافتراه، هذا خبر مختلَق ولا أساس له من الصحة، ومنها الاختلاق: يقال لمن يختلق الكذب:اختلاقه واختراعه وتقديره في النفس، قال الله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت: 17].(مقاييس اللغة)، والمختلق: المصنوع، ملفق، مخترع(تكملة المعاجم العربية).

الكتب: جمع كتاب.

فمقتضى ماذكره الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ أنّ الوحي حق ليس بباطل ولا بالقول المختلق بل هو من عند الله كما شهد بذلك الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن

1 – كما في الترمذى (3173).
2 – كما في حديث عائشة عند البخاري (2) ومسلم (2333).
3 – كما عند أحمد (41 / 362) وصححه المحققون.وزاد البيهقي في دلائل النبوة (7 / 53) قولها «مِن ثقل ما يوحي إلى رسول الله».
4 – كما عند رواه مسلم (2770).
5 – كما عند رواه مسلم (2334).
6 –كما عند مسلم (2335).
7 – كما عند البخاري (5) ومسلم (448).
8 – رواه البخارى (1789) ومسلم (1180).

يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس: 37]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: 1 - 4]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم: 10].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[الكهف: 110]، وهذا الوحي يقتضي عدة أمور يفارقون بها الناس؛ فمن ذلك:

تكليم الله لبعضهم، واتّصالهم ببعض الملائكة.

ومن ذلك: تعريف الله لهم شيئا من الغيوب.

قال الله تعالى﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[الجن: 26 - 27].

ومن الأمثلة على ذلك في حقّ النبي ﷺ: الإسراء به إلى بيت المقدس، والعروج به إلى السموات، ورؤيته للملائكة والأنبياء، واطلاعه على الجنة والنار، ومن ذلك سماعه للمعذبين في قبورهم.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر!»[1]، فهذه وأمثالها لايدركها البشر باجتهاداتهم ولاعلمهم ولاتجاربهم بل هي تمحُّض الفضل من الله الذي اصطفى أنبياءه ورسله.

والوحي ليس أمرا مختلقا اختلقه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال العتاة: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾[الفرقان: 5] بل هو منزل من الله بواسطة سفير الوحي، وأمين الحق الروح الأمين جبريل عليه السلام، ولذلك فإنّ (الكتب) المنزلة على رسل الله، وهي القرءان، والتوراية والإنجيل، والزبور، وما أنزل من الصحف على إبراهيم وموسى وغيرهما (حقّ) غير مفترى، وقد تحدّى الله بها البشر والجن ليأتوا بآية فما استطاعو ولن يستطيعوا لأنها تنزيل من حكيم حميد قال تعالى:

---

1 - رواه مسلم (2868).

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 23 - 24]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[يونس: 38]﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[هود:13]، بل تحدّى الثقلين فقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: 88].

(والملائكة حقّ) أي يجب الإيمان بالملائكة كما مر في حديث جبريل عليه السلام، و الملائكة: «جَمْع مَلَك بِفَتْحِ اللام، فَقِيلَ مُخَفف مِنْ مَالِك وَقِيلَ مُشْتَق مِنْ الْأُلُوكَة وَهِيَ الرسَالَة، وَهَذَا قَوْل سِيبَوَيْهِ وَالْجُمْهُور، وَأَصْله لَاكَ، وَقِيلَ أَصْله الْمَلْك بِفَتْحِ ثُم سُكُون وَهُوَ الْأَخْذ بِقُوة وَحِينَئِذٍ لَا مَدْخَل لِلْمِيمِ فِيهِ» [1].

قال القاضي عياض: «أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منهم، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم، واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجّوا بقول الله تعالى:﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: 6] وبقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[الصافات:164-165]، وبقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[الأنبياء: 19]، ونحوه من السّمعيّات، وذهبت طائفة إلى أنّ هذا خصوص للمرسلين منهم والمقرّبين، واحتجّوا بقصّة هاروت وماروت، وقصّة إبليس، والصّواب عصمة جميعهم، وتنزيه نصابهم الرّفيع عن جميع ما يحطّ من رتبهم، وينزلهم عن جليل مقدارهم، قال: والجواب عن قصة هاروت وماروت أنها لم يرو فيها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وعن قصة إبليس أنّ الأكثر ينفون أنه من الملائكة ويقولون إنّه أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس. انتهى[2].

1 - الفتح (6/306).

2 - الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي(1/253).

وهم خلق من خلق الله تعالى، خلقهم من النور كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ : «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِما وُصِفَ لَكُمْ»[1]، لايوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ميسرون للطاعات، معصومون من المعاصي، مسخرون بإذن الله في شؤون الخلق، وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، وأمناء على الوحي في حفظه، وفيهم يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[الزخرف: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:19-20]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[الصافات: 165-166]، وقوله تعالى:﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: 27-28]، وغير ذلك من الآيات التي دلت على عظيم خلق الله تعالى، منهم من أخبرنا الله ورسوله ﷺ عنهم ومنهم من سكت عن ذكرهم، لايحصي عددهم إلاّ الله جَلَّ جَلَالُهُ، نؤمن بهم إجمالا في مواضع الإجمال، وتفصيلا في مواضع التفصيل، فمن الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم:جبريل،وميكائيل، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[البقرة:98].

جبريل: موكّل بتبليغ الوحي من الله جَلَّ جَلَالُهُ للرسل، أو بتبليغ الوحي من الله جَلَّ جَلَالُهُ للملائكة، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج:75].

وميكائيل:مُوكل بالمطر والحياة على الأرض،وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال لجبريل: «على أي شئ ميكائيل؟قال على النبات والقَطْرِ»[2] قال الحافظ في الفتح:فِي إِسْنَاده مُحَمد بْن عَبْد الرحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى وَقَدْ ضُعف لِسُوءِ حِفْظه وَلَمْ يُتْرَك اهـ[3].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: «ما لي لم

1 – رواه مسلم 60 – (2996)

2 – رواه الطبراني (12061). والعظمة لأبي الشيخ (2/700).

3 – فتح الباري للحافظ ابن حجر (6/ 307).

أر ميكائيل ضاحكا قط؟» فقال عليه السلام: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[1].

وملك الموت:موكل بقبض الأرواح، واسمه عند أهل الكتاب عَزرائيل،وفي بعض الآثار أو بعض المقاطيع سمي عبدالرحمن قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة:11]، وتحته ملائكة هو رئيسهم وكبيرهم، يتوفون الناس بأمر الله، فيقبضون الأرواح كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[الأنعام: 61].

وإسرافيل وهو ملك موكل بالنفخ في الصور،فينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل:

الأولى: نفخة الفزع.

والثانية: نفخة الصعق.

والثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال قال رسول الله صلى الله عليه «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ» قَالَ المُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكلْنَا عَلَى اللهِ رَبنَا»[2] وَرُبماَ قَالَ سُفْيَانُ: عَلَىَ اللهِ تَوَكلْنَا.، وهؤلاء الثلاثة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل هم أشرف الملائكة وهم سادة الملائكة، «ورؤساؤهم فهم الموكلون بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح،

---

1 - أخرجه أحمد (13343) و إسناده ضعيف لجهالة حميد بن عبيد مولى بني المعلّى، وابن عياش - وهو إسماعيل الحمصي- في روايته عن غير أهل بلده مخلط، وعمارة بن غزية ليس من اهل بلده، إنما هو مدني، وتساهل الحافظ العراقي في تخريجه على «الإحياء» 4/181 فجوّد إسناده! والحديث في «الزهد» للمصنف ص 69 بهذا الإسناد. وأخرجه الآجري ص 395، وابن عبد البر في «التمهيد»(5/9)من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، به. وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (384) من طريق عبد الوهاب ابن الضحاك بن أبان السلمي، عن إسماعيل بن عياش، به. وعبد الوهاب متروك.
وروي مثل هذا الحديث في حق إسرافيل، أخرجه البيهقي في «الشعب» (913) وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (3664).

2 - رواه الترمذي (3243) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم».[1]

ومالك خازن النار وهو المذكور في استغاثة أهل النار به ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[الزخرف:77].

وخزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[الزمر:73]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:23-24].

ومنهم خزنة جهنم – عياذا بالله منها – وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[الزمر: 71]، ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[المدثر: 26 - 31].

ورقيب وعتيد وهما الكتبة ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:18]، وقال تعالى فيهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزخرف:80].

ومنكر ونكير وهما صاحبا سؤال القبر، وقرر هذا الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه اعتقاد أئمة أهل الحديث[2] حيث قال: (ويؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ مع قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[إبراهيم: 27]، وما ورد تفسيره عن النبي ﷺ قلت: قال النبي ﷺ في تفسير

1 – شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز الحنفي (2/ 408) تحقيق الشيخ المحدث عبد القادر الأرناؤوط.
2 – اعتقاد أئمة الحديث (71–70)

هذه الآية: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾»[1].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنّه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النّار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا»[2]، زَادَ مُسْلِم «إِذَا انْصَرَفُوا»[3] وَفِي رِوَايَة لَهُ «يَأْتِيه مَلَكَانِ»[4]، زَادَ ابْن حِبانَ وَالتِرْمِذِي مِنْ طَرِيق سَعِيد الْمَقْبُرِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَة «أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَال لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَر وَلِلْآخَرِ النكِير»[5]، وَفِي رِوَايَة ابْن حِبانَ «يُقَال لَهُمَا مُنْكَر وَنَكِير»[6].

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله،وفي نومه، ويقظته،وفي كل حالاته وهم المعقبات،قال الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:10-11]، وقال تعالى ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الأنبياء: 42]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:18].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآية الأولى: المعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه،فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه.

وقال مجاهد:ما من عبد إلاّ له ملك موكّل في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شئ يأتيه إلا قال له الملك وراءك إلاّ شيء أذن الله فيه فيصيبه، وقال

---

1 – البخاري (4699).

2 – صحيح البخاري برقم (1374)، ومسلم برقم (2870)، واللفظ للبخاري.

3 – مسلم (71 – 2870).

4 – مسلم(70 – 2870).

5 – الترمذي (1071) وابن حبان (3117) حسن صحيح – كما في الصحيحة (1391)، الظلال (8641).

6 – الفتح (237/3) ما جاء في عذاب القبر.

تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الأنبياء: 42]،قال ابن كثير: أي بدل الرحمن، يمتن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنعمته على عبيده، وحفظه لهم بالليل والنّهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التّي لا تنام اهـ[1].

ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة:17].

وعدد الملائكة لايحصيه إلاَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:31]، ومن علم أن معه هؤلاء الملائكة الأخيار استحيا من الله أن يفعل المساوئ الصغار والكبار.

103 - والرُّسْلُ حَقٌّ، والنَّبِيُّ العَرَبِيُّ خَاتِمُهُمْ أَعْلاهُمُ فِي الرُّتَبِ

الرّسل: جمع رسول وهو الذي بعث برسالة يؤديها، فهو فعول بمعنى مفعول، وقيل: الذي يتابع أخبار الذي بعثه؛ أخذا من قولهم: جاءت الإبل أرسالا، أي: متتابعة، وأصل (رسل): يدل على الانبعاث (مقاييس اللغة، المصباح).

والرّسول:هو إنسان ذكر حرّ أوحى الله إليه بشرع جديد وأمره بتبليغه.

والنّبيّ: اسم مشتق من النّبإ وهو الخبر، أو من النّبوة وهي ما ارتفع من الأرض،والمراد الرفعة. وفي الاصطلاح: هو إنسان ذكر حرّ أوحى الله إليه ليجدد شرعة الرسول الذي قبله، وقد يوحى إليه من التشريع.

الفرق بين الرّسول والنبيّ: قال ابن أبي العزّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد ذكروا فروقا بين النّبيّ والرّسول، وأحسنها. أنّ من نبّأه الله بخبر السّماء، إن أمره أن يبلّغ غيره، فهو نبيّ رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول.

1 - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (2/1219)،وانظر معارج القبول للحافظ الحكمي (2 \ 662).

فالرّسول أخصّ من النّبي، فكلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولا، ولكنّ الرّسالة أعمّ من جهة نفسها، فالنبوّة جزء من الرّسالة، إذ الرّسالة تتناول النّبوّة وغيرها، بخلاف الرّسل، فإنّهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس.

فالرّسالة أعمّ من جهة نفسها، وأخصّ من جهة أهلها.

وتُعُقِّب الفرق بين النّبيّ والرّسول فقال الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي ذكروه بعيد لأمور منها:أنّ الله نصّ أنّه بعث الأنبياء والرسل معا قال تعالى﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾[الحج:52]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النّبيّ البلاغ.

و يجب الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: 33]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾[إبراهيم:11] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[الأنعام:124].

وعدد الرّسل والأنبياء ماورد من في أبي ذر الغفاريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قلت:يارسول الله،كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جمّا غفيرا» وفي رواية «كم وِفَاء الأنبياء؟قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرّسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا»[1].

ولاشك أنهم كثير كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾[النساء: 164]،ومن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾[البقرة: 285]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[النساء: 150-152]، والرّسل هم حجة الله وشهوده، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه، ليعرفوهم به، وبشرعه،

1 – رواه أحمد وصحح إسناده الألباني كما في مشكاة المصابيح بتحقيقه (3/122).

وينبهوهم إلى آياته ويذكروهم بإنعاماته ويبشروهم بالسّعادة والنّجاة إذا اتبعوهم، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم، فقامت بهم لما بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة حجّة الله على خلقه،وكانوا وهم العدول الأمناء الصادقون شهداء عليهم يوم لقائه لقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[النساء: 163-165]، ولقوله تعالى ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[النساء: 41]، وقد ذكر الله منهم في القرآن خمسة وعشرون رسولا، ذكر في سورة الأنعام منهم ثمانية عشر هم:إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحي، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط.

وذكر في مواضع أخرى من كتابه العزيز السبعة الباقين وهم: آدم، وهود، وصالح، وشعيب، وذوالكفل، وإدريس، وسيّد الأولين والآخرين سيّدنا ونبينا محمد ﷺ وقد جمع ذلك في بيتين:

في تلك حجتنـــا منهم ثمانيـــة ... من بعد عشر، ويبقى سبعة وهـم
إدريس، هود، شعيب صالح وكذا ... ذوالكفل، آدم، بالمختار قد ختموا

والعرب منهم أربعة وهم: شعيب،وهود،وصالح، محمد ﷺ.

ويرمز لهم:شهصم.

وأولو العزم خمسة وهم: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: 35]، وقوله تعالى ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾[الأحزاب: 7].

وللبزار عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفا عليه قال: «خيار ولد آدم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ».

(والنّبيّ) محمد ﷺ (العربيّ) الذي اختاره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من العرب،فعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ اصْطَفى كِنانَة من وَلَد إسماعيل، واصْطَفى قُريشًا من كِنانة، واصْطَفى بَني هاشم مِنْ قُرَيش، واصْطَفاني مِنْ بني هاشم، فأنا سَيِّدُ وَلَد آدم ولا فَخْر، وأوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عنه الأرض، وأوَّلُ شافع، وأوَّل مُشَفَّع»[1]، وقريش من العرب من ذرية إسماعيل عليه السلام.

(خاتمهم) قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب:40]، وقرئت: وخاتِمَ النبيينَ وخاتَم النبيين، فمَنْ كَسَرَ التاء فمعناه ختم النبيين، ومن قرأ وخاتَم النبيينَ - بفتحِ التاء -فمعناه آخر النبيين، لَا نَبِي بعده - ﷺ.

وعَنْ فُرَاتٍ القَزَّازِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ، قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ» [2].

(أعلاهم في الرتب) إنّ نبيّنا محمّدا ﷺ هو أشرف الأنبياء والرّسل عليه وعليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاهم رتبة، وأكرمهم منزلة، أنفَس الخلق نسبا، وأشرفهم محتدا، فقد قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» [3].

وأثنى عليه ربّه تعالى فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: 128]، فعلى قراءة الفتح (أنفَسِكم) والتي وردت عن ابن عباس وابن محيصن والزهري وعبدالله بن قسيط: تعني أعظمكم قدرا، وإن كانت شاذة إلاّ أن معناها صحيح.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ

1 -رواه مسلم (1 - 2276).
2 - رواه البخاري(3455) ومسلم (44 - 1842).
3 - رواه الترمذي (3148) وفي رواية (سيد الناس يوم القيامة).

ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81]. قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أبو الحسن القابسي: «استخص الله تعالى محمدا ﷺ بفضل لم يؤته غيره، أبانه به، وهو ما ذكره في هذه الآية.

قال المفسّرون: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث، نبيا إلاّ ذكر له محمّدا ونعته، وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ، لئن بعث وهو حيّ ليؤمنن به، ولينصرنه، ويأخذ العهد بذلك على قومه» [1].

104 - وَكُلُّهُمْ أُوْتِيَ إِذْ جَا بِالبُشَرْ: (مَا مِثْلُهُ عَلَيهِ آمَنَ البَشَرْ)

البُشَر: جمع بشارة، أي جاؤوا مبشرين، وبُشرى: ما يبشر به، الخير المنتظر والأمر السار.

أي كلّ الأنبياء جاؤوا بالبشارة، والآيات البينات، وكان أغلب ماجاء به الرّسل السّابقون معجزات مادية وحسية، تناسب ما كان شائعا يومئذ بينهم ممّا استدعى إبطال تلك الماديات بآيات عظيمة أبطلت ما كانوا عليه من التعلق بغير الرّسل والشرائع السّماوية، وتصديق الأباطيل، و ذهبت بذهابهم عليهم السلام، كالسحر في زمن كليم الله موسى، أو الطب في زمن النبي عيسى عليهما السلام ونحو ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» [2]، وآخر الحديث هو الذي أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

---

1 - الشفا للقاضي عياض (69).

2 - البخاري (4981) وأخرجه مسلم (152).

105 - وَإِنَّمَا كَانَ الذِي الأوَّاهُ أُوتِيهِ وَحيَاً إلَيهِ اللهُ
106 - أوْحَاهُ فَهْوَ أكْثَرُ الجَمَاعَهْ متَّبَعَاً يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَهْ
107 - كَمَا رَجَا..... .....

الجماعة: جمعت الشيء جمعا وجمعته بالتثقيل مبالغة، والجماعة من كل شيء يطلق على القليل والكثير، والمقصود أكثر الأنبياء تابعا.

السّاعة: الساعة الوقت من ليل أو نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قل وعليه قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾[الأعراف: 34]، و السَّاعَة وَالْقِيَامَة لأن وقت قيامها يكون سريعا.

أي (وإنما كان الذي) نبينا (الأوّاه) ﷺ (أوتيه) هو وحي منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خالدا باقيا، محفوظا في السطور والصدور إلى أن يشاء الله تعالى، فهو الآية الخالدة، التي تحمل في طياتها تحديا للبشر والجن أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، ولكن عجزوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: 23]، فلذلك كان النبي ﷺ يرجو أن يكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة، للحديث السابق وفيه «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان الذى أعطيت أنا وحيًا أوحاه الله إلىّ فكان آية باقية دعي إلى الإتيان بمثله أهل التّعاطى له، ومن نزل بلسانهم، فعجزوا عنه ثمّ بقى آية ماثلة للعقول إلى من يأتى إلى يوم القيامة، يرون إعجاز الناس عنه رأى العين، والآيات التي أوتيها غيره من الأنبياء قبله رئي إعجازها في زمانهم، ثم لم تصحبهم إلا مدة حياتهم، وانقطعت بوفاتهم، وكان القرآن باقيًا بعد النبى ﷺ يتحدى الناس إلى الإتيان بمثله، ويعجزهم على مرور الأعصار فكان آية باقية لكل من أتى، فلذلك رجا أن يكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة، مع أن الله تعالى قد ضمن هذه الآية ألا يدخلها الباطل إلى أن

تقوم الساعة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]»[1].

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [2].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ» [3].

107 - ..... كَذَا مِن الذِي اصْطُفِي بِهِ الشَّفاعةُ لأهْلِ الموقِف

الشّفاعة: لغة: الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة في القيامة، وأصل (شفع) يدل على مقارنة الشيئين(مقاييس اللغة).

---

1 -شرح البخاري لابن بطال (10/330).
2 -البخاري (5752).
3 - البخاري (3348).

والشفاعة في الاصطلاح تعني: طلب النبي ﷺ أو غيره من الله حصول منفعة لأحد من الخلق في الدار الآخرة.

الموقف: أي زمان ومكان وقوف النّاس في المحشر يوم القيامة والشّمس فوق رؤوسهم.

أي أنّ النّبي ﷺ اصطفاه الله أيضا بأن يكون شفيعا للخلق يوم القيامة، وتلك منقبة عظيمة، ومرتبة منيفة لم ينلها آدم فمن بعده من الأنبياء والرسل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ

بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» [1].

قال ابن كثير: «لرسول الله ﷺ تسليما تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق، وذلك بعدما يسأل الناس آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، فكل يقول: (لست لها) حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول: (أنا لها، أنا لها)»[2].

وقال ابن حجر: «المقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي اختص بها، وهي إراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم»[3].

---

1 – رواه البخاري (4712) ومسلم (327 – 194) واللفظ له.

2 – تفسير ابن كثير (5/ 104).

3 – فتح الباري (3/ 339).

108 - فَآمِنُوا بِهِ وَمَا أَتَى بِهِ فاقفوا وإن لم يأت في كتابه
109 - فَإِنَّهُ أُوتِيَ مثلُهُ مَعَهْ مِنْ حِكْمَةٍ وَسُنَّةٍ متَّبَعَهْ

فاقفوا: من قفا يقفو، و القفو: الاتباع، (يقال): قفوت أثره، وقفيت فلانا بفلان، إذا أتبعته إياه، وسميت قافية البيت لأنها تتلو سائر الكلام(مجمل اللغة لابن فارس).

حكمة: والحكمة وزان قصبة للدابة سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال (مصباح).

سنّة: السنّة في اللغة هي: الطريقة أو الطريق. يقال: استقام فلان على سنن واحد، وجاءت الريح سنائن: إذا جاءت على طريقة واحدة لا تختلف»[1].

وفي الاصطلاح تطلق السنة على كلّ ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، وأوصافه الخلقية والخلقية،ويطلق على المتمسكين بها أهل السنة.

أي فيجب الإيمان بالنبي ﷺ إيمانا جازما أنه رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وأسوة الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا﴾[النِّسَاء: 136].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[الأَعْرَاف: 158].

و عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» [2].

---

1 - الصحاح للجوهري (5/ 2138)
2 - أخرجه مسلم (21).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجب على الإنسان أن يعلم أنّ الله عزّ وجلّ أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الثّقلين؛ الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به، وطاعته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، ويحبّوا ما أحبه الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأنّ كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن، فلم يؤمن به، استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين؛ أهل السنة والجماعة وغيرهم» [1].

(و)يجب الإيمان بـ(ما أتى به) ﷺ من عند ربه قرءانا وسنة لأنها من الوحي،(فاقفوا) أي اتبعوه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: 7]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:108].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: 31 - 32].

قال السِّعدي: (هذا أمر من الله تعالى لعباده بأعمّ الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه؛ لأن اجتنابه امتثالا لأمر الله هو من طاعته، فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون فإن تولوا أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير فلهذا قال: فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة»[2].

---

1 - مجموع الفتاوى (19/9). وينظر: الشفا لعياض (2/2 - 18، 211)، حقوق النبي ﷺ على أمته لمحمد التميمي (1/68).

2 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(1/128) السعدي (المتوفى: 1376هـ).

و عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه» [1].

قال ابن عبد البرّ: «الهدى كلّ الهدى في اتّباع كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، فهي المبينة لمراد كتاب الله؛ إذا أشكل ظاهره أبانت السنّة عن باطنه، وعن مراد الله منه»[2].

(فإنه) ﷺ (أوتي) من الوحي و(مثله معه) أي مثل الكتاب العزيز في العقيدة والتشريعات، والأخلاق والمعاملات، وبيان ما أجمل، وتقييد ماأطلق، وتخصيص ماعم، وكل ذلك أوتيه ﷺ (من حكمة) بالغة،(وسنة) نبوية (متبعة) عند كل من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

فعن المقدام بن معديكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» [3].

قال الخطابي: «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب، فتحيروا وضلوا»[4].

110 - وَاليَومُ الآخِرُ وَمَا قَدِ اشْتَمَلْ عَلَيهِ مِنْ حَشْرٍ وعَرْضٍ لِعَمَلْ

111 - حقٌّ، كَذَا الوَزْنُ وَمَا بِهِ التَحَقْ وَالنَّارُ حَقٌّ وَكَذَا الجَنَّةُ حَقْ

الحشر: الجمع مع سَوْق، وكل جمع حشرٌ، وأصل (حشر) يدل على السوق والبعث والانبعاث(المصباح، مقاييس».

1 - رواه الحاكم (318)، والبيهقي (20833) مطولا. صححه ابن حزم في أصول الأحكام (2/251)، والألباني في صحيح الترغيب (40)، وجود إسناده ابن باز في مجموع الفتاوى (24/182)، وقال الحاكم: سائر رواته متفق عليهم، وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح،وله شاهد.

2- الاستذكار (8/265).

3 - أخرجه من طرق: أبو داود (4604) واللفظ له، والترمذي (2664)، وابن ماجه (12). وصححه ابن حبان في صحيحه (12)، وابن تيمية في الإيمان (37)، وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (2/324).

4 - معالم السنن (4/298).

قال ابن حجر عن الحشر يوم القيامة: «حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف»[1].

العرض: قيل في معنى العرض: هو أن يقرأ كتابه ليقرأه ويعرف ما كان منه من حسنة وسيئة ثم يتجاوز عن سيئاته من غير أن يقال: لم فعلت هذا، ولم تركت هذا. فيسأل عن الحجة إذا سئل عنها لم يجدها، فكان العذاب يحق عليه. ومناقشة الحساب أن يقول: هلا فعلت هذا؟ أم هلا تركت هذا؟ ولم تركت هذا؟ ويطالب بالحجة، فإذا لم يجدها عذب والله أعلم»[2].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اليوم الآخر): هو يوم القيامة، وما اشتمل عليه من البعث والجزاء والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار»[3].

فاليوم الآخر هو آخر أيام الدنيا، وأوّل أيام الآخرة حقّ، هو يوم يعاين فيه الخلائق، خروجا من القبور، وحشرا إلى العرض، فلذلك يجب الإيمان به لقوله تعالى ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:177].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: 162].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:(136].

وجاء في حديث جبريل أنّه سأل النّبيّ ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه» [4].

وقال الحليمي: «السّادس من شعب الإيمان: وهو باب الإيمان بالله، وباليوم الآخر، ومعناه: التّصديق بأنّ لأيام الدّنيا أخرى، أي: أنّ الدّنيا منتهية، وهذا العالم

---

1 – فتح الباري (11/ 379). وينظر: التذكرة للقرطبي (1/ 231).

2 –المنهاج في شعب الإيمان(1/384) أبو عبد الله الحَلِيمي (المتوفى: 403 هـ)/المحقق: حلمي محمد فودة/ الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1399 هـ – 1979 م.

3 – المعين على تفهم الأربعين (ص: 105).

4 – وهو في صحيح مسلم من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تقدم تخريجه قريبا.

يوما ينقض صنعه، وينحل تركيبه، وقد أخبر عز وجلّ على لسان نبيّه ﷺ أنّه مفني من على وجه الأرض، ومبدّل الأرض غير الأرض، وأنّ الشّمس تكور، وأنّ البحار تسجر، والكواكب تنثر، فيذرها قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وكل ذلك كائن على ما جاء به الخبر، وعد الله صدق، وقوله حق»[1].

وقال أبو العباس القرطبي: «الإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والنشر، والحشر، والحساب والميزان والصراط، والجنة والنار، وأنهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين، إلى غير ذلك مما صح نصه، وثبت نقله».[2]

ويجب الإيمان بالحشر، وهو سوق الناس إلى أرض المحشر، لقوله تعالى ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف: 47]. وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي» [3]، قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد. وفي رواية: «ليس فيها علم لأحد»[4].

قال عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء» ممدودان: أي بيضاء إلى حمرة. والعفر: بياض يضرب إلى الحمرة قليلا، ومنه سمي عفر الأرض، وهو وجهها؛ لأنه بذلك اللّون.

وقوله: «كقرصة النقي» يكون تشبيه لونها بها وهي عفراء، لما غيرت النار من بياض وجهها إلى الحمرة، والله أعلم. وقوله: «ليس فيها علم لأحد» أي: علامة سكنى أو بناء أو أثر»[5]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو

---

1 - المنهاج في شعب الإيمان)) (1/336).
2 - المفهم (1/145).
3 - أخرجه البخاري (6521).
4 - أخرجها مسلم (2790).
5 - إكمال المعلم (8/ 322).

الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون»[1].

(وعرض) هو جمع الخلائق في صعيد واحد لفصل القضاء، فيعرض الناس على ربهم ويعرض على كل واحد عمله من حسن وسوء ثم يحاسب على ذلك , ويخلو المولى جلّ وعلا بعبده المؤمن فيقرّره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنّة، وأمّا الكفّار فلا يحاسبون محاسبة مَن توزن حسناته وسيّئاته، فإنّه لا حسنات لهم، ولكن تعدّ أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقرَّرون بها.

والعرض والحساب ثابتان في الكتاب والسنّة وأجمع أهل الإسلام على ذلك، قال السفاريني ذاكرا إجماع أهل العلم: «وهو حقّ ثابت ورد به الكتاب والسنّة وانعقد عليه الإجماع وهو يوم القيامة»[2]، وهذا أيضا ما قرّره الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه اعتقاد أئمة أهل الحديث[3] حيث قال: (والحساب حقّ).

وكذا الصَّابوني في كتابه عقيدة السّلف أصحاب الحديث[4] وغيرهم كثير، قال تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة: 15-18].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾[الانشقاق: 6- 15].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض النّاس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأمّا عرضتان فجدال ومعاذير، وأمّا الثّالثة فعند ذلك تطير الصّحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[5].

1 - أخرجه مطولا: البخاري (4712) واللفظ له، ومسلم (194).
2 - لوامع الأنوار (1 / 394)
3 - اعتقاد أئمة أهل الحديث (ص68).
4 - عقيدة السّلف أصحاب الحديث (ص6).
5 - المسند (14/414) وسنن ابن ماجة برقم (4277) وقال البوصيري في الزوائد (3/315): «هذا إسناد

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت، قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذب»، قالت، فقلت: أفليس قال الله تعالى:﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: «ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»[1].

وروى ابن جرير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت؛ قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا»، فقلت: أليس الله يقول ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قال: «ذاك العرض، إنه من نوقش الحساب عذب» وقال بيده على إصبعه كأنّه ينكت[2].

وفي رواية عن عائشة قالت: «من نوقش الحساب - أو من حوسب - عذب، ثمّ قالت: إنّما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم»[3].

112 - حقٌّ، كَذَا الوَزْنُ وَمَا بِهِ التَحَقْ وَالنَّارُ حَقٌّ وَكَذَا الجَنَّةُ حَق

الوزن:(وزن) الواو والزاء والنون: بناء يدل على تعديل واستقامة: ووزنت الشيء وزنا.(مقاييس اللغة).

كذلك يجب الإيمان بوزن الأعمال، فتنصب الموازين لإظهار العدل قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: 47]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: 40] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: 7-8].

رجاله ثقات إلا أنه منقطع، الحسن لم يسمع من أبي موسي. قاله علي لن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة». والترمذي برقم (2425).

1 -أخرجه مسلم (79 - (2876).

2 -أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ من طريق سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة عن عائشة (الفتح 1: 176). و رواه مسلم في صحيحه (17: 208) من أربع طرق: من طريق ابن علية، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة. وابن جرير الطبري في تفسيره (10530).

3 -رواه ابن جرير في تفسيره (24/ 313).

والموازين جمع ميزان، والميزان هو:عبارة عن الآلة التي توزن بها أعمال العباد من خير أو شرّ، ويكون ذلك بعد الحساب، لأنّ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإنّ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفّتان، توزن به أعمال العباد [1].

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» [2].

وقال ﷺ عن ساقَي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة له وقعت مع الصحابة لما صعد يجني عيدان سواك فضحكوا من حموشة ساقيه فقال ﷺ «أتعجبون من دقّة ساقيه، والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد»[3]، وقال ﷺ: «إنّه ليؤتى بالرّجل العظيم السّمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»- وقال -:«اقرءوا»:﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾» [4]، وغير ذلك من الأحاديث.

قال الإمام النووي وقد تظاهرت نصوص القرءان والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها»[5]

وقال الحافظ ابن حجر: «قَالَ أَبُو إِسْحَاق الزَّجَّاج أَجْمَعَ أَهْل السُّنَّة عَلَى الْإِيمَان بِالْمِيزَانِ وَأَنَّ أَعْمَال الْعِبَاد تُوزَن يَوْم الْقِيَامَة، وَأَنَّ الْمِيزَان لَهُ لِسَان وَكِفَّتَانِ وَيَمِيل بِالْأَعْمَالِ، وَأَنْكَرَتْ الْمُعْتَزِلَة الْمِيزَان وَقَالُوا: هُوَ عِبَارَة عَنْ الْعَدْل فَخَالَفُوا الْكِتَاب وَالسُّنَّة ؛ لِأَنَّ اللَّه أَخْبَرَ أَنَّهُ يَضَع الْمَوَازِين لِوَزْنِ الْأَعْمَال لِيَرَى الْعِبَاد أَعْمَالهمْ مُمَثَّلَة لِيَكُونُوا عَلَى أَنْفُسهمْ شَاهِدِينَ، وَقَالَ اِبْن فَوْرَكٍ أَنْكَرَتْ الْمُعْتَزِلَة الْمِيزَان بِنَاء مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الْأَعْرَاض يَسْتَحِيل وَزْنهَا إِذْ لَا تَقُوم بِأَنْفُسِهَا، قَالَ وَقَدْ رَوَى بَعْض الْمُتَكَلِّمِينَ عَنْ

1 - التذكرة للقرطبي (373)، والنهاية لابن كثير (2/56).

2 - البخاري (6304،6043، 7124) ومسلم (2694).

3 - رواه أحمد (1 / 420، 421)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه أبو يعلى (9/ 5310)، وإسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة، قال الهيثمي في المجمع (9 / 289): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق (وذكر بعض ألفاظه) وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح. اهـ

4 - رواه البخاري (4729)، ومسلم (الجنة والنار / 18).

5 - شرح النووي على مسلم (3/101).

اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَقْلِب الْأَعْرَاض أَجْسَامًا فَيَزِنهَا اِنْتَهَى»[1].

قلت وحديث البطاقة شاهد على ذلك:

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[2].

بل إنّه يقع القصاص بين السّادة والعبيد، وحتّى بين الحيوانات العجماوات، فما بالك الإنسان المكلّف كثير الذّنوب والعصيان فمن الأوّل ما روت أمّنا الصّدّيقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها: أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ، يُكَذِّبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ، وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ، قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلاً لَكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ» قَالَ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ» الْآيَةَ فَقَالَ الرَّجُلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ»[3].

---

1 - فتح الباري (13/538).

2 - أخرجه أحمد2/213(6994) والترمذي 2639 قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وابن ماجة (4300).

3 - أخرجه أحمد(6/280) والترمذي (3165). قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزْوَانَ وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزْوَانَ هَذَا الْحَدِيثَ، وعبد الرحمن من صغار أتباع التابعين،توفي: 187 هـ، روى له البخاري، أبو داود، الترمذي والنسائي، رتبته عند ابن حجر: ثقة له أفراد، وأما رتبته عند الذهبي: يحفظ، و له ما ينكر، وثقه على.

ولاحول ولاقوة إلا بالله، ولامنجا ولاملجأ إلا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاللهم كن لنا في ذلك الموقف العصيب فإننا عبيدك الفقراء المذنبون، المقرون المعترفون.

(والنار حق) يجب الإيمان بأن لله دارا أعدها جزاء لأهل الكفر والمعاصي، قال تعالى لإبليس ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 43-44]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: 13-15].

و في بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد قال فحدثني: «ما الإيمان؟قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان.. الحديث»[1] وغير ذلك من الأحاديث.

وقال تعالى في النار وأنها معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 24]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: 21-22].

وروى البخاري في صحيحه باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النارِ فَمِنْ أَهْلِ النارِ» [2].

وحديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «اطلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطلَعْتُ فِي النارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النسَاءَ» [3].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟

1 - احمد (2924).
2 - البخاري (3240).
3 - البخاري (3241).

فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَيْتُ مُدْبِرًا،فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ» [1].

وحديثه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا قال قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولاأذن سمعت،ولا خطر على قلب بشر،فاقرؤوا إن شئتم﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾»[2].

وحديث أبي ذر وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال النبي ﷺ «أَبْرِدُوا بِالصلاَةِ، فَإِن شِدةَ الحَر مِنْ فَيْحِ جَهَنمَ» [3].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ «اشْتَكَتِ النارُ إلى رَبها، فَقالَتْ: رَب، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَنَفسْنِي، فأذِنَ لَهَا فِي كُل عام بِنَفَسَيْنِ؛ فأشَد ما تَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنمَ وأشَد مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنمَ»[4].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنمَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضلَتْ عَلَيْهِن بِتِسْعَةٍ وَسِتينَ جُزْءًا كُلهُن مِثْلُ حَرهَا» [5]، ومن قرأ القرآن ونظر في سنة خير ولد عدنان عرف الكثير عن تلك الدار،وماأعد الله فيها من صالح النزل للأبرار، والعذاب الكبير للكفار والفجار،نسأله بأسمائه الحسنى أن يعتق رقابنا ووالدينا ومن نحب من النار ورحم الله عبدا قال آمين.

(وكذا الجنّة حقّ) إنّ ممّا يجب اعتقاده أنّ الله جلّ في علاه قد خلق الجنّة وأعدّها دارا لأهل كرامته ونزلا للصّالحين من عباده، وخلق النّار وأعدّها لمن كتبت عليهم الشّقاوة ممن كفر وألحد في آياته،ولم يؤمن بكتبه ورسله واليوم الآخر.

والآيات في ذكر الجنّة والنّار كثيرة جدّا، وأهل الجنّة منعّمون خالدين فيها أبدا

1 – البخاري (3242) و أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم (2395).
2 – تقدم تخريجه.
3 – البخاري (3258).
4 – البخاري (537) و أخرجه مسلم (615، 617).
5 – البخاري (3265) و أخرجه مسلم (2843).

وأهل النّار يعذبون كلّ بحسب ذنبه، فالكافر والمشرك خالدين فيها أبدا،وأمّا الفجار من أهل الملة فيطهرون وينقون ثم يدخلون الجنة كما تقدم بيان ذلك والحمد لله.

ومن الأحاديث: فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اطّلعت في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النّساء»[1].

والجنّة هي دار الثّواب لمن أطاع الله أعدّها نزلا لأهل كرامته من أصفيائه، وموضعها في السّماء السابعة عند سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[النَّجۡمِ: 13-15] والجنة مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض»[2].

وأعلى الجنّة الفردوس الأعلى، وفوقه العرش، ومنه تتفجر أنهار الجنّة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي ﷺ قال: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنّة،وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرّحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنّة» [3].

وللجنّة ثمانية أبواب قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[الزُّمَر: 73] وجاء في حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الرّيان لا يدخله إلّا الصائمون»[4]، و عن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ -أو: فيسبغ الوضوء-ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، إلاّ فتحت له أبواب الجنّة الثمانية، يدخل من أيها شاء» [5].

---

1 - البخاري (2790).

2 - البخاري (3265)، و مسلم (871).

3 - أخرجه أحمد (2/335 8402) والبُخاري (4/19 2790).

4 - البخاري (3257).

5 - أخرجه أحمد (4/145 17447) ومسلم(1/144) وأبو داود(169).

أمَّا الأبواب الأخرى فقد ذكرت في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله، دعي من أبواب الجنّة، وللجنّة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دُعِي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الرّيان» فقال أبو بكر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، ماعلى أحد من ضرورة دُعي، من أيّها دعي، فهل يدعى منها كلّها أحد يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»»[1] من حديث الزهري، بنحوه.

قال القاضي عياض: ذَكَرَ مُسْلِم فِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ أَبْوَاب الْجَنَّة أَرْبَعَة، وَزَادَ غَيْره بَقِيَّة الثَّمَانِيَة، فَذَكَرَ مِنْهَا بَاب التَّوْبَة، وَبَاب الْكَاظِمِينَ الْغَيْظ، وَبَاب الرَّاضِينَ، وَالْبَاب الْأَيْمَن الَّذِي يَدْخُل مِنْهُ مَنْ لَا حِسَاب عَلَيْهِ [2] «قَالَ الْقُرْطُبِيّ فِي التذكرة: ذَكَرَ الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ أَبْوَاب الْجَنَّة فَعَدَّ أَبْوَابًا غَيْر مَا ذُكِرَ. قَالَ فَعَلَى هَذَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ أَحَدَ عَشَرَ بَابًا.

وقال عياض: وقد ذكر بعض العلماء أنّ عدّة أبواب الجنّة ثلاثة عشر بابا»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول ﷺ: «لكلّ أهل عمل باب من أبواب الجنّة يدعون بذلك العمل،ولأهل الصّيام باب يدعون منه يقال له الرّيّان، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يارسول الله هل أحد يدعى من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» [4].

وقد أعدّ الله لأهل الجنّة فيها من النّعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

---

1 – أخرجه مالك الموطأ 290 والبُخاري 1897 ومسلم 3/91 والتِّرمذي 3674).

2 – وسماه ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ بباب المتوكلين قال: ويمكن أن يكون الباب الباقى، باب المتوكلين الذين يدخلون الجنة فى سبعين ألفا من باب واحد، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم كالبدر: الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، من شرح ابن بطال شرح حديث من أنفق زوجين.

3 – التذكرة للقرطبي (440) ط/دار السلام القاهرة.، وانظر النهاية لابن كثير (2/229)، وفتح الباري (7/28)، وزهر الربا على المجتبى للسيوطي (8-5/7).

4 – أخرجه مالك الموطأ 290 وأحمد 2/268(7621) والبخاري 1897 ومسلم 3/91 والترمذي 3674) وانظر الحافظ في الفتح (7/ 28).

خطر على قلب بشر فعن أَسَامَةَ بْن زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: «أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، نُورٌ يَتَلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ،وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: «نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ»[1].

والإيمان بالجنّة والنّار يتحقّق بثلاثة أمور:

الأول: الاعتقاد الجازم بأنّهما حقّ وأنّ الجنّة دار المتقين والنّار دار الكافرين والمنافقين.

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن.

الثالث: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى من فيهما.

وقد أشار المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الجنّة المذكورة في القرءان هي التي أهبط منها آدم عليه السّلام وهو قول من ثلاثة أقوال رجح المصنّف ماذكره قال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأعراف:19] قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [الأعراف:24-25].

وقد سبق في علم الله تعالى خروج آدم من الجنّة وهبوطه الأرض ليعمرها قال تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: 30]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود:61] روى مَالِك عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

---

1 – أخرجه ابن ماجة (4332) قال في حاشية السندي على السنن قال:فِي الزَّوَائِد فِي إِسْنَاده مَقَال وَالضَّحَّاك الْمُعَافِرِيّ الدِّمَشْقِيّ ذَكَرَهُ اِبْن حِبَّانَ فِي الثِّقَات وَقَالَ الذَّهَبِيّ فِي طَبَقَات التَّهْذِيب مَجْهُول وَسُلَيْمَان بْن مُوسَى الْأُمَوِيّ مُخْتَلَف فِيهِ وَبَاقِي رِجَال الْإِسْنَاد ثِقَات وَرَوَاهُ اِبْن حِبَّانَ فِي صَحِيحه. وقد ضعفه الألباني كما في التعليق الرغيب (4 / 253) الضعيفة (3358).

ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى،فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى،قَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ:أَنْتَ مُوسَى الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ وَاصْطَفَاهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ،قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ» [1].

وفي لفظ: «قَالَ: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى؛ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثَلَاثًا».

وقد أضاف شيخنا محمد الحسن الددو البيت التالي:

113 - (حقٌّ عَذَابُ القَبْرِ والأشْرَاطُ وَالبَعْثُ بَعْدَ المَوتِ وَالصِّرَاطُ)

الأشراط: جمع شرَط، وهو العلامة والأمارة.

الصراط: السبيل، قال ابن حزم عن الصراط: «هو طريق يوضع بين ظهراني جهنم فينجو من شاء الله تعالى ويهلك من شاء»[2] أعاذنا الله منها .

قال ابن أبي العز: «هو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم»[3].

ومما يجب اعتقاده والإيمان به عذاب القبر ونعيمه،

يجب الإيمان بسؤال القبر وفتنته، وضيق القبر وضغطته، ونعيمه وعذابه وذلك

1 - البخاري(6614) ومسلم(6836).
2 - المحلى (1/ 15)، وانظر: رياض الصالحين للنووي (ص: 285).
3 - شرح الطحاوية لابن أبي العز (2/ 60).

أن كل ميت يفتن في قبره إلا الشهيد كما تقدم، والمراد سؤال الملكين، وما أعظمها من فتنة لمن لم يثبته الله، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، وذلك أن الميت إذا وضع في قبره وانصرف الناس عنه يأتي إليه ملكان فيجلسانه ويسألانه، فعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[1].

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:27].

قال السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: «الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي»[2] وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم،

1 - أخرجه الترمذي (1071) وابن حِبَّان (3117).

2 - أخرجه أحمد(4/287 18733) وأبو داود(3212 و4753) وابن ماجة(1548).

وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه اهـ[1].

روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾،ثم قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا وَزَادَ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ»[2].

وعَنْ الْحَسَن رَحِمَهُ اللَّهُ «﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: عَذَاب الدُّنْيَا وَعَذَاب الْقَبْر».

وسؤال القبر على الروح والجسد كما ذهب إلى ذلك الجمهور، قال الحافظ: «وخالف الجمهور فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت في الحديث، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاؤه، لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه. والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق في قبره ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب. وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وألما لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألما أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله. وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور كقوله «إنه ليسمع خفق نعالهم» وقوله «تختلف أضلاعه لضمة القبر» وقوله «يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق» وقوله «يضرب بين أذنيه» وقوله «فيقعدانه» وكل ذلك من صفات الأجساد»اهـ[3].

---

1 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ –2000 م (1/425)

2 – البخاري (1369)، ومُسْلم 8/162(7322) والنَّسَائِي(4/101)، وفي الكبرى (2194 و11202).

3– فتح الباري شرح صحيح البخاري (3/235).

إنّ الواقع على العبد في قبره ثلاثة أشياء: الفتنة،و الضّغطة، والعذاب أو النّعيم، فأما الفتنة،فهي عند أَهْل اللُّغَة: الامْتِحَان وَالاخْتِبَار، قَالَ عِيَاض: وَاسْتِعْمَالها فِي الْعُرْف لِكَشْفِ مَا يُكْرَه ا هـ،وقد صحّ عن النبي ﷺ أن الناس يفتنون في قبورهم ؛فأما المؤمن فيثبته الله،وأما الكافر والمنافق فيضله ويخذله، فعَنْ هِشَام بْنِ عُرْوَةَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهَا قَالَتْ أَتَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ خَسَفَتْ الشَّمْسُ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ،فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَتْ:سُبْحَانَ اللَّهِ،فَقُلْتُ: آيَةٌ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ نَعَمْ، قَالَتْ:فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلاَّنِي الْغَشْيُ، وَجَعَلْتُ أَصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ فَحَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ،وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ لا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ: أَسْمَاءُ يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قَالَتْ أَسْمَاءُ:فَيَقُولُ:

هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا.

فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»[1].

قال الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» بَيَانٌ أَنَّهُ أُعْلِم بِذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ،وَالْفِتْنَةُ الاخْتِبَارُ وَلَيْسَ الاخْتِبَارُ بِالْقَبْرِ بِمَنْزِلَةِ التَّكْلِيفِ وَالْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ إِظْهَارُ الْعَمَلِ وَإِعْلامٌ بِالْمَآلِ وَالْعَاقِبَةِ كَاخْتِبَارِ الْحِسَابِ لأَنَّ الْعَمَلَ وَالتَّكْلِيفَ قَدْ انْقَطَعَا بِالْمَوْتِ قَالَ مَالِكٌ وَمَنْ مَاتَ فَقَدْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَفِتْنَةُ الدَّجَّالِ بِمَعْنَى التَّكْلِيفِ وَالتَّعَبُّدِ لَكِنَّهُ شَبَّهَهَا بِهَا لِصُعُوبَتِهَا وَعِظَمِ الْمِحْنَةِ فِيهَا وَقِلَّةِ الثَّبَاتِ مَعَهَا»[2].

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قالت دخل عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ لِي: أَشَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ،فَارْتَاعَ النَّبِيُّ ﷺ،

1 -البخاري(184) ومسلم(123 - (584).
2 - المنتقى للباجي (1/456).

وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ الْيَهُودُ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» [1].

و عن ابن جريج قال: قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنما يفتتن رجلان مؤمن ومنافق، أما المؤمن فيفتن سبعا[2]، وأمّا المنافق فيفتن أربعين صباحا، وأمّا الكافر فلا يسأل عن محمّد ولا يعرفه.

قال ابن جريج: «وأنا أقول: قد قيل في ذلك فما رأينا مثل إنسان أغفل هالكه سبعا أن يتصدّق عنه»[3].

وأمّا الشّهيد فلا يفتن في قبره فعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ قَالَ كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»[4].

وأما الضّغطة فهي ضمّة القبر تكون للمؤمن حنانا كما تضمّ الوالدة ولدها، وقال أحد مشايخنا إنما تكون الضغطة للمؤمن ليستجمع قواه من أجل إجابة الملكين، وللكافر عذابا ونقمة وقد تقدم ذلك في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «ثم يقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه حتّى تختلف أضلاعه،فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك» [5].

فهذا شأن الكافر الفاجر، وأمّا المؤمن فقد أخبر النّبيّ ﷺ عمّا أصاب سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ» [6].

---

1 – أخرجه البخاري 2/123 والنَّسائي 4/103 ، وفي الكبرى 2200).

2 – و أخرج الامام أحمد في كتاب الزهد عن طاوس قال: إنّ الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام، كذا في شرح الصدور 54.

3 – مصنف عبد الرزاق (6757).

4 – أخرجه النسائي 4/99 وفي الكبرى 2191).

5 – رواه الترمذي(1071) :حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

6 – رواه أحمد (6 / 55 و 98)، وابن حبان في صحيحه وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة (1695) والحديث رقم: 2180 في صحيح الجامع. وقد تقدم.

وكذا العذاب أو النعيم في القبر: فثابت كما مر في حديث التّرمذي فلا داعي لتكراره ومعاني هذا الباب كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد لمن تتبعها والله المستعان.

فائدة: كان من هدي النبي ﷺ دبر كل صلاة يستعيذ بالله من أمور منها عذاب القبر فقد روى البخاري من حديث عَمْرَو بْن مَيْمُونٍ الْأَوْدِيّ قَالَ كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[1].

وفي الصحيح أيضا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» وورد في رواية لمسلم الأمر به بلفظ «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

(والأَشْرَاطُ) جمع شَرَط، قد قسم العلماء أشراط الساعة إلى كبرى وصغرى، والتي ظهرت وتظهر الآن في وقتنا كثير من الأشراط الصغرى، قال البيهقي في صفة يوم القيامة: «أمّا انتهاء الحياة الأولى فإنّ لها مقدمات تسمى أشراط الساعة، وهي أعلامها منها خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله الدجال، ومنها خروج يأجوج ومأجوج، ومنها خروج دابة الأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها فهذه هي الآيات العظام، وأما ما تقدم هذه: من قبض العلم، وغلبة الجهل واستعلاء أهله، وبيع الحكم، وظهور المعازف، واستفاضة شرب الخمر، واكتفاء النّساء بالنّساء،والرّجال بالرّجال، وإطالة البنيان، وإمارة الصّبيان، ولعن آخر هذه الأمّة أولّها، وكثرة الهرج وغير ذلك فإنها أسباب حادثة، ورواية الأخبار المنذرة بها بعدما صار الخبر عيانا تكلف»اهـ[2].

---

1 - البخاري (2822).

2 - شعب الإيمان (1/529).

قلت: ومن أهمّ ماظهر من العلامات العظيمة الدالة على قربها، ووشوك الوقوع، وإن كانت من الأشراط الصغرى بعثة النبي ﷺ حيث قال وهو الصادق المصدوق كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» قال:وضم السبابة والوسطى [1].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتحدث عن أشراط الساعة أولها النبي ﷺ، لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي[2].

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ وقد فسر قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فقرن بين السبابة والوسطى، بقرب زمانه من الساعة كقرب السبابة من الوسطى، وبأن زمن بعثته تعقبه الساعة من غير تخلل نبي آخر بينه وبين الساعة كما قال في الحديث الصحيح: «أنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» [3].

ومنها ظهر انشقاق القمر في عهده ﷺ آية مصدقة لنبوته قال تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[القمر:1]ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اشْهَدُوا» [4] وفي رواية: «انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى فَقَالَ اشْهَدُوا وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ»[5].

وأمّا الآيات الكبرى فقد أخبر النبي ﷺ أنها إذا أذن الله تعالى بظهور واحدة منها تتابعت كحبات خرز انقطع سلكها، فقال ﷺ: «الآيات خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضا»[6]،وثبت ذكرها في أحاديث صحيحة منها حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ:

---

1 – أخرجه البُخَارِي 8/131(6504) ومسلم 8/208(7515).

2 –التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص (733).

3 – أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب (4 / 162). ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (4 / 1828).

4 – البخاري 4/251(3636) ومسلم (8/132(7173) والتِّرمِذي(3287).

5 – البخاري(3869).

6 – أخرجه الحاكم (4 / 473 – 474) و أحمد (2 / 219) من طريقين عن خالد بن الحويرث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:فذكره. قال الألباني في السلسلة الصحيحة(4/ 361): إسناده ضعيف خالد بن الحويرث ليس بالمشهور، قال ابن معين: لا أعرفه، و ذكره ابن حبان في الثقات. لكن للحديث شاهد من رواية أنس بن مالك مرفوعا به إلا أنه قال: «الأمارات خرزات... ». أخرجه الحاكم (4 / 546) وقال: صحيح على شرط مسلم. و وافقه الذهبي، وهو كما قالا.

«مَا تَذَاكَرُونَ؟».قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ،وَالدَّابَّةَ،وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ،وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ،وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ،وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ،وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[1].

(وَالبَعْثُ بَعْدَ المَوتِ، وَالصِّرَاطُ) قد مرّ الكلام عن البعث والحشر، وأمّا الصّراط فهو: الصّراط في اللّغة:الطريق الواسع، وسمي الطريق بالصراط لأنه يَسرط السابلة، أي السالكين فيه.

واصطلاحا: هو عبارة عن جسر منصوب على متن جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:71-72]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد: 12- 15].

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن،وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا ؛فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود،فقال: يردونها جميعا.

وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا»[2].

1 - أحمد (6/4(16240) ومسلم (178/8(7388) واللفظ له.

2 - ضعيف كما قال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (2110).

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة:ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة.

وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقال ما يبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت،قال إني ذكرت قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مَرْيَمَ:71] فلا أدري أأنجو منها أم لا؟[1].

ويمر عليه الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يَعْدو عدْواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم .

فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النارَ، إلا تَحِلةَ القَسَمِ» [2]، قال الزّهري كأنه يريد هذه الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[مَرْيَمَ:71].

قال ابن مسعود قسما واجبا ؛وفيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا مرفوعا من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان» قالوا: نعم يا رسول الله،قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف النّاس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، والموثق بعمله،ومنهم المخردل أوالمجازى أو نحوه..» الحديث.

---

1 – معارج القبول(جزء 2 – صفحة 851) وقد ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (2111).

2 – البخاري (1251)، معاني الكلمات: (فيلج) يدخل. (تحلة القسم) أي يرد عليها ورودا سريعا بقدر يبر الله تعالى به قسمه في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم:71]. ومعنى الآية ما من إنسان إلا وسيأتي جهنم حين يمر على الصراط الموضوع على ظهرها.

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حديثه الطويل في ذلك مرفوعا وفيه «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم» قلنا يا رسول الله:وما الجسر؟ قال «مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مُسَلم وناجٍ مخدوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا..» الحديث.[1]

ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرةً، وَيَكْبُو مَرةً، وَتَسْفَعُهُ النارُ مَرةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الذِي نَجانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَلِينَ وَالْآخِرِينَ..» الحديث [2].

114 - وَالكَتْبُ للأشْياءِ فِي الذِّكرِ سَبَقْ مِن قَبلِ أن تُخْلَقْ فَهُوَ المُنطَلَقْ

وممّا يجب اعتقاده أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب ماقدره من خلق صغيره وكبيره، في كتاب قبل خلق المخلوقات،

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ فقال: اكتبْ، قَالَ: ماَ أَكْتُب؟ قال: اكتب القَدَر، مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِن إِلى الأَبَد»[3].

---

1 - البخاري (7439):
(آية) علامة. (مدحضة) من دحضت رجله إذا زلقت ومالت. (مزلة) موضع تزلق فيه الأقدام. (خطاطيف) جمع خطاف وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء. وفي معناها (الكلاليب) فهي جمع كلوب وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم وقيل هي ما يتناول به الحداد الحديد من النار. (حسكة) شوكة صلبة. (مفلطحة) عريضة. (عقيفة) منعطفة معوجة وفي نسخة (عقيفاء). (بنجد) مكان مرتفع. (مخدوش) مخموش ممزوق. (مكدوس) مصروع أو مدفوع مطروح. (بأشد) بأكثر. (مناشدة) مطالبة في حق ظهر لكم في الدنيا. (من المؤمن..) من طلب المؤمنين من الله في الآخرة.
2 - مسلم (310 - 187).
3 - رواه أبو داود(4702) والترمذي(3319) و قال هذا حديث حسن غريب وفيه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

و عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ؛ قال: وعرشه على الماء» [1].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي». [2]

(كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التّقدير فإنّ ذلك أزليّ لا أوّل له (وعرشه على الماء) أي قبل خلق السّموات والأرض، والقدر مما زلت فيه أقدام، وضلت حوله أفهام، ونكست فيه كثير من الأعلام، وله مراتب وهي:

مراتب القدر:

قسم أهل السنّة القدر إلى أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم:وهى أن يؤمن الإنسان إيماناً جازماً بأن الله تبارك وتعالى بكل شيء عليم،وأنه علم ما كان وما يكون،وما لايكون لو كان كيف كان يكون وأنه يعلم ما في السموات وما في الأرض جملة وتفصيلاً، سواء كان ذلك من فعله أو من فعل المخلوقات، وأنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:12]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[الجن:28]وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:59].

1 – رواه مسلم (2653).

2 – أخرجه أبوداود(4700) وصححه الألباني.

وقال ﷺ لما سئل عن أولاد المشركين «الله أعلم بما كانوا عاملين» [1]،وغيرها من الأحاديث الدالة على ذلك.

وأما المرتبة الثانية: فهي مرتبة الكتابة: وهي أن الله تبارك وتعالى كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، وقد جمع الله بين هاتين المرتبتين في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:70]. ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر﴾ [القمر:52 - 53] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخبرا عن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام حين قال له فرعون: ﴿فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولاينسى﴾ [مريم:52]، فبدأ بالعلم وقال: إنّ ذلك في كتاب، وهو مكتوب في اللّوح المحفوظ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : «إنّ أوّل ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ربّي، ماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن، فجرى في تلك السّاعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» رواه أبوداودوالترمذي تقدم قريبا.

ولهذا سئل النبي ﷺ: عما نعمله، أشيء مستقبل أم شيء قد قضي وفرغ منه. فقال: «إنه قد قضي» قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». فقال لهم الرسول ﷺ : «اعملوا». ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [اللَّيْل:5 - 10] [2].

ويدخل في هذه المرتبة خمسة تقادير:

أ- التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض قال تعالى:﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:22]. وفي الصحيح: قال النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء» [3]، وقال ﷺ:

1 - البخاري في القدر (1317،6224)،باب الله أعلم بما كانوا عاملين،ومسلم(ح2659).
2 - أخرجه أحمد 1/82 (621) والبخاري(120/2(1362) و 212/6(4948) ومسلم(46/8 6824).
3 - رواه مسلم (القدر / 16)، وأحمد (2 / 169)، والترمذي (2156).

«إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»[1]، وقال ﷺ: «يا أبا هريرة جف القلم بما هو كائن» [2].

ب- كتابة الميثاق يوم ألست بربكم قال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[الأعراف:172 - 173].

ج- التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم،فيكتب إذ ذاك ذكورتها وأنوثتها، أجلها،ورزقها،وشقي أو سعيد.كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ؛ فَأَتَى رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ،فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ،وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلاَ يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[3].

د- التقدير الحولي: في ليلة القدر قال تعالى:﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[الدخان:1 - 5].قال ابن كثير: قوله:﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد،

1 - صحيح رواه أحمد (5 / 317)، وأبو داود (4700)، والترمذي (2155)، وابن أبي عاصم (102، 103، 104، 105) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسكت عنه أبو داود، وقد صححه الشيخ الألباني.

2 - رواه البخاري (5076).

3 - رواه مسلم(2645).

والضحاك، وغير واحد من السلف.،وقوله: ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: محكم لا يبدل ولا يغير؛ ولهذا قال: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوجبه فبأمره وإذنه وعلمه. اهـ. وقال عند قوله تعالى:﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: 4] قال قتادة وغيره: تقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى:﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:4].

ه- التقدير اليومي:وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى:﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:29] وقد روي في آثار ضعيفة أن النبي ﷺ سئل عن الشَّأن فقال: «يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين»[1].

قال الحافظ: يقال إنّ عبد الله بن طاهر أمير خراسان للمأمون سأل الحسين بن الفضل عن قوله تعالى:﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ مع هذا الحديث، فأجاب:هي شؤون يبديها لاشؤون يبتديها ؛ فقام إليه وقبّل رأسه»[2].

قال الحافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق وهو تفضيل من التقدير الأزلي الذي خطّه القلم في الإمام المبين ؛ والإمام المبين هو من علم الله عز وجل وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عزّ وجلّ فانتهت الأوائل إلى أوليّته وانتهت الأواخر إلى آخريّته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم:42].

---

1 - رواه ابن ماجه برقم (202) من طريق هشام بن عمار به. قال البوصيري في الزوائد (1/88): «هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير - بن صبيح - عن درجة الحفظ والإتقان» وانظر تفسير الطبري (27/79) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (3401) «مجمع البحرين» والبزار في مسنده برقم (2266) «كشف الأستار» من طريق عمرو بن بكر السكسكي -وهو متروك- عن الحارث بن عبدة به.
قال ابن كثير في تفسيره: قلت: وقد روي موقوفا، كما علقه البخاري بصيغة الجزم، فجعله من كلام أبي الدرداء، فالله أعلم. انظر صحيح البخاري (8/620) «فتح»، ورواه البيهقي في شعب الإيمان موصولا برقم (1102) من طريق إسماعيل بن عبد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفا.
2 - فتح الباري (11/500).

و- أمّا المرتبة الثالثة: فهي مرتبة المشيئة: بمعنى: أنّ الله تبارك وتعالى شاء لكل موجود أو معدوم في السّموات أو في الأرض، فما وجد موجود إلاّ بمشيئة الله، ولا عدم معدوم إلاّ بمشيئة الله، وهذا ظاهر في القرآن الكريم، وقد أثبت الله تعالى مشيئته في فعله، ومشيئته في فعل العباد ؛ فقال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: 28 - 29].

أ- وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾[الأنعام:137]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:253] فبين تعالى أن فعل الناس كائن بمشيئته، وأما فعله تعالى فتعليقه بالمشيئة كثير، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾[السجدة: 13] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةٗ﴾[هود: 118].

إلى آيات كثيرة تثبت المشيئة في فعله تبارك وتعالى، فإذن لا يتم الإيمان بالقدر إلا أن نؤمن بأن مشيئة الله عامة وشاملة لكل موجود أو معدوم فما من معدوم إلا وقد شاء الله عدمه، وما من موجود إلا قد شاء الله تعالى وجوده ولا يمكن أن يقع شيء في السموات ولا في الأرض إلا بمشيئة الله.

ب- المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق: أي أن نؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء فما من موجود في السموات والأرض إلا الله خلقه، حتى الموت يخلقه الله تبارك وتعالى، وإن كان هو عدم الحياة، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[الملك:2][1]، فكل شيء في السموات أو في الأرض فإن الله تعالى خالقه، ولا خالق إلا الله، وكلنا يعلم أن ما يقع من فعله تعالى فإنه مخلوق له، فالسموات والأرض والجبال والأنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح كلها نعرف أنها مخلوقة من مخلوقات الله، وكذلك ما يحدث لهذه المخلوقات من صفات وتقلبات، أحوال كلها مخلوقة لله عز وجل، ولكن قد يشكل على المرء كيف يصح أن نقول في فعلنا وقولنا الاختياري: إنه مخلوق لله عز وجل، نقول: نعم، يصح أن نقول ذلك ؛ لأن فعلنا وقولنا ناتج عن أمرين، أحدهما: القدرة، والثاني: الإرادة، فإذا كان فعل العبد ناتجاً عن إرادته وقدرته، فإن الذي خلق هذه الإرادة، وجعل قلب الإنسان قابلاً لهذه

1 - من الآية (2) من سورة الملك.

الإرادة هو الله عز وجل، وكذلك أيضاً الذي خلق فيه القدرة هو الله عز وجل، ويخلق السبب التام الذي يتولد عنه المسبب، نقول: إن خالق السبب التام خالق للمسبب.

أي أن خالق المؤثر خالق للأثر، خالق السبب خالق للمسبب، فوجه كونه تعالى خالقاً لفعل العبد نقول: إن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين هما: الإرادة، والقدرة ؛ لولا الإرادة لم يفعل، ولولا القدرة لم يفعل ؛ لأنه إذا أراد وهو عاجز لم يفعل، وإذا كان قادراً ولم يرد لم يكن الفعل، فإذا كان الفعل ناتجاً عن إرادة جازمة وقدرة كاملة، فالذي خلق الإرادة الجازمة والقدرة الكاملة هو الله، وبهذا الطريق عرفنا كيف يمكن أن نقول: إن الله تعالى خالق لفعل العبد، وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة فهو المتطهر، وهو المصلي، وهو الصائم، وهو المزكي، وهو الحاج، وهو المعتمر، وهو العاصي، وهو المطيع، ولكن هذه الأفعال كلها كانت وجدت بإرادة وقدرة مخلوقتين لله عز وجل، وبهذا علم كيف يكون الإنسان، وكيف يكون فعل الإنسان مخلوقاً لله عز وجل.

النهي عن الخوض في القدر:

نهى النبي ﷺ عن المراء والجدال في القدر،وحذر من الخوض فيه،لأن القدر هو سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطَّلع على ذلك ملك مقرَّب، ولا نبيٌّ مُرسل، بل حجبه الله عن الخلق كلّهم،فالخائض فيه مدّع للاطّلاع على أمر اختصّ الله تعالى به، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فُقِىءَ في وجهه حَبُّ الرمان، فقال: أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فانتهوا» وفي رواية: «يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به» وفي رواية: «فإنّ الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المراء في القرآن كفر» [1].

1 – الحديث أخرجه أحمد في المسند (2/ 196). ورجاله ثقات، وأخرج ابن ماجه نحوه في المقدمة، باب في

قال الحافظ في الفتح: «قال أبو المظفر بن السمعاني سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها»[1] انتهى

كما سمى منكري القدر مجوس هذه الأمة، لأنّ المجوس اتخذوا خالقين من دون الله تعالى، والقدرية جعلوا الخلق أيضا لخالقين.

قال رجل للخليل بْن أَحْمَدَ: إنه قد وقع فِي نفسي شيء من القدر، فبين لي ذلك. قال: تبصر شيئا من مخارج الكلام؟ قال: نعم. قال: أين مخرج الحاء؟ قال: من أصل اللسان.

قال: أين مخرج الثاء؟ قال: من طرف اللسان. قال: اجعل هذا مكان هذا، وهذا مكان هذا. قال: لا أستطيع. قال: فأنت عبد مُدَبَّرٌ»[2].

115 - وكلُّ ذَا في الذِّكرِ جَا أوفِي الخَبَرْ وَالآنَ ابتَدِءُ نَظْمَ المُختَصَرْ

أي (وكل ذا) إشارة إلى ماذكرته في هذه المنظومة المباركة (في الذكر جا)ء أي في القرءان الحكيم حيث جاءت تسميته بالذكر في آيات كثيرة منوهة بتسميته كذلك، (أو) جاءت مفرداتها في (الخبر) والخبر يطلق على المأثور سواء كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ، أو موقوفاً على أحد من أصحابه، أو مقطوعاً عن أحد من التابعين،

القدر، الحديث رقم (85)، (1/ 33)، وقال صاحب الزوائد في حديث ابن ماجه: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. و في الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، حديث رقم (2133)، (4/ 443) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها.

1 - فتح الباري لابن حجر (11/477).

2 - تهذيب الكمال للمزي (8/329).

وإذا حدثنا قلنا أخبرنا وحدثنا، وبهذه أخبرنا وحدثنا بها شيخنا، ومابقي فعن إجازة من شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي حفظه الله تعالى ابن أخت الناظم وتلميذه، وهاهنا تنتهي هذه المنظومة المباركة التي سطرتها أنفاس شيخنا شيخ العقيدة الصافية،والفقه المالكي الأصيل، واللغة العربية الفصيحة، والتراكيب السهلة الممتنعة، لقد كانت فيها تجليّات مايجب أن يعتقده السالك إلى الله نحو ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من أسماء وصفات، وما ينبغي خصر الجنان عليه من إيمان بأصول الإيمان وقواعده، ونسأل الله جلت قدرته، وحسنت أسماؤه، وتعالت صفاته أن يمنحنا قبولا ورشدا، وأن يرحم مشايخنا رحمة تنير لها القبور، وتنجيهم من العثور، وترفعهم إلى مصاحبة نبينا المبرور صلوات الله عليه وعلى آله واصحابه وأزواجه ومن اهتدى بسنته وآمن برسالته وسلم تسليما كثيرا.

الخاتمة:

نسأل الله أن يختم لي ولكم بشهادة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فهي مبتغى كل مسلم أسلم وجهه لله تعالى، وأحمده أن أتم علي نعمته في كتابة هذا الشرح المتواضع الذي توخيت فيه صلة أشياخي واتّباع رسومهم، والوقوف على أنفاسهم ونفائسهم، فقد أظمئوا أنفسهم وأتعبوا أجسامهم من أجل طمس الباطل وتنكيس أعلامه وردّ أوهامه، فشادوا بكتبهم صرحا يؤوي إليه الصَّادي، ويتزود منه الرائح والغادي، وكان من بين أسفار التّوحيد نظم شيخنا العلامة الفذّ شيخ العصر والأمصار محمد سالم ولد علي بن عبدالودود سقى الله جدثه بهواطل المغفرة، واسبل عليه هوامع الرحمات، وإني وإن كنت معترفا بتقصيري في بلوغ مراد الشيخ من هذا النظم، فلا أقلّ أن عبّرت ببعض مكنونات الحبّ والوفاء لشيخي - رغم قصر المدة التي أقمتها بين ظهرانيهم-، نصرة للمذهب الحق في إقامة التوحيد الصادق، ولايمكنك إذا جالست الشيخ ولو للحظات إلاّ أن تملأ جوانحك محبة وودا لذلك الراحل الذي ترك الحي بعده يبابا، ولولا وجود بعض أهله وتلامذته لبكيت على الأطلال، وانتحبت على خلو ساح العلم من أولئك الرجال، فاللهم اجعل هذا الشرح نورا لنا في قبورنا يشد الجنان إذا جاء الملكان، وأن تنفع به كل من قرأه أو علمه أو نشره، وأن تجعل منه أوفر الحظ والنصيب إلى مشايخنا ووالدينا وأهلينا أجمعين.

تم الفراغ بعون ربنا الكريم الوهاب ظهر يوم الأربعاء 28صفر 1445هجرية، الموافق لـ: 13سبتمبر 2023 ميلادية، بمكتبي العامرة بالريان القديم، الدوحة، قطر.

وكتب العبد الفقير إلى عفو ربه أبوسليمان مختار بن العربي مومن الجزائري نسبا ثم الشنقيطي هوى وحبا، المعتقد يقينا لما تضمنته هذه المنظومة المباركة التي نسجت بأنفاس شيخنا ومولانا العلامة محمد سالم ولد علي بن عبدالودود رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعا ومشايخنا وآباءنا وأمهاتنا، وأهلنا ومن نحبهم في الله آمين.

فهرس

شعار. 3

منظومة مجمل الاعتقاد. 4

مقدمة. 11

فضل الاستفتاح بالبسملة. 13

تعريف بالناظم. 14

سر ذكر المصنفين أسماؤهم في مقدمة كتبهم. 14

الاعتناء بالإجازة وسيلة لاتصال الأسانيد. 16

حرص المشارقة على الإجازات وندرة ذلك عند المغاربة. 16

الدراسة والتكوين. 16

الوظائف والمسؤوليات. 17

التوجه الفكري. 17

المؤلفات. 18

تلامذته. 18

الوفاة. 18

التآلف القبلي الذي ينتمي إليه الشيخ. 19

معنى الحمد لله. 20

معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ 21

هل صلاتنا شفاعة للنبي ﷺ عند ربنا ؟ 21

تعريف الناظم بنظمه. 22

ثم أما بعد : فصل الخطاب وأول من قالها 22

معاني العبودية وأقسامها. 23

تعريف النظم والفرق بينه وبين النثر.....24
تعريف الفقه لغة واصطلاحا.....25
ترجمة مختصرة لسيدنا الإمام مالك رحمه الله.....25
سيدي خليل ومختصره الفقهي نبذة تعريفية عنهما. 27
أبرز كتب خليل بن إسحاق.....28
سبب تسمية شيخنا لكتابه بالتسهيل والتكميل. 29
جواز استعمال لقب السيد لمن يستحقه من أهل الإيمان فقط.....29
دعاء الشيخ لمن سعى في تعليم وشرح والاعتناء بهذا النظم المبارك. 30
تعريف بالعقيدة. 32
من هم السلف؟.....33
شكوى الإمامين ابن بطة والشاطبي من حساد زمانهما.....34
سبب اقتصار الشيخ على المجمل من اعتقاد السلف. 37
كيف صار أغلب المتأخرين بعد القرون الأولى (في الاعتقاد) من أهل الكلام. 40
شهادة بعض الفلاسفة على نقاء العقيدة من علم الكلام عند مالكية المغرب الإسلامي في القرون الأولى وسبب ذلك.....40
بداية انتشار علم الكلام في المغرب : 40
كلام المقريزي عن نشأة البدع ورصد سيرها منذ حدوث القول بالقدر. 42
ترجمة مختصرة للأشعري علي بن إسماعيل. 43
مراحلٌ في طريق اعتقاده :.....44
رجوع الأشعري إلى معتقد الإمام أحمد بن حنبل. 46
ترجمة مختصرة للإمام أحمد بن حنبل.....48
اختلاف المذاهب العقدية في مسائل الاجتهاد.....50

بداية مجمل اعتقاد السلف..... 51
اشتقاق اسم الجلالة. 52
لماذا قال الشيخ : الله حق ،ولم يقل موجود؟..... 53
معنى اسم الله "الحق". 54
.التعبير باسم الله "الأوّل" أولى من القديم..... 55
معنى "الأوّل والآخر والظاهر والباطن". 55
تعريف القدر..... 59
معاني الحكمة ، وهل تحتاج المخلوقات إلى تعليل في سبب وجودها؟ 60
تنزيه الله تعالى عن العبث. 61
وجوب الاستسلام والتسليم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. 64
الوقوف على مسألة خلق أفعال العباد. 68
الله وحده مسبب الأسباب واضع العلل..... 69
الفرق بين السبب والعلة عند جمهور الأصوليين. 71
الفرق بينهما عند الشاطبي..... 71
فردانية الرب سبحانه ووحدانيته. 72
إلحاد وكفر من قال أن الله متحد بخلقه..... 73
تفسير معنى الصمد. 73
رد العلماء على ابن عربي الحاتمي صاحب المقالات المعلولة. 74
المذاهب الإلحادية الكفرية التي سوّقها بعض مدعّي الصوفية. 78
تنزه الباري سبحانه عن الصاحبة والوالد والولد. 79
وحدانية الله وتنزهه عن الشريك والنظير..... 80
لايلزم من إثبات صفات الباري مشابهة الله لخلقه..... 80

ماهي الصفات لغة واصطلاحا..... 81
عدم إطلاق النعوت على الصفات..... 81
نفي الله المماثلة عن نفسه وإثبات الصفات العلية لجلاله. 83
صفة السمع. 83
صفة البصر..... 84
وجوب الإقرار والإمرار لصفات الله وكلام السلف في ذلك. 85
أبيات رائعة للشيخ في صفات الباري والرد على من لجأ للتأويل. 86
عدم استشكال أبي بكر الصديق ، وأبي جهل اللعين للصفات. 86
مدركات العقول في عالمي الشهادة والغيب..... 88
معنى التكييف..... 89
معنى التمثيل..... 90
معنى التحريف..... 91
معنى التأويل..... 91
الفرق بين التعطيل والتحريف : 92
أبيات جميلة للشيخ رحمه الله تعالى في التمثيل والتكذيب للنص 92
عدول الشيخ عن كلمة "الذات" إلى كلمة "النفس" والسبب في ذلك..... 93
ورود كلمة الذات عن بعض المتقدمين كابن أبي زيد القيرواني..... 93
كلمة الذات والمبحث اللغوي فيها. 95
مقتل خبيب رضي الله عنه والاستشهاد بشعره في ذات الإله..... 95
الاستشهاد بشعر النابغة الذبياني وتوجيه معنى الذات في شعره. 96
(ذات) مؤنث كلمة (ذو) بمعنى صاحب ومع ابن مالك في كافيته الشافية. 96
ورود كلمة (ذو) وموضع شذوذها في كلام العرب. 97

الشذوذ المراد اللغوي لا الاصطلاحي في حديث الخليل ﷺ لأن الحديث ربما روي بالمعنى. 98
حكم المعاريض في الكلام. 98
معاني القانت الأوّاه..... 99
قاعدة نفيسة : مايقال في نفس الله(الذات) يقال في صفاته. 102
أربع قواعد ذهبية في الصفات. 102
أقسام الصفات. 103
أولا: باعتبار إثباتها ونفيها 103
أ – صفات ثبوتية: 103
ب– صفات سلبية (منفية)..... 104
ثانيا: باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله..... 105
أ – صفات ذاتية. 105
ب– صفات فعلية. 107
قول ابن بطال: أسماء الله تعالى على ثلاثة أضرب..... 107
ثالثا: باعتبار ثبوتها وأدلتها. 107
أ – صفات خبرية..... 108
ب – صفات سمعية عقلية..... 108
الرَّدُّ المفحم على الجهميّ إن سأل عن كيفية الصّفات. 110
تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه في الذات والصفات. 110
قاعدة مهمّة : إنّ القول في بعض الصّفات كالقول في بعض. 110
صفة الإتيان والجيء..... 110
صفتا الكشف والساق..... 112

صفتا الوضع والقدم. 113
صفة السعة أوالوسع..... 114
صفة العطاء..... 115
صفتا اليدين والبسط. 115
كلتا يدي ربي يمين مباركة وكشف الإشكال في ذلك..... 117
صفة الرؤية..... 119
نفي رؤية الله تعالى عن الخلق في دار الفناء وإثباتها في دار البقاء..... 120
صفة المحبة..... 124
صفة العجب..... 126
صفة الضحك..... 127
صفة الرضا..... 129
صفة الاستجابة. 130
صفة الغضب..... 131
تنبيه أنّ الغضب في جانب العبد ليس كصفة غضب الرب أعاذنا الله من غضبه. 133
صفة البغض. 133
صفة طمس الوجوه. 134
صفة الطبع. 135
صفة القبض..... 137
صفة البسط. 137
صفة العطاء. 138
صفة المنع. 138
صفة الخفض. 139

صفة الرفع. 139
صفة العزة..... 140
صفة إذلاله لأعدائه..... 140
صفه الكره. 142
صفة المقت..... 143
صفة الهداية. 143
صفة الإضلال..... 144
صفة الإقبال..... 146
صفة الإعراض..... 147
صفة التوبة. 148
صفة الرحمة..... 149
صفة قبول الصدقات. 150
صفة الإطعام إيجابا وسلبا..... 151
قبول الله أعمال العباد من أجل تقواهم لأن الله غني. 152
إحاطة الله بالخلق ، وعجز المخلوق عن إدراك الله تعالى. 154
صفة الغيرة..... 155
صفة الاستحياء إيجابا وسلبا..... 157
صفة الأَذَن (الاستماع)..... 160
استحباب التغني بالقرءان وتحسين الصوت به. 161
معاني التغني الواردة في الحديث..... 161
مفهوم التلاوة الصحيحة..... 162
ضبط كلمة الخلوف ومعناها اللغوي. 163

صفة الاستطابة..... 164
طهارة المسك وطرق استخراجه من الغزال..... 164
قدرة الله على إمضاء أفعاله (فعال لما يريد). 165
نسبة الخير لله ، والتأدب في نسبة غير الخير له. 166
أدب الأنبياء والصّالحين مع الله. 166
التحذير من إضافة المشيئة للدعاء لأنّ الله لامكره له..... 167
مشيئة الله تعالى فوق مشيئة العباد. 169
قصص مع منكري تقدير الله للشر والمعاصي..... 171
أبيات جميلة للشافعي في المشيئة. 172
من الصفات المنفية عن الله : الضلال ، والنسيان. 172
من صفات السلب انتفاء النوم والسنة عن الله تعالى. 174
تحريم الله تعالى سبحانه للظلم عل نفسه وعلى العباد..... 176
وجوب اعتراف العبد بكثرة نعم الله عليه. 177
فائدة لغوية في الفرق بين جمع الألية و (إلى) (النعمة). 178
صفة الإفتاء. 179
صفة الشّهادة..... 181
صفة القضاء..... 182
صفة الحكم. 182
أنواع استفهام الله. 184
غنى الله المطلق عن المعين والظهير..... 185
نفي العجز عن الله ولا يثقله شيء سبحانه..... 187
ابتداء الخلق وإعادته أهون عندالله. 187

معنى المُحدَث : 193
إحداث الخلق والأمر والفرق بينهما. 193
صفة النّسخ. 195
صفة الإنساء. 197
صفة التّبديل. 198
أنواع النّسخ. 198
صفة الكلام لله تعالى. 199
الكلام قسمان :كوني قدري، وشرعي. 200
الفروق بين الكلامين. 201
السّكوت صفة إيجاب. 202
صفة الإحاطة بالخلق. 203
صفة الوجه واستقبال العبد له في صلاته. 204
صفة الاستواء بمعانيها الصحيحة. 206
الاستواء على العرش. 208
الاستواء إلى السّماء. 208
مخالفة استواء الله جلّ جلاله لصفة استواء خلقه. 211
الكلام عن حملة العرش. 212
صفة نزول الحق تبارك وتعالى. 213
الفرق بين نزول الله ونزول المخلوق كالفرق بين الله وخلقه. 214
ثلث اللّيل هو باعتبار المخلوق لا باعتبار الخالق. 216
ضلال المعطّلة وأهل التّشبيه في الصّفات. 216
اصطفاء الله لرسله وملائكته. 220

تبليغ الرّسل لوحي الله وأمانتهم في أدائه. 223
كتب الله المنزّلة هي كلام الله سبحانه لاغير. 224
كلام الله بالحروف والمعاني وليس كلاما نفسيا..... 224
تكليم الله آدم ومن شاء يوم القيامة بالصوت وإثبات ذلك..... 225
ضلال من شبّه صوت الله بصوت المخلوق واستحالة مشابهة مخلوق لآخر في جميع أدوات إخراج الصوت 227
لايجوز ضرب الأمثال لله تعالى..... 231
حرمة قياس الشبه وجواز قياس الأولى. 231
شذوذ من أنكر خلّة إبراهيم وتكليم موسى عليهما السلام. 232
الأمير خالد بن عبد الله القسري ذبحه الجعد بن درهم..... 232
تبيين الله في وحيه لما أوهم خشية اعتقاد صفة غير صفته. 234
دلالة الأسماء الحسنى على الصفات..... 235
ذِلَّة النّفاة لآيات وأحاديث الأسماء والصّفات. 236
وجوب إثبات الصّفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ. 236
وجوب اجتناب الشّرك بنوعيه الجليّ والخفي..... 237
الاحتياط في مسائل الشرك ووسائله ولو في ذلك اختلاف السلف كمسألة التمائم بالقرءان والحديث..... 242
وجوب إفراد الله بالعبودية (توحيد الألوهية)..... 244
تحريم تسمية الأبناء بعبد لغير الله كعبدعلي ونحوه..... 245
حرمة النذور للصالحين والأولياء والأضرحة ونحو ذلك. 248
من هم الأولياء والصالحون؟ 249
حكم التمسح بالأضرحة والقبور. 250

حرمة الطواف بغير الكعبة. 253
حرمة الذبح لغير الله تعالى..... 255
من عمل عملا صالحا ليس له أصل مشروع فهو على وجهه مردود. 257
نفع الناس بدفع الضر عنهم وجلب النفع لهم ممكن ،ولكن الله غني عن ذلك كله. . 258
توحيد الربوبية. 259
لاتجعل بينك وبين مولاك واسطة في الدعاء..... 261
الإيمان لغة واصطلاحا..... 264
الإيمان عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان. 264
موافقة العمل للقصد الصالح والصواب. 266
الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. 266
الوحي لغة واصطلاحا. 268
أنواع الوحي. 268
وجوب الإيمان بالكتب المنزلة..... 271
الصور التي كان يأتي عليها جبريل بالوحي..... 271
الإيمان بالملائكة. 273
الإيمان بالرّسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. 278
عدد الرّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. 279
من هم أولو العزم من الرّسل؟ 280
فضل نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام وعلوّ منزلته في الدّارين. 281
الآيات التي جاء بها الرّسل إلى أقوامهم..... 282
أعظم آية هي القرآن الخالد المعجز المحفوظ..... 283
أمّة محمد ﷺ هم أكثر الأمم دخولا إلى الجنّة. 284

الشّفاعة العظمى. 284
وجوب الإيمان بالنبي ﷺ واقتفاء سنته ونصر ملته. 287
وجوب الإيمان باليوم الآخر وما اشتمل عليه أعمال. 289
الحشر. 289
العرض. 290
وجوب الإيمان بالميزان. 293
وجوب الإيمان بالنار وما أعد الله فيها من الهوان لأعدائه. 296
وجوب الإيمان بالجنة وما أعد الله فيها من الكرامة لأوليائه. 297
لايتحقق الإيمان بالجنّة والنّار إلا بثلاثة أمور. 300
عذاب القبر ونعيمه. 300
أشراط الساعة. 301
وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت. 306
وجوب الإيمان بالصراط. 308
القدر للأشياء قبل خلقها في كتاب محفوظ. 310
مراتب القدر. 311
المرتبة الأولى: مرتبة العلم. 311
المرتبة الثانية : فهي مرتبة الكتابة. 312
المرتبة الثالثة: فهى مرتبة المشيئة. 315
المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق. 315
النهي عن الخوض في القدر. 316
الخاتمة. 319
فهرست الموضوعات : 320

مَعَالِي الشَّرَف

في شرح منظومة
مجمل اعتقاد السلف

تأليف: العبد الفقير إلى عفو ربه القدير
أبي سليمان مختار بن العربي مومن
الجزائري ثم الشنقيطي
عفا الله عنه وعن والديه
ومشايخه والمسلمين